

مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

حوادث دمشق اليومية

١١٥٤ - ١١٧٥ هـ

١٧٤١ - ١٧٦٢ م

جمعها: الشيخ أحمد البديري الحلاق
نقحها: الشيخ محمد سعيد الفاسي

وقف على تحقيقها ونشرها

دكتور أحمد عزت عبد الكريم

أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس

الطبعة الأولى

١٩٥٩

مكتبة جامعة القاهرة
القاهرة - مصر

إلى دمشق

المدينة العربية الخالدة

أهدى هذا الكتاب في حقة من تاريخها
ذكرى السنوات الجميلة الثمرة التي أمضيتها بها
(١٩٤٩ - ١٩٥٦)

مقدمة

كانت سورية أول قطر عربي دخله الأتراك العثمانيون فاحمين ، في حركة التوسع العثماني السدير في العالم العربي ، الذي بدأه السلطان سليم الأول (سنة ١٥١٦) وأعمه من بعده ابنه السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) . فعلى أثر وقعة مرج دابق شمالي حلب (سنة ١٥١٦) وهزيمة الجيش المملوكي بقيادة السلطان قنصوه الغوري استولى العثمانيون على بلاد الشام جميعها ، وتقدموا فدخلوا مصر ، وزالت السلطة المملوكية وحلت محلها ولايات عثمانية في القاهرة ودمشق وحلب وطرابلس وصيدا^(١)

حقاً إن هذه الولايات خضعت للون واحد في الحكم ، وقامت فيها حياة المجتمع على نسق يكاد يكون واحداً ، وسادتها حياة ثقافية وروحية واحدة ، ولكن كان لكل من هذه الحواضر شخصيتها الخاصة ، التي استمدتها من ماضيها المريق ، ومن مقومات الحياة المدنية الخاصة التي خضعت لها في العصر العثماني ، سواء كانت حكومية أو وطنية فكان لكل منها حكومتها الخاصة ، وقواتها العسكرية الخاصة ولها مشكلاتها الخاصة ، حتى اعتاد أهل كل حاضرة أن يعيشوا ويفكروا (منفصلين) عن سواهم ، معرّين بمشخصاتهم ، حريصين عليها . حتى قام الحكم الوطني فوضع أمام المواطنين جميعاً مثلاً أعلى ، وفي ظل الكفاح المشترك والمصلحة المشتركة ذابت الوحدات الإقليمية الصغرى في الوحدة القومية الكبرى .

وقد بقي الحكم العثماني في سورية قائماً حتى الحرب العالمية الأولى ، أي أنه دام فيها نحو أربعة قرون . ويمكن أن نقسم تاريخ سورية في هذا العهد العثماني الطويل إلى الأقسام الآتية :

١ - العهد العثماني الأول من ١٥١٦ إلى ١٨٣١ ، أي من وقت دخول السلطان

(١) أنشئت باشوية (أو ولاية) صيدا في سنة ١٦٦٠ ، قد دعا إل إنشائها ما حدث من اضطراب في جبل لبنان في القرن السابع عشر ، بقيام الأمير فخر الدين الثاني بحركته الشهيرة ضد الدولة وما تلا ذلك من أحداث ، فأنشأت الدولة باشوية في صيدا للإشراف على مشئون الجبل ، ثم انتقل مقر الولاية إلى عكا ثم إلى بيروت .
انظر : أحمد عزت عبد الكريم : التقسيم الإداري لسورية في العصر العثماني . (حوايل كلية الآداب بجامعة عين شمس . المجلد الأول ١٩٥١) .

سلم الأول الأقطار السورية إلى دخول القوات المصرية هذه الأقطار وضمها إلى مصر في حكم واحد ، هو حكم محمد علي .

وتتميز هذه المرحلة بسطحية الحكم العثماني وشيوع روح المحافظة والجمود . والتشتت في أداة الحكم وفي تنظيم المجتمع .

٣ - عهد الحكم المصري في الشام ١٨٣١ - ١٨٤٠ ، وكان هذا الحكم امتداداً للحكم العثماني ، على اعتبار أن مصر وسورية بقيتا جزءاً من الإمبراطورية العثمانية ، ولو أن مصر خرجت عليها وحاربها . إلا أن هذا العهد تميز بالحكومة المركزية القوية ، وإخضاع - أو محاولة إخضاع - العصابات والطوائف المحلية والأخذ بسياسة التجديد ، والحكم المصري - من هذه الوجهة - مهتد للمهد التالي في سورية .

٣ - عهد التنظيمات وما يلحق به من حكم السلطان عبد الحميد ، ثم حكم الاتحاديين حتى الحرب العظمى الأولى وانتهيار الامبراطورية العثمانية . (أى من ١٨٤٠ إلى ١٩١٨) .

ويتميز هذا العهد باصطناع العثمانيين فلسفة جديدة في الحكم ، قوامها تشديد قبضة الحكومة على ولاياتها وتوثيق ربطها بالحكومة المركزية والأخذ بسياسة التحديد وتدبير الأدوات لتحقيق هذه الخطط .

* * *

وإن الباحث في التاريخ السورى الحديث - وهو ليس إلا تاريخها في العهد العثماني - لتروعه حقيقة صارخة : وهى أن هذا العهد لم يحظ من المؤرخين بالعناية التى تستحق وأهميته ، وقد اقتطع من تاريخ سورية أربعة قرون . وفى رأينا أن هذا الإهمال يرجع - فى الدرجة الأولى - إلى بهاء العصر السابق للفتح العثماني ، وهو العصر الذى اصطاح على تسميته بالعصر الإسلامى ، وانشغال الناس بأحداث العصر التالى لاندلاخ سورية من الحكم العثماني وما صحبه من أحداث الكفاح الوطنى ضد الانتداب الفرنسى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لم يقم فى هذا العصر العثماني - على طوله - وخاصة فى العهد الأول منه من المؤرخين المعلقة مثل من حفل بهم العصر السابق ، واستنام الناس إلى أن العصر العثماني كان متمماً بالجمود والركود فأهموه ، إلا أن وضعه بالجمود والركود لا يبرر هذا الإهمال .

ومن جهة ثالثة يرجع هذا الإهمال — في رأنا — إلى صعوبة جمع المادة التاريخية التي يقام عليها تاريخ المصّر المئاني وخاصة في عهد الأول ، ويرجع ذلك إلى عدم توافر المصادر الأصلية التي ينبغي أن تكون في متناول المؤرخ لهذا المصّر .
 حقاً إن بين أيدينا معلومات غزيرة مما كتبه بعض الرحالة الأجانب ، وقد يكون أجدرها بالتقدير رحلة قولني إلى مصر والشام بين سنتي ١٧٨٣ و ١٧٨٥ . ولكن الرحالة الأجانب في بلادنا لا يعرفون كل شيء ، وإذا عرفوا أشياء شاب كتابتهم الهوى أو النفاق أو الجهل ، أو غير ذلك مما يشوه المادة التاريخية .
 أما المادة الأصلية التي يتكون منها تاريخ سورية — أو تاريخ أي بلد آخر — فينبغي أن تستمد من مصدرين أساسيين :

الأول : الوثائق الرسمية من فرمانات السلاطين والباشوات وأوامر رجال الحكم وسجلات الأجناد ودفائر الأموال والأراضي والمراسلات التي تبودلت بين هيئات الحكم في الولاية والحكومة المركزية ، ورسائل القناصل وأوراق الحاكم وسجلات الأوقاف . الخ .

ولكن هذه الوثائق الرسمية المتعلقة بالتاريخ السوري الحديث وخاصة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر ليس إليها حتى اليوم من مسيل ، على الأقل في سورية ، وإذا كان بعضها لا يزال موجوداً ، فإن الجهود لإخراجها — بله تنسيقها وإعدادها للباحثين — لم تبذل بعد^(١) . وكان هذه القرون الأربعة التي مرت بالحكم المئاني في سورية قد بدأت وانتهت دون أن تخلف من تلك الأوراق والدفائر شيئاً ، مع أن هذا يتنافى وما نعرفه عن أساليب الحكومة المئانية في ولاياتها . وليس من شك في أنه إذا أريد إعادة كتابة تاريخ سورية الحديث كتابة علمية مضبوطة محققة ، لا تنقف عند (العموميات) وإنما تتعمق (الجزئيات) ، ليس من شك في أن الوقت قد حان للقيام (بحملة) علمية منظمة ، تستهدف البحث عن هذه الوثائق الرسمية والكشف

(١) إن الدراسات التي قام بها الاستاذ برنارد لويس في دور الوثائق التركية باستانبول تنصح عن أهمية الوثائق المئانية في كتابة تاريخ البلاد العربية .

انظر Bernard Lewis : The Ottoman Archives as a Source for
 the History of the Arab Lands (J. R. A.S. Oct. 1951, pp. 139-155).

— Studies in the Ottoman Archives (B. S.O.A.S. 1954 XVI-3. pp. 409-501).

عنها وتيسير سبل البحث فيها أتى وُجِدَتْ (١) ، على أن يسبق هذا بطبيعة الحال إعداد
أباحين الذين سيضطلمون بمثل هذا العمل الإعداد الصحيح .

والصدر الثاني : ما كتبه الماصرون من أبناء البلاد أنفسهم في تاريخ بلادهم
أو وصف مجتمعاتهم أو الترجمة لأعلامهم . وفي رأينا أن هذه الكتابات لا تقل أهمية
وخطرآ عن الوثائق الرسمية ، فهي وثائق (أهلية) إن صح هذا التعبير ، وهي من
هذه الوجهة قد تكون أجلّ من الوثائق الرسمية شأنآ ، لأنها أصدق تصويرآ لجوانب
من حياة المجتمعات قد لا تتناولها أوراق الحكومة .

ونتيجة لقيام الوحدات الإقليمية في الحواضر السورية وقع على عاتق أبناء كل
حاضرة مسؤولية الاهتمام بتدوين تاريخهم ، فعلماء حلب كتبوا في تاريخ حلب
و ترجموا لأعلامها ، وعلماء دمشق كتبوا في تاريخ مدينتهم و ترجموا لأعلامها
ولا نعرف أن عالما من دمشق أو من حلب أو من طرابلس تصدى — قبل القرن
التاسع عشر — لكتابة تاريخ سورية كلها بمختلف وحداتها الإدارية ، حتى إن عالما
فاضلا كالرحوم الأستاذ محمد كرد على عندما تصدى في عصر متأخر لكتابة تاريخ
بلادها أو خططها قصر همه على (خطط الشام) أي دمشق ، أما في العصر العثماني الأول
بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر — فلا نكاد نجد من المراجع المنشورة عن
تاريخ الشام إلا التزير اليسير . عندنا حقا ما كتبه ميخائيل الدمشقي عن حوادث
الشام ولبنان (٢) وأكثره متعلق بتاريخ لبنان ، وما كتبه المحي (٣) والرازي (٤) في
تراجم أعلام القرنين الحادى عشر (السابع عشر الميلادى) والثانى عشر (الثامن

(١) هذا باستثناء بعض أوراق القناصل الأوربيين التي استخدمها بعض المؤرخين الأجانب
لكتابة جوانب من تاريخ سورية ، وخاصة الجوانب الاقتصادية مثل :

Charles Roux : Les échelles de Syrie et de Palestine au XVIII^e siècle -
Masson : Histoire du commerce au Levant au XVII^e - Siècle .

ومثله عن القرن الثامن عشر .

ومثل بعض الوثائق الإيطالية التي استخدمها الدكتور حسن عثمان ١ في بحث له غير منشور)
والأب بولس قرآني (في بحث منشور) عن الأمير فخر الدين المعني الثاني .

أما وثائق القرن التاسع عشر فقد لقيت حظا أكبر من العناية ، مثل وثائق الشام في
المعهد المصري التي نشرها الدكتور أسد رستم والمحجرات السياسية التي نشرها فريد
الحازن .

(٢) نشره الجورى قسطنطين الباشا . حريصا ١٩٣٠ .

(٣) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر . القاهرة ١٢٨٤ هـ .

(٤) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر . القاهرة ١٣٠١ هـ .

عشر اليلادى) وما كتبه القار والعارى عن وزراء دمشق وقضاها(١) وأكثره لا يمدو أن يكون قوائم بأسماء الباشوات الذين تماقبا على حكم دمشق فى العسر العمانى ، مع نبذة وجيزة عما حدث فى عهد كل منهم . ولكن هذه الكتابات - على ما فيها من مادة ثينة - لا تكفى وحدها لإنشاء تاريخ دقيق مفصل للشام فى العصر العمانى ، ومن هنا نجىء الدعوة التى وجهناها لإعداد (حملة) علمية منظمة للكشف عن المصادر الأصلية للتاريخ السورى - بل العربى عامة - فى العصر العمانى ، وخاصة فى المهد الأول منه - حتى القرن التاسع عسر ، وهو العهد الذى نال نصيبا أكبر من إهمال المؤرخين العرب المحدثين . ونرجو أن يكون هذا الجهد التواضع الذى نتقدم به اليوم لجلاء جانب من تاريخ سورية فى القرن الثامن عشر مقدمة لهذه (الحملة) التى ندعو إليها ، ولينة فى البناء التاريخى الذى ندعو لإقامته .

* * *

والكتاب الذى ننشره اليوم ألفه أحد أبناء الشعب الدمشقى ، فى القرن الثامن عشر ، وهو « أحمد البدرى الحلاق الدمشقى » ، وقد دون فيه « حوادث دمشق الیومية » فى خلال إحداه ، وعشرين سنة من ذلك القرن ، وهى الواقعة بين سنتى ١١٥٤ و ١١٧٥ هجرية (١٧٤١ - ١٧٦٢ ميلادية) (٢) .

لم يقصد البدرى بكتابه أن يدوّن تاريخا لبلده ، فمثل هذا العمل الكبير كان فوق ما تخمله ثقافة الرجل ، بل كان فوق إدراك أكثر علماء ذلك الزمان ، ولكنه شهد أحداثا انقل بها ، فانكب على أوراقه يسجل ما شهد وما سمع يوما بعد آخر ، دفته إلى ذلك مجرد الرغبة فى التسجيل خشية النسيان ، أو هواية الكتابة أو التعبير عن مشاعره والتنفيس عن كامن عواطفه وتسجيل رأيه فى الناس وفى الحوادث ، أو الرغبة فى إفادة من يأتى بعده ، على نحو ما عرف أو سمع عن كتابات من سبقه من الكتاب والمؤرخين . لم يقصد البدرى بمؤلفه - إن كان قد قصد حقا أن يضع مؤلفا واضح الحدود والمعالم - أن يتقدم به إلى وزير أو يتعلق به كبيرا ، فحاف كتابه -

(١) نشرهما الدكتور صلاح الدين النجد فى مجلد واحد بعنوان : « ولاة دمشق فى العهد العمانى » دمشق ١٩٤٩ .

(٢) يلاحظ أن البدرى مؤلف الكتاب ذكر أنه جم الحوادث التى جرت بدمشق من سنة ١١٥٤ إلى سنة ١١٧٦ ، ولكن القاسمى منقح الكتاب فطن إلى أن المؤلف زاد سنة ونسب إلى ذلك فى أول الكتاب وفى آخره .

أو مذكراته — صورة صادقة لقطاع من حياة الناس في دمشق في أواسط القرن الثامن عشر .

وهذه الصورة التي قدمها لنا البديري عن دمشق في ذلك الوقت لا تكاد تختلف في خطوطها العريضة عن صور الحياة في غير دمشق من الحواضر العربية ، لا تكاد تختلف عما نقرؤه في تاريخ الفزى عن حلب أو في تاريخ الجبرتي عن القاهرة أو في مطالع السعود عن بغداد ، لا تكاد صور الحياة في هذه الولايات العربية تختلف إحداها عن الأخرى ، لأن القوميات التي قامت عليها حياة المجتمعات فيها تكاد تكون واحدة ، والأنظمة التي وضعها السلاطين العثمانيون لحكمها كانت واحدة .
قلنا إن هذه الصور تتشابه في عمومياتها ، وإن اختلفت جزئياتها باختلاف ظروف ولاية أو حاضرة عن أخرى ، من جهة ، وبغاوت المستوى الثقافي لأولئك الكتاب الذين قدموا لنا هذه الصور من جهة أخرى .

وبعد ... فأين الخلاق أحمد البديري من معاصره^(١) العالم المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي ؟

* * *

لا نعلم — على وجه التحقيق — السنة التي ولد فيها البديري ولا السنة التي انتقل فيها إلى جوار ربّه ، ذلك لأن البديري في كتابه — كما وصل إلينا بعد أن تناولته يد المنقح بالتهذيب — لم يتحدث كثيراً عن نفسه وعن أسرته . ومضى البديري في الحياة مغموراً ، لم يحفل به كتاب الطبقات أو الأعلام ، ولم يعدّه الرادى من « أعيان » القرن الثامن عشر الذين احتفل بتدوين سيرهم في سلك درره .

وكل ما نعرفه عن السنوات التي عاشها البديري هي تلك الفترة التي دون هو حوادثها بدمشق ، وهي الفترة الممتدة بين سنتي ١١٥٤ و ١١٧٥ هـ (١٧٤١ — ١٧٦٢ م) ولسكتنا لا ندري هل كانت هذه السنوات — وقد بلغت إحدى وعشرين سنة — الجانب الأطول من عمره أو الأقصر ، وإن كان من الطبيعي أن البديري لم يبدأ في تدوين حوادث دمشق اليومية من سنة ١١٥٤ إلا بعد أن استوفى نضجه واتسعت دائرة معارفه الذين كانوا يمدّونه بالأنباء ، وكبرت تجاربه ، وخبر الحياة حلوها ومرّها ، فأقل على التأليف والكتابة ونظم المواليا .

(١) ولد الجبرتي في سنة ١١٦٧ ، وكان البديري حينذاك رجلاً مكتمل الرجولة عاكفاً على كتابة يومياته .

وقد ذكره منقح الكتاب في بدايته باسم « شهاب الدين أحمد بن بدير البديري .
 السهرير بالخلّاق » ، وربما وجد النقح هذا الاسم مدوّناً على الكتاب فنقله كما هو .
 وقد ينصرف الدهن إلى أن « الخلاق » كانت للبديري كنية ، وليست حرفة اشتغل
 بها ، وقد تكون حرفة أبيه أو جدّه من قبل فاشتهر بها . قد ينصرف الدهن إلى
 شيء من هذا ، لولا أن البديري نفسه ذكر في عدة مناسبات من كتابه اشتغاله
 بالخلّاقة .

الأولى : في ختام المواليا الذي نظمته في سنة ١١٥٤ « في حق من أظهر الكذب
 والأراجيف من أهل دمشق » (١) .

والثانية : حين ذكر أستاذه « في منعة الخلاقة » الحاج أحمد الخلاق بن حشيش
 ذكره معترّاً به إذ « كان حلاقاً لفرد زمانه وقطب أوانه الشيخ عبد الغنى النابلسي
 قدّس سره » و « ما وضع يده على مريض إذا رمد وقرأ ما تيسّر لإشفاء الله
 وعافاه » ، وقال صبيّه وتلميذ البديري « ومنه حصل لي الفتوح والبركة » (٢) .

والثالثة : حين ذكر — في موضع آخر — رجلاً كان صاحب الفضل في تعليمه
 وتثقيفه ، حتى وصفه بالأب والوالد والأستاذ والمربي . وقال إنه فريد عصره ووحيد
 أوانه ، ولا غرو . . فقد « كان يحكي سيرة الظاهر وعنترة وسيف ونوادر غريبة
 في التركي والعربي ، ومع ذلك فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب . وهو بحر خضم
 لا يخاض » (٣) .

والمناسبة الرابعة التي تحدث فيها البديري عن اشتغاله بالخلّاقة حين ذكر وفاة
 « معتقد أهل الشام على الإطلاق الشيخ يوسف الحلوتي » وقال معترّاً « ومما منّ
 الله به عليّ أن حلقت رأسه واغتتمت دعاءه » (٤)

وقد حرص البديري الخلاق على أن يسجل وفاة رؤساء الطوائف أو نقباء
 الحرف أو الأوصاف ، إلى جانب من ذكرهم من العلماء وأرباب الطرقت والتصوفة
 وأصحاب السكرامات ، كرئيس الخلاقين ، ورئيس الدباغين ، ونقيب النقباء على الحرف
 والصنایع والطرقت وغيرهم من مشايخ الحرف

(١) ص ١١ — ١٥ من هذا الكتاب .

(٢) ص ٢٤ — ٢٥

(٣) ص ٣٤

(٤) ص ٦٢ — ٦٣

وقد كان لطوائف الحرف مكانها في المجتمع الحضري لذلك العهد، فند كانت أداة قوية من أدوات التنظيم الاجتماعي، إذ كانت كل طائفة تنتظم الشغلتين بالحرفة، ولها نظامها وكيانها وتقاليدها. ولها رئيسها، وكانت الطائفة أداة لتكثيل أعضائها وحمايتهم في وقت عزت في حماية السلطات الحاكمة، كما كانت أداة أمن ورعاية لأبنائها، وكانت — بما تملك من وسائل التجميع والتكثيل — قادرة على العمل في المدينة، خصوصاً إذا لاحظنا أن كثيراً من أفرادها والتمين إليها كانوا — باندماجهم أو انتمائهم إلى سلك الانكشارية المحلية — يحملون السلاح، فكانوا لذلك أقدر من غيرهم من سكان المدينة على الدود عن أنفسهم وحماية مصالحهم. هذا إلى أنهم لم يكونوا محرومين من ذلك القدر وذلك النوع من الثقافة الذي عرفه أوساط الناس لذلك العهد، وهي ثقافة تلموها من التصوفة وأرباب الطرق. والارتباط بين طوائف الحرف وطرق الصوفية كان قوياً^(١)، وقد زود رجال الطرق الصوفية أرباب الحرف وسائر الناس بثقافة روحية أخلاقية، وإن شابهها في كثير من الأحيان الحزبيلات والحرفات — وقد أطلقوا عليها في ذلك العصر اسم الكرامات — إلا أنها كان لها أثرها الطيب في تربية الناس وتهذيبهم والترفيه عنهم، إذ رقت بهض النبي، الحياة الحثثة التي كانوا يحيونها.

ولطائفة الحلاقين من بين طوائف الحرف مكانتها في المجتمع الدمشقي، فهم طائفة لا يستغنى عنهم، يلجأ الناس إليهم لحلاقة الرأس — فأكثر الناس في ذلك الوقت كانوا يطلقون لحام ورون المار كل المار في حلقها — كما يلتبس الناس عندم الطب والملاج وختان أطفالهم، وكان أكثر حلاق ذلك العصر يعمل (بالبركة)، فهو قد يخلق لكبير فيتقاضاه أجراً كبيراً، وقد يخلق لاطالب علم فلا يتقاضاه شيئاً. ونحن نذكر أياما لم يكن فيها للحلاق أجر معلوم، بل كان يأخذ شاكرآ كل حا يقدم إليه من أجر كثيراً كان أم قليلاً.

وقد كتب منفتح الكتاب الشيخ محمد سعيد القاسمي عن (الحلاق) في القاموس الذي وضعه عن الصناعات الشامية^(٢)، ولا غرو فقد كان جدّه — هو الآخر — حلاقاً. ولكنه كتب عن الحلاق والحلاقة في أواخر القرن التاسع عشر حين أقبل

(١) يبدو أنه كان لكل حرفة ولكل طريقة نقيب، ثم كان لهؤلاء النقباء نقيب عليهم، فقد ذكر البديري وفاة «نقيب النقباء على الحرف والصناعات والدارق».

(٢) بدائع الحرف في الصناعات والحرف. مخطوط مكتبة أسرة القاسمي مر ٦٧.

الحلاقون على « تحمين الدكاكين ووضع الرايا الكبار والقطع الجميلة والتصاوير والقازات المشنة (أى الثنية) ، وغير ذلك من آلات التحمين والعدة البديعة من الأمواس الطيبة والمقصات من الأجناس العالية والغالية » ، وأصبحوا « مرفهين في ملابسهم وهينهم مع نظافة المحل والبشاكير واستعمال الروائح الفاخرة بحيث لو مرّ الشخص على إحدى دكاكينهم لاشتبه أن يخلق ولو كان حالقاً ... » . ومضى القاسمى يصف عمل فريق آخر من الحلاقين ، ممن « يعلق عدته في جدار حائط » ويحلق للفلاحين والفقراء ، ووصف حلاقهم « بالذباحة » من « كثرة الشروخ » التى يصيون بهارأس زبون موسى قد علاه الصدأ فأصبح « كالنشار » !

ولكن القاسمى أغفل ناحية هامة من حياة الحلاقين في ذلك الوقت ، وهى أنهم — بما عرف عنهم من اختلاطهم بالناس من مختلف الطبقات والطوائف ومن إقبالهم على التحدث مع زبائنهم — والحديث ذو شجون — كانوا يسمعون كثيراً وروون كثيراً ، فكانوا — فى وقت انهدمت فيه وسائل رواية الأخبار من صحف أو إذاعة ... الخ خير رواة للأخبار .

قلنا إن البديرى لم يتحدث كثيراً عن نفسه وعن أسرته ، فلم نعرف إلا النزر اليسير الذى ذكره عن نفسه فى ثنايا كتابه ، قال إنه ولد فى محلة القبيبات ، وكانت بمثابة ضاحية لدمشق ، تقع إلى الجنوب الغربى منها فى طريق الحج^(١) . وكانت محله عامرة بالأضرحة والمساجد ، ومن قبائها اتخذت اسمها . فنشأ البديرى فى بيئة متدينة . نشأ مبعجلاً للمعلم والعلماء ، والتصوفة وأرباب الكرامات ، وأخذ هو نفسه المههد وسار فى الطريق .

ولم يذكر البديرى شيئاً عن أبيه ، واكبر الظن أنه كان حلاقاً مثله ، فنشأ ابنه على احتراف مهنته ، وربما أورهه أدواته ودكانه ، وسكان الارث الوحيد الذى خلفه له . وبعد وفاة والده انتقل البديرى والأسرة إلى محلة أخرى ، هى محلة التعديل ، أى من خارج المدينة إلى قلبها . ويبدو أن والده توفى قبل أن يشرع هو فى تدوين « حوادث دمشق اليومية » لأنه لم يشر إلى وفاته ، كما فعل عند وفاة أمه .

ويبدو أن أمه كانت قوية الأثر فى تكوينه الروحى والثقافى ، ذكرها بالخير فى مناسبة موتها سنة ١١٥٥ — أى فى العام التالى لشروعه فى تدوين (الحوادث) —

(١) انظر الخريطة التى أوردها فى آخر الكتاب . والقببات لم تعد معروفة اليوم .

« كانت من القاتات العابدات تصلى نوافل الليل ولها أوراد »^(١). ونحن نعرف أن البديري كانت له — هو الآخر — أوراد وأدعية وتسايح .

ولم يتحدث البديري عن أحد من أفراد أسرته : إلا بنتاً له — أو جارية على حدّ تمييزه ، رزق بها في سنة ١١٥٥ ، قبل وفاة أمه بيضعة أشهر ، وتفاءل بمولدها ، إذ كان وأهله في ضيق ، فلماها سالحة « لعل بقدمها يحصل لنا الفتح والفاحة . جعلها الله تعالى فالحة »^(٢). وفي موضع آخر ذكر ابنها له هومصطفى ، ويبدو أنه كان يعمل على تنشئته نشأة دينية كأنشأ هو نفسه ، فكان يصطحبه لزيارة الأضرحة ، ويجعله يتلو كلام الله معه وهما في الطريق^(٣) .

وقد ولد البديري في أسرة متوسطة رقيقة الحال وإن كانت لا تميل إلى الفقر . كان لهم منزل في محلة القبيات ، حيث مسقط رأسه وأيام طفولته ، فلما تحولوا إلى محلة التمديد عقب وفاة أبيه اشتروا لهم منزلاً جديداً ، فأصبحوا في « ضيق » ، حتى إذا ولدت له بنت دعا ربه أن يجعل بقدمها « الفتح والفاحة » ولنا نعرف هل استجاب الله لدعائه ، ولكننا نعرف أنه ظل طوال السنوات التي دون حوادثها يشكو شدة الغلاء وانقاع أثمان المواد الغذائية من خبز وكعك وعسل ولحم وسمن وجبن ، ومواد الوقود من فحم وحبط ، فكان يسجل أثمانها مرة أو أكثر من مرة في كل عام ، حتى ثمن الملق ، وهو شيء له أهميته عند حلاق تلك الأيام . وكان ارتفاع أثمان الحاجيات أو خفضها عند البديري — بل عند الناس كافة — مقياساً لعدالة الحكم أو فساده ، ذلك لأنه ردة الغلاء إلى جشع الحكام وتكالبهم على تخزين المؤن وإهمال القاضى التفتيش على الأسواق وإنقاص الحكومة قيمة العملة . وقد حرص على تسجيل (المظاهرات) التي كان يقوم بها العامة في دمشق للشكوى من الغلاء ، حتى لقد كانوا يواجهون الباشا ويفلظون له القول ويتصدّون للأعيان والعلماء بالسب والإهانة ويتهمونهم بأنهم يميزون الحكام على الشعب ، بل لقد هجموا على القاضى وضربوا رجاله واضطروه إلى الهرب فوق أسطح المنازل .

قلنا إن البديري نشأ في بيئة متدينة ، هي محلة القبيات ، وفي بيت تتلى فيه

(١) انظر ص ٣٠ من هذا الكتاب . وقد أسهب البديري — في النسخة الأصلية من الكتاب — في الحديث عن أمه وأورادها ، ولكن منقح الكتاب حذف هذا الإسهاب .

(٢) ص ١٨

(٣) ص ١٦٨

الأوراد ، وهكذا نهل البديري من تلك الثقافة الصوفية التي كانت شائعة في أيامه ، حتى إذا صرب في الشبَاب اتّمت إلى إحدى الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت في البلاد العربية جميعاً وهي الطريقة السميدية^(١) . فقد كتب كثيراً باحترام وتوقير عن شيخ هذه الطريقة « شيخنا » الشيخ إبراهيم الجبّاي ، وعمّا كان يتمتع به من مكانة في المجتمع الدمشقي حاكّمين ومحكومين ، بل في بلاط السلطان نفسه ، وكثيراً ما توسط في النزاعات التي كانت تجرى بين طوائف المنكر^(٢) .

وبلغ من تعلق البديري بهذه الطريقة الصوفية أنه أصبر للأسرة الجبّاية . ولكنه لم يذكر كنه هذا الصّبر .

وللبديري — شأن أرباب الطرق جميعاً — أوراد وتساويح ، أخذ بعضها عن أمه ، وأخذ بعضها الآخر عن شيوخه . وقد سجل البديري كثيراً من هذه الأوراد في كتابه ، ثم جاء النقع الشيخ محمد سعيد القاسمي فرأى — ساعه الله — أنها بما « يعل سامعها ويسأم قارؤها » حفدها^(٣) ، فاخفت من نسخ الكتاب كما وصلت إلينا ، ولم يبق منها إلا دعاء واحد أخذ البديري عن شيخ قراء الشام « وخاصيته لهجوم المخاوف في السفر والحضر »^(٤)

وقد ذكر البديري طائفة من الشيوخ الذين عرفهم وأخذ عنهم ، وقال إنهم شيوخه وأساتذته ، فنوه بذكورهم وأشاد بفضلهم ، ولا يستبعد أن يكون البديري قد اغتم شيئاً من الفراغ فتردد على حلقات العلم في مسجد بني أمية وغيره من المساجد وتلقوا عنهم شيئاً من علم ذلك الوقت ، فنحن نعرف أن الصلة كانت قوية بين طوائف العلماء والتصوفة ، وغداً أكثر علماء ذلك العصر مجمعون بين العلم والتصوف ، بل إن منهم من أضاف إلى هذا وذاك حرفة محترفاً من صناعة أو تجارة ، لأنه يرى طلب الرزق من هذا السبيل أجدى عليه وأكرم من رزق (الوظيفة) ، ومنهم من بدأ حياته صناعاً ثم تحول هو أو أبناؤه أو أحفاده إلى طلب العلم .

وقد جعلت هذه الترية الدينية الصوفية من البديري رجلاً متديناً حريصاً على أحكام الدين . غيوراً على مكارم الأخلاق ، مبعجلاً للمعلماء وأدب الكرامات ، فلا كتابه بتقد

(١) انظر عنها في الكتاب ص ٩١ (حاشية ١)

(٢) ص ١١٧

(٣) ص ٣

(٤) ص ٥٢ — ٥٣

المجتمع دمشق على عهده لما شاع فيه من فساد . ويبدو أن اكتظاظ المدينة بمختلف طوائف المسكر وانتقالات النظام بينهم ، قد أشاع في المدينة جوًّا من الفساد الخلقى ، فكثرت بها « بنات الخطأ » وتبرجن وجاهرن بالمصيبة في الشوارع « ومعهم الدلاية والساق ولا أحد يتكلم بقيل وقال ، ولا أمر معروف ولا نهى عن المنكر ، والصالح في هم وكرب والفاجر الطالح يتقلب في لذيذ النعم . اللهم فرج آمين »^(١) ، حتى إن فتاة منهن تدعى سلمون « افتتن بها غالب النساء ، حتى صاروا ينسبون إليها كل شيء » ، فيقولون : هذا المتاع سلموني وهذا الثوب سلموني وهكذا » ، وأصدر المفتي فتوى بقتلها فقتلت ، وأصدر الباشا أمراً بأن كل من وجد بنتاً من بنات الخطأ فليقتلها ودمها مهدور^(٢) .

بل لقد تجرأن ، فأقامت إحداهن مولداً احتفالاً بشفاء غلام من الترك عشقته ودعت « شلكات البلد وهن اللومسات ، ومشين في أسواق الشام وهن حاملات الشموع والقناديل والبواخر ، وهن ينفين ويصفقن بالكفوف ويدققن بالدفوف ، والناس وقوف صفوف تفرج عليهن وهن مكشوفات الوجوه سادلات الشعور ، وما ثم ناكر لهذا المنكر ، والصالحون يرفدون أصواتهم ويقولون الله أكبر »^(٣) . وخوطف الباشا في ذلك ، وعرض عليه أن ينفين أو يجمعن في مكان ، ولكنه أبى ، خشية أن يدعون عليه في الليل والنهار^(٤) ! ثم فضل الباشا أن يرتب على كل واحدة منهم عشرة قروش في الشهر ، وجعل عليهن صوباشياً أى جندياً^(٥) .

هذا الجو اللئيم . بالفساد كان مما ضاق به البديري أشد الضيق ، وكثيراً ما رفع يديه شاكياً ، ناعياً على الحكام إهمالهم . كما دفعته روح الدين إلى الغيرة على السادات والأشراف ، وكثيراً ما كانوا هدفاً لعدوان المسكر ، فكانوا يردون العدوان بمثله ، وكثيراً ما ذهب دمهم هدراً . ويصرخ البديري : فانظروا يا مسلمين إلى هذا الإنصاف (يقصد عدم الإنصاف) ، وقولوا يا خنى الألفاظ نبجنا مما نخاف »^(٦) . ودفعته ريبته الصوفية إلى الإيمان بالسكرامات والتويه بأصحابها^(٧) .

(١) من ٩٢—٩٣

(٢) ٥٧ .

(٣) من ١١٢

(٤) من ١٢٧—١٢٨

(٥) من ١٣٤

(٦) من ٣٢ ، من ١٢٢ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٦٥ ، ١٨٣

(٧) من ١١٢ .

والبدري — إلى جانب ثقافته الدينية الصوفية — أديب رقيق الشمور ، عرفه أدباء عصره ، وعلى رأسهم شاعر الشام وأديبها الكبير في القرن الثاني عشر الشيخ عبدالرحمن البهلول ، تلميذ الصوفي الكبير الشيخ عبدالغني النابلسي وصفه ومادحه في قصيدة طويلة ، حتى دعاه النابلسي (شيخ الأدب في الشام)^(١) . وقد نقل لنا البديري في كتابه طائفة من شعر البهلول ، وذكر نبأ وفاته في سنة ١١٦٣ (٢) .

والبدري نفسه كان شاعرا ، وكان شاعرا شعبيا ، نظم المواليا في أغراض مختلفة ، منها ما نظمته « في حق من أظهر الكذب والأراجيف » من أهل الشام في سنة ١١٥٤ ، وتساءل « هم الملاعين صاروا يعلموا بالغيب »^(٣) . ومنها ما نظمته عندما حارب أسعد باشا العظم جند الانكشارية المحلية وتبع رؤوسهم (الزرباوات) أى الأشقياء بالقتل والتشريد ، فتشقى فيهم البديري وتساءل : أين « الزلاقة » التي كانوا يتباهون ويتظاهرون بها « ديك الزلاقة مضت يا حيفها يا حيف »^(٤) ، ومنها ما نظمته عندما فتك أسعد باشا العظم بفتحى أفندي دفترى الشام « بعد أن طالت دولته وعظمت عليه من الله نعمته .. وهو يتجاهر بالمظالم ولا يبالي من دعوة مظلوم » ، فنظم البديري مواليا مطلعه :

ياما فعل فتحي لما صار دفتر دار . . . غرته زمانه وسعده حول دازه دار^(٥)
ونظم البديري المواليا في المناسبات الخاصة ، خرج يوما في نزهة (أوسيران في تعبير أهل الشام) إلى ناحية تطل على المرجة ، وقضى يومه في سرور وانبساط ، حتى جادت قريحته بموال وصف فيه يومه :

مضى لنا يوم مثله ما سبق يا خال . . . في مرجة الشام ما تشوفون موضع خال^(٦)

* * *

ولكن كتاب « حوادث دمشق اليومية » ليس للبديري وحده ، فالبدري قد جمع مادة الكتاب وكتبها بأسلوبه الذى تشيع فيه العامية ، ثم ظل الكتاب محفوظاً ، حتى وقع لأحد العلماء الدمشقيين في القرن التاسع عشر ، وأعجب به ، فأقبل عليه وهو الشيخ محمد سعيد القاسمى .

(١) ص ٦

(٢) ص ١٣٩

(٣) ص ١٢ — ١٥

(٤) ص ٧٠ — ٧١

(٥) ص ٧٩

(٦) ص ١٤٠

ويتناقل أحفاد القاسمي اليوم روايات مختلفة^(١) عن الطريقة التي وصل بها كتاب البدرى إلى يد جدِّهم الشيخ محمد سعيد . قيل إن الشيخ أراد يوماً أن يتناع شتاء من عطار ، فوضع له العطار ما بائه في ورقة مكتوبة ، وما عاد الشيخ إلى بيته فتح الورقة وقرأ ما فيها -- وكان الشيخ طلعةً يتعشق القراءة — فأدرك أنها جزء من مخطوط تاريخي ، فعاد فوراً إلى العطار واستطاع أن يحصل منه على جميع الأوراق الباقية عنده من الكراسة ، حتى اجتمع له مخطوط البدرى «حوادث دمشق اليومية» .

ولكن أعضاء آخرين من الاسرة بروون رواية أخرى ترجع الرواية الأولى قالوا^(٢) إن مخطوط البدرى كان محفوظاً في مكتبة الشيخ محمد النير أحد علماء دمشق في القرن الماضي ، وكانت له مكتبة قيمة حافلة بالكتب المخطوطة والمطبوعة . وبعد وفاة صاحبها — في أواخر القرن التاسع عشر — عرضها ولده لليبع ، وكانت العادة حينذاك أنه حينما ياديع مكتبة ما أن تعرض في الجامع الأموى ، وعرضت مكتبة الشيخ وحضر جمع غفير من العلماء وهواة الكتب وتجارها ، وكان ممن حضر الشيخ طاهر الجزائرى وصديقه الشيخ محمد سعيد القاسمي وولده جمال الدين .

فلما عرضت الكتب كان «حوادث دمشق اليومية» من بينها ، فلم يكثر به أحد ، فعرض ثمن بخس ، ولكن لما اطلع عليه الشيخ طاهر عرف أهميته ، فتمز على شرائه . ولاحظ أحد الحاضرين المضارين اهتمام الشيخ بالكتاب فزاد عليه ، والشيخ مصمم على شرائه إلى أن زاد ثمنه من عشرة قروش إلى ثلاثمائة قرش ، وهذا مبلغ له قدره في تلك الأيام . فقال أحد الحاضرين النصفين لمن بالغ في زيادة الثمن للمضاربة : هذه زيادة ضرر ! لأن الشيخ طاهر لا بد له من شراء الكتاب مهما بلغ ثمنه . وكانت للشيخ مكانة بين الناس ، فتركوا له الكتاب ، وكان رحمه الله شديد الحرص على اقتناء الكتب النادرة والمحافظة عليها .

ثم استمار الكتاب الشيخ محمد سعيد القاسمي من صديقه الشيخ طاهر الجزائرى وقرأه ، فأعجب به ، إذ رآه قد اشتمل على صور من حياة دمشق عتقى عليها الزمان .

(١) نقل لى هذه الروايات المديق الأستاذ أبو الفرج المش عافظ التحف الوطني بدمشق نقلًا عن بعض أفراد أسرة القاسمي بدمشق .

(٢) صاحب هذه الرواية هو السيد محمد سعيد القاسمي التيم الآن على المكتبة القاسمية الموقوفة على الأسرة ، وقد اعتمد في روايته على الشيخ حامد التقي تديذ الشيخ محمد سعيد القاسمي وملازم ولده جمال الدين ونسيب الأسرة أيضا .

يبلغ من إعجاب الشيخ محمد سعيد القاسمي بكتاب البديري أنه حرص على أن تكون لديه منه نسخة خاصة ، حتى يتوفر على درسها في زوية وإمان ، فاستاذن الشيخ طاهر الجزائري في نسخ الكتاب فأذن له ، ففعل وأعاد النسخة الأصلية إلى الشيخ طاهر ، فبقيت في مكتبته حتى تشتت المكتبة ، ولم يعلم مصيرها^(١) . وقيل إن الشيخ طاهر في آخر أيامه اضطر إلى بيع كثير من كتبه لحاجته إلى المال .

وهكذا اختفت النسخة الأصلية من (حوادث دمشق اليومية) ، وكان آخر العهد بهذه النسخة حين اطلع عليها للرحوم الأستاذ محمد كرد علي صاحب (خطط الشام) وذكرها في قائمة المراجع التي استمد منها مادة خطته^(٢) ، وقال إنها مودعة في مكتبة الشيخ طاهر الجزائري . فإذا كان هذا حقاً يكون الأستاذ كرد علي قد اطلع على النسخة الأصلية من (حوادث دمشق اليومية) قبل تنقيحها .

وعكف الشيخ محمد سعيد القاسمي على درس مخطوطة البديري ، ورأى أن يجعلها أقرب إلى التناول ، فتناول أسلوبها بالتهذيب والتنقيح ، بل إنه تناول بعض مادة الكتاب بالحذف والاختصار . وحمل له عنواناً جديداً هو « تنقيح الشيخ محمد سعيد القاسمي لحوادث دمشق اليومية » وحفظه في مكتبته ، فبقي فيها حتى اليوم ، وهي مكتبة خاصة موقوفة على أعضاء أسرة القاسمي بدمشق ، ويبدو أن القاسمي تحدث عن الكتاب ، فأقبل النساخ ينسخونه ، فكانت من ذلك النسختان المودعتان بالمكتبة الظاهرية بدمشق والنسخة المودعة بمكتبة أحمد تيمور باشا بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، على خلاف بسيط بينها ، مرجعه إلى النساخ أنفسهم . وعلى هذه النسخ كان اعتمادنا في نشر هذا الكتاب

* * *

وبقدر ما كان أحمد البديري صاحب (حوادث دمشق اليومية) مغموراً ، مصى لم يحفل به أحد ، ولم يدون سيرته مؤلف ، كان الشيخ محمد سعيد القاسمي منقح هذه (الحوادث) معروفاً بين الناس ، وترجم له أكثر من مؤلف^(٣) .

(١) لم تفلح الجهود التي بذناها وبذلها آخرون للعثور على النسخة الأصلية من مؤلف البديري قبل أن يتناولها المنقح بالتهذيب .

(٢) خطط الشام ج ١ ص ١٤

(٣) رجعت في ترجمة الشيخ محمد سعيد القاسمي إلى المراجع الآتية :

(١) مخطوطات محفوظ بالمكتبة القاسمية كنية ولده المفسر الكبير الشيخ جمال الدين القاسمي .
بمنوان : « بيت الفصيد في ترجمة الإمام الوالد سعيد » . وقد ضمنه إلى جانب الترجمة

هو أحد علماء دمشق وأدبها المروفيين في القرن التاسع عشر، ولد في دمشق في أسرة معروفة اشتهل أفرادها بالعلم ، وإن كان جدّهم الأول كان يعمل حلاقاً — كما هو مذکور في نسبه — ثم تحوّل أو تحوّل أبنائه إلى طلب العلم . وربما كان هذا الجدّ معاصراً للبديري ، وقد يكون هذا بما لفت الشيخ محمد سعيد القاسمي إلى هذا المخطوط الذي كتبه أحد الحلاقين الدمشقيين في القرن الثامن عشر ، فاحتفل به وأقبل على قراءته ونسخه ، وأقدم على تنقيحه وتهذيبه .

وُلد الشيخ محمد سعيد القاسمي في دمشق في أوائل المحرم ١٢٥٩ (فبراير ١٨٤٣)^(١)، وتوفي بها فجأة في ٢٢ شوال ١٣١٧ (فبراير ١٩٠٠) . وكان أبوه الشيخ قاسم من كبار علماء عصره ، وصفه حفيده الشيخ محمد جمال الدين القاسمي بأنه « عمدة العلماء الأعلام ، وقدوة أكابر نصحاء الشام الطائرين صيت فضله في الآفاق » ، وكان إماماً بجامع السناية . — أحد الجوامع الكبيرة بدمشق — وكان يلقى به دروساً .

تلقى محمد سعيد التعليم الشائع في عصره ، دفعه أبوه إلى بعض الحفاظ البارعين حفظ القرآن الكريم ، ثم أقبل على دروس أبيه « في الفنون العربية والمعلوم الشرعية » ولازمه حتى أصبح يعيدله دروسه في السناية « بين العشائين » ، كما أخذ العلم عن شيوخ دمشق المروفيين في عصره . ثم خلف أبيه في إمامة الناس في السناية وإلقاء الدروس بها ، كما قصده كثير من الطلبة لتلقى العربية عنه في داره .

== القضاة المشهورين التي كتبها الشيخ محمد سعيد ، فجاء أشبهه بيدوانه ، حتى إن ولده الشيخ جمال الدين كان قد أسماه أولاً « بيت التصيد في ديوان الإمام الوالد السعيد » ، ثم استبدل بكلمة « ديوان » كلمة « ترجمة » .

وقد فضل السيدان طائر القاسمي ومحمد سعيد القاسمي — مشكورين — بإطلاع الصديق الأستاذ أبو الفرج العث على هذه الترجمة المخطوطة وأذنا له بأن ينقل لي . وجزا لها .

(٢) كتاب « تراجم أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر الهجري ١٣٠١ —

١٢٥٠ هـ » ، وهو ذيل لكتاب « روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر » تأليف الشيخ محمد جميل الضبي (دمشق ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) ، ص ٨١ — ٨٢ .

(٣) كتاب « منتخبات التواريخ لدمشق » تأليف الشيخ محمد أدب تقي الدين الحصري في ثلاثة أجزاء دمشق ١٩٢٧ — ١٩٣٤ . انظر الجزء الثاني ص ٧٢٢

(٤) كتاب « حياية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » وهو مخطوطة في ثلاثة أجزاء بمكتبة المجمع العلمي المرز بدمشق تأليف الشيخ عبد الرزاق بن حسن البيطار . وقد علمنا أن الأستاذ الشيخ بهجة البيطار عضو هذا المجمع عازم على نشره .

(١) ذكر تقي الدين الحصري (٧١٢/٢) أن القاسمي ولد في سنة ١٢٥٨ .

وكان الشيخ سعيد القاسمي شديد الإقبال على القراءة في علوم وفنون مختلفة، كالنقد والحديث واللغة والأدب، قوى الحافظة حتى قيل إنه طالع «تذكرة داود» في الطب، حفظ كليتها ومهمات مفرداتها كأنه نشأ في مدرسة طبية^(١)، ومال إلى الأدب وقرض الشعر من جد وهزل، وكان له شغف بالموسيقى^(٢) وعرف بمحسن الصوت وحلاوة الحديث وابتسكار النوادر، حتى كان الأديباء يسعون إلى مجلسه. وقد قام بمدة زحلات منها زيارته القدس الشريف وأداؤه فريضة الحج.

وقد خلف — فضلا عن شعره — طائفة من المؤلفات، وكلها لا تزال مخطوطة بمكتبة الأسرة القاسمية منها:

١ — ترجمته لوالده الشيخ قاسم بمنوان: «الشعر الإلهام في ترجمة العلامة الشيخ قاسم».

٢ — قاموس في الصناعات الشامية عنوانه: «بدائع العسرف في الصناعات والحرف»، تتكلم فيه على الصناعات الشائعة في دمشق مرتبة على أحرف الهجاء، ولكنه لم يتم منها إلا إلى حرف السين، ثم تدارك ابنه الشيخ جمال الدين بعض ما فاتته منها وأكملها لآخره^(٣).

٣ — كتاب «سفينة الفرج فيما هب ودب» ودرج» على نمط الكشكول، جمع فيه طائفة من «الفوائد والفرائد»، وكتب على ظهره منها بقائعه وشغفه بالمطالعة:

إذا لم أجد لي في الزمان مؤانسا جعلت كتابي مؤنسي وجليسي
وأغلفت بابي دون من كان ذا غنى وأملت من مال القناعة كيبي

٤ — كتاب «تفسيح حوادث دمشق اليومية» للشيخ أحمد البديري الحلاق الدمشقي، وهو هذا الكتاب الذي نشره اليوم.

(١) لاحظ اهتمام الشيخ سعيد القاسمي بالطب والتطبيب، وهو مما كان يقوم به الملائون.

(٢) ذكر حفيده الأستاذ ظافر القاسمي الخامي بدمشق أن جده كان جميل الصوت بارعا في الموسيقى والإيقاع. ومن طرفه في هذا الباب أنه ألب قصيدة رقيقة ضمن كل بيت منها اسم نوع من الأنغام الشرقية، فأثنى شيخ الموسيقيين في ذلك العصر أبو خذيل القباني ولحن القصيدة وأعطى كل بيت منها مطابقا له. ومذكور فيه نجاحات القصيدة آية ذلك العصر.

(٣) لم أطالع إلا على فقرات من هذا الكتاب بفضل بذلها لي الاخ الأستاذ أبو الفرج العسري. وقد لاحظ أن الشيخ جمال الدين في الأجزاء من الكتاب التي كتبها بنفسه أقوى من أبيه أسلوبا وأصح لغة، وقد ذكر لي عزم المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ببيروت على نشر هذا الكتاب.

قد أقبل الشيخ سعيد القاسمي على تنقيح الجوادث وتهذيبها في أواخر أيامه . ثم بهذا العمل جهوده العلمية والأدبية، فقد فرغ منه في ٢٤ رمضان ١٣١٧ (١٩٠٠) كما ذكر في خاتمة الكتاب ، وبعد أقل من شهر مات فجأة (في ٢٢ ربيع الأول ١٣١٧) .

وقد خلف الشيخ سعيد القاسمي بضعة أبناء^(١) ضربوا جميعا في الحياة العلمية والعامية بسهم ، فابنه للمفسر المعروف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ، اعتبر مجتهد عصره ، إذ كان جريئا في عرض آرائه، حتى أدت به هذه الجرأة إلى اتهامه ومحاكمته (سنة ١٣١٣ = ١٨٩٥) ، وقد سميت حادثته يومئذ محادثة المجتهدين . وقد انكب على التأليف حتى ترك ما ينوف على المائة من التصانيف والمؤلفات، أهمها تفسيره الذي ينشر الآن في القاهرة .

وكان جمال الدين، شديد الوفاء لأبيه ، حتى كتب ترجمة لحياته أشاد فيها به حتى رفعه إلى السالكين . وقد توفي سنة ١٣٢٢ (١٩١٣) .

ومن أبناء القاسمي الطبيب الأديب السياسي يوسف صلاح الدين ، الذي أسهم في حركات التحرر ضد الحكم العثماني ، وكان مسن أوائل الكتاب العرب الذين نبهوا للخطر الصهيوني . وقد توفي سنة ١٣٣٤ (١٩١٥) .

* * *

وقع مخطوط البديري للشيخ محمد سعيد القاسمي ، فأعجب به - كما قلنا - فاستنسخه ، وعكف على دراسته، إذ رآه قد اشتمل «على غرائب وعجائب وأهوال» ، ولا عجب فقد نضر وجه الحياة في دمشق كثيرا عما كان عليه أيام البديري، وقد انقضى عليها قرن من الزمان : انتهى عصر الباشوات ، وحل محله حكم الولاة المرتبطين بالحكومة المركزية في إستامبول بأقوى رباط، انتهى عهد الحكومة الموزعة السلطان والمصيات وزعماء الأحياء والحارات ورؤساء الأجناد وطوائف الحرف ، وحل محلها الحكومة الواحدة القوية السلطان والفرق العسكرية المنظمة . الإدارات والمجالس والمحاكم وهكذا .

وعزم القاسمي على أن يشرك في الإفادة من الكتاب مواطنيه ، حتى يجلوهم صفحة من تاريخ مدينتهم في القرن الثامن عشر ، ولكنه رأى أن يجعله سهل التناول لهم ، رآه

(١) أأادنا بهذه المعلومات الأستاذ ظافر القاسمي المحامي بدمشق ونجل الشيخ محمد جمال الدين القاسمي .

مكتوبا « بلسان عامي » مشحونا « بزيادات كلمات وأدعية مسجمة على سامعها ويأم قارؤها » ، فأقبل القاسمي على تنقيح الكتاب ، وذلك أنه - كما قال - « حذف القشر من هذه الحوادث ووضع اللباب وهدنها على قدر الاستطاعة بالصواب » ، أي أنه صوّب لغتها واختصر مادتها محتفظا منها باللباب .

لهذا يخطأ علينا الأمر إذا حاولنا أن نميز بين أسلوب المؤلف وأسلوب النسخ ، فالواقع إن النسخ أقحم نفسه على الكتاب ، وأعمل فيه قلمه بالحذف والتعديل والاختصار ، حتى إنه بدأ الكتاب بقوله : « قال البديري رحمه الله ما معناه » ، مما يوحي بأن النسخ لم يقنع بتعديل الأسلوب وإنما احتفظ (بالمعنى) للمؤلف ، وساق هذا المعنى في أسلوبه هو . وهو يدعو البديري تارة بالمؤرخ^(١) وتارة بصاحب الأصل^(٢) ، ويدعونه أحيانا بمهذب هذا التاريخ ومحرر هذه الورقات^(٣) . وقد حاول القاسمي أن يرتفع بأسلوب المؤلف ، فترونق في بعض العبارات وتأنق ، وساقها مسجمة ، ولكن أسلوب الكتاب - حتى بعد أن أجرى فيه النسخ قلمه بالتصويب والتهديب - لا تزال تشو فيه الأغلاط النحوية ، واعترف هو ضمنا بشيء من ذلك حين قال إنه هذب الكتاب « على حسب الاستطاعة بالصواب » ، والحق أن أسلوب القاسمي في كتبه الأخرى - وقد اطلعنا على بعض ما كتبه في « بدائع الصرف في الصناعات والحرف » وإن كان أصح أسلوبا من « حوادث دمشق اليومية » إلا أنه لا يخلو من الأخطاء النحوية .

على أن ثمة بعض عبارات نكاد نجزم بانها من قلم القاسمي مهذب الكتاب ، إذ هي من تعبيرات القرن التاسع عشر وتمشى مع مفهوم الناس في ذلك الوقت : كإطلاق اسم (إسلامبول) على عاصمة الدولة والدعوة للسلطان وللدولة العلية بالعز والتأييد . . إلخ .

* * *

وكتاب البديري - حوادث دمشق اليومية - يصور الحياة في دمشق خلال إحدى وعشرين سنة من أواسط القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) (١١٥٤ - ١١٧٥ = ١٧٤١ - ١٧٦٢) . وقد كاد المؤلف أن يقصر اهتمامه

(١) ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٥ وغيرهما .

(٢) ص ٧٩

(٣) ص ٧٦

على تدوين ما يجري في دمشق وحدها : من تولى الباشوات و كبار أصحاب المناصب وعزلهم ومصادرة أموالهم كاللتم والدفتردار والقاضي والتمقي وأغوات العسكر ، وأبناء الحاج في طلوعه وعودته وما جرى له في الطريق ، وقبيل الأجناد ، ونهوض الأسمار واضطراب الأمن ، وفساد الأخلاق وانتشار الأمراض وغزو الجراد ووفاة عالم أو متصوف أو تقيب حرفة وحدث ظواهر طبيعية من ريح شديد وكسوف وخسوف وزلازل .

على أن المؤلف سجل أيضا بعض ما كان يصل إلى علمه من أحداث تجرى في دمشق أو قريب منها ، كحروب الباشا ضد الدروز أو للتأولة أو بعض عشائر البدو أو ظاهري العمر شيخ طبرية ، أو ما يتسامع به الناس عن فتنة في بغداد أو حرب بين الدولة وفارس أو بين أشرف الحجاز . الخ .

والكتاب يصور لنا دمشق كحاضرة إسلامية ، تكون وحدة سياسية وإدارية واقتصادية قائمة بنفسها ، زاخرة بالحركة والنشاط ، فلها أدوات الحكم الخاصة بها ، ولها قلعها وسورها ، ولها أجنادها ، ولها علماءها ومتصوفوها ومساجدها ، وأحيائها وحاراتها ، وطوائف حرفها ، ففيها كل العناصر التي كونت منها حاضرة ، تستطيع — في السنوات العادية — أن تكفي نفسها بمواردها الخاصة

* * *

وقد قام المجتمع الدمشقي — على عهد البديري — (وينطبق هذا على العهد العثماني الأول أي منذ الفتح العثماني في أوائل القرن السادس عشر إلى قيام الحكم الصلبي في سنة ١٨٣١) قام المجتمع في دمشق — وفي غير دمشق من الولايات العربية — على وجود هيئتين كبيرتين منفصلتين إحداهما عن الأخرى : هيئة الحاكمين وهيئة المحكومين .

وقد حاولت الدولة منذ اصطغت — أو أقرت — هذا النظام أن تجعل الخط بين هاتين الهيئتين حاداً ، فالهيئة الأولى من العسكر ، يحملون لواء الجهاد والدفاع عن الإسلام ، وبصرف النظر عن الأصول التي استمدت منها الدولة رجال هذه الهيئة قامت الدولة على إعدادهم للاضطلاع بالمهمة الكبرى التي تنتظرهم ، فجلت منهم أداة حرب ثم كانوا في الوقت نفسه أداة حكم معاً ، والفصل بين الأداتين كان غير معروف وغير مفهوم ، واستمر ذلك حتى القرن التاسع عشر حين بدأت الدولة تصطنع للحكم والإدارة في المركز والولايات أدوات أعدت خصيصاً لهذه الغاية ، عندئذ نشأ الانفصال بين أداة الحرب وأداة الحكم .

وقد ترتب على ذلك أن أضعفت على هذه الهيئة — هيئة المسكر — امتيازات جعلت من أفرادها طبقة ممتازة في المجتمع الذي يمشون فيه .

أما الهيئة الأخرى — المحكومون — فهم « الرعية » من أهل الريف والمدن ، وتركت لهم الحرية في أن ينظموا أنفسهم في طوائف يمارسون في ظلها قدرا كبيرا من حرية التصرف ، ويحسون في ظلها بتدر كبير من الأمن والحماية ، ولكن الدولة رسمت لهم حدودهم التي يتصرفون في نطاقها ، على أن لا يتعدوها إلى خارجها ، وفرضت عليهم الدولة مهمة إعاشة الهيئة الحاكمة والخضوع لها .

وكان لا بد أن يقوم هناك (جسر) بين هاتين الهيئتين ، أو فئة ثالثة يرضى عنها الفريقان ، فاستطيع أن تقوم بدور الوسيط بينهما ، ووقع على عاتق العلماء وأرباب الطرق والمقاضي والمفتي ونقيب الأشراف ، ومن إليهم ممن أطلق عليهم تجاوزا اسم رجال الدين — وقع على عاتقهم مهمة التوسط بين طبقة الحاكمين وطبقة المحكومين ، وكانت كل من الطبقتين تبجل ، جال الدين وتسمى إليهم . وكان الشعب على الخصوص — يحد فيهم ملاذآله يعتمص بهم من غضب العاصبين ، فكان يطلب إليهم — بل ويضطرم أحيانا — إلى تصدر الحركات الشعبية للثورة على مظالم الحكم ؟ فإذا أبوا أن يقوموا بهذا الدور صب عليهم الشعب جام غضبه ، وتاريخ الجبرتي لمصر والبيديري سورية حافل بأمثلة لما تقول (١)

ولكن الخط الفاصل بين الهيئتين أو الطبقتين لم يمدد بعد اختلال أمر المسكر وبيع المناصب — حاداً ، حقيقة ظل انفصال المجتمع إلى هئتين : حاكمين ومحكومين ، ممتازين وغير ممتازين — قائماً . ولكن لم يعد من الممكن الفصل الحاد بين الهيئتين . حقا إن الهيئة الأولى ، هيئة الحاكمين . تمت إلى الدولة العثمانية ، صاحبة السيادة على البلاد ، ولأنها لا يشترط أن يكون أعضاؤها من الأتراك ، فقد يكونون من أهل البلاد أنفسهم رفعتهم ظروفهم إلى مصاف الحاكمين . فمن الولاة من كان ينتمى إلى بيوت عربية ، أو استمربت ، فأسرة العظم كانت — أو أصبحت — أسرة عربية أقاموا في معرة النعمان ، ثم دخلوا في سلك الجندية العثمانية ، ومنها إلى مناصب الحكم حتى منصب الولاية نفسه ، وكذلك يمكن القول عن الكتخداء والتسلم والدقردار .

(١) إلا أننا نلاحظ أن العلماء في مصر في العصر العثماني كانوا بفضل وجود الأزهر والتفاهم حوله شيوخا ومجاورين أقدر على التكيف من علماء دمشق وأقوى أثرأ في تزعم الحركات الشعبية .

وهكذا . « فالتركية » إذن لم تكن الأساس الذي قامت عليه هيئة الحاكمين في ذلك العصر . ذلك لأن من أبناء البلاد من مهدت له الظروف الخروج من نطاق هيئته ، هيئة المحكومين ، والتسلل إلى الهيئة الأخرى : الهيئة المتأززة ، هيئة الحاكمين ، وكان اختلال أمر المسكر والسماح بدخول أبناء البلاد في سلك الجندية الباب الذي حدث منه هذا التسلل .

ولكن ما أن ينتقل أفراد من طبقة المحكومين إلى طبقة الحاكمين حتى يسطنموا عقليتها وأساليبها ويذهبوا في التشبث بامتيازات الطبقة إلى أبعد مدى ، ومن هنا استمرت الفكرة السائدة عند الطبقة الحاكمة ، ففكرة الاستعلاء والسيطرة وعدم التخرج عن استغلال الرعية ، بل كان استعلاؤهم وسيطرتهم أشد وأعنف ، وكان لا بد أن يضى زمن طويل ، تجدد فيه عوامل أخرى على المجتمع حتى يمكن أن تقوم على هاتين الهيئتين هيئة واحدة ، فيتحول الرعايا جميعا حاكمين ومحكومين إلى مواطنين . وسيكون هذا من فعل القرن التاسع عشر وما بعده .

ولكن هذا الاستعلاء وهذه السيطرة لم يقابلها كفاية في الحكم . ومرد ذلك إلى ما قلناه من أن هذه الهيئة — في الواقع — أعدت للحرب والجهاد ، ولم تنظم لتحمل مسؤوليات الحكم وأعبائه . وظلت الصفة الحربية ملازمة لها ، أى ظلت أداة حرب ، أكثر منها أداة حكم . فالباشا هو قائد الجند ورجاله ضباط الأوجاقات ، وحكام الأقاليم من الصناجق ، والقاضى هو « قاضى المسكر » ، والوالى والمحاسب في المدينة من رجال الجندية ، والأوجاقات يجمعون أموال الدواوين لأنهم يأخذون منها مرتباتهم ، والفكرة الرئيسية أن الأرض هى المصدر الأساسى لإعاشة الجند .. وهكذا . ولكن حين وقعت الحرب لم تستطع هذه الهيئة — وهى أداة حرب — أن تتحول إلى أداة حكم بإدارة ، فلبجأت إلى البطش وأساليب القهر ، ولم يجهدوا في قوة الدولة ما يردعهم ويردئهم إلى حدودهم ، فقد تراخى الولاء للسلطين منذ اتعد السلطين عن الزعامة والقيادة ، وأصبحت المناصب تباع وتشترى^(١) . وفشا استخدام الرشا

(١) بدأ بيع المناصب في عهد السلطان سليمان القانونى . وفي تقرير لأحد قناصل إنديقية في أوائل القرن الثامن عشر أن الباشوات السورية كان كل منها يكاف صاحبها من ٨٠ إلى ١٠٠ ألف دوكة ومنصب الدفتردار من ٤٠ إلى ٥٠ ألفا ، وأقل من ذلك . قابل منصب القاضى . Lammens, La Syrie, II, P. 61. وطبيعى أن يوحى هذا النظام إلى أصحاب المناصب بالحرس على استغلال الرعية لجمع المال الذى دفعوه .

والهدايا ، ولجأ كل صاحب منصب إلى اسطناع قوة أو عصية خاصة له يستعصم بها عن قوة الدولة . وانعكس هذا كله على الهيئة الأخرى ، المحكومين ، إذ أوحى نظام شراء المناصب إلى أصحابها أن لهم الحق في أن يهوضوا أنفسهم عما دفعوه ممن يقع تحت سلطانهم أو يدخل في دائرة نفوذهم من المحكومين ، وخاصة أن نظام التوجيهات السنوية للمناصب يجعل أصحابها عرضة للزلزل أو النقل أو الصادرة في أى لحظة ، حتى جرت الأموال التي كان أصحاب المناصب يأخذونها من الناس مجرى العرف أو القانون .

على أنه مما كان يخفف من بطش الهيئة الحاكمة أن الحكم العثماني وخاصة في الولايات العربية ، ظل حتى القرن التاسع عشر -- أى إلى عسر التنظيمات -- سطحياً متحرّجاً عن أن يتغلغل في حياة الناس ، طالما بقوا على ولائهم لهذا الحكم . قد يرجع هذا إلى الصفة (العامة) التي اتصفت بها الأباطورية العثمانية ، مما سمح لها بتعدد الأحناس والطوائف والأديان والمذاهب واللغات الخ . فكان هناك إذن نوع من (التسامح) يسمح بالتعدد والاختلاف ، طالما بقي الجميع أعضاء في حظيرة الأباطورية . وقد يرجع هذا -- أى سطحية الحكم العثماني -- إلى عجز الدولة بأنظمتها وأدواتها الموروثة -- حتى القرن التاسع عشر -- عن أن تبسط الحكم الفعال القوى في ولاياتها ، وقد قلنا إن هذه الأدوات كانت في الواقع أدوات حرب أكثر منها أدوات حكم .

وقد ترجع سطحية الحكم العثماني في الولايات العربية إلى حرص الدولة على مراعاة أهل هذه الولايات ، وهم شعوب إسلامية قامت في بلادهم أهم مراكز الإسلام ويتكلمون لغة القرآن ، فلمهم عند الترك قدرهم واعتبارهم (1) .

وأفاد المحكومون من سطحية الحكم ، فازدادوا تمسكاً بمؤسساتهم الخاصة وحرصاً على تنميتها ، ليتخذوا منها -- من ناحية -- حصناً يلوذون به من بطش الحاكمين ، وليجعلوا منها -- من ناحية أخرى -- أدوات تنظيم لمجتمعهم حتى تقوم بما تقتصر عن القيام به سلطات الحكومة ، وتمت هذه المؤسسات الطائفية واستقرت حتى أصبح الولاء للطائفة يعلو فوق كل ولاء .

وكان لا بد -- حتى يستمر هذا البناء بأوضاعه التي وصفنا قائماً -- كان لا بد من أن تبدل الدولة جهداً كبيراً المحافظة عليه ، وشاع الاعتقاد أن أى تغيير سيؤدى

(1) Gibb & Bowen: Islamic Society and the West, vol 1, part, 1 p, 160.

إلى زيادة الخلال فالانهيار ، وأن الخير كل الخير في المحافظة على ما هو قائم ، ويكفي في اعتقاد السلاطين ورجال الدولة — أنه في ظل هذه النظم والأوضاع أحرزت الدولة ما أحرزت من انتصارات ، وضمت الدولة ما ضمت من بلاد ، وقهرت الدولة ما قهرت من أعداء . ولكن فاتهم أن هذه النظم فقدت في الواقع حقيقتها وغدت مظاهر ، بقيت ، ولكن على الورق ! ويكفي هنا ان نذكر أن الانكشارية — وهى من النظم العثمانية عصبها — بقي اسمها ، اسما بلا معنى ، بقيت ، ولكن في الدفاتر والسجلات !

حقاً إن الدولة العثمانية تبدو حتى في القرن الثامن عشر — أى في العصر الذى وصلت فيه أزمة الحكم إلى ذروتها — تبدو الدولة قوية . فالسلطان يولى أصحاب المناسب ويمزلمهم ، والسلطان يكافح بنجاح في أكثر الأحيان الخارجين عليه من أصحاب العصبيات . ولكن الدولة لم تحقق هذا بقوتها ، وإنما حققته باصطناع وسائل أخرى أجدى عليها من وسائل القوة ، فالدولة أقامت الحكم في ولاياتها على أساس أن لا تجمع السلطان كله لفرد واحد أو لهيئة واحدة . حقاً إن الباشا أو الوالى هو أعلى هؤلاء الأفراد والهيئات شأنًا باعتباره ممثل السلطان في ولايته ، ولكن الدولة أقامت إلى جانبه أصحاب مناصب أخرى وهيئات أخرى تقاسمه السلطان ، كالدفتردار والقاضى وضباط الأوجاقات ، ولكل منهم في حكومة الولاية مكان معلوم .

هذا إلى أصحاب العصبيات الذين أقرت الدولة حكمهم في مناطقهم ، فكانوا باستمرار شوكة في جانب ولاة الدولة ، سواء برضا الدولة نفسها أحياناً أو رغماً عنها أحياناً أخرى . حتى إذا شرع أحد أصحاب المناصب أو أحد أصحاب العصبيات أن يجمع السلطان لنفسه مقتصباً سلطان الدولة أثارته عليه الدولة آخرين من أصحاب المناصب أو أصحاب العصبيات ، وهم كانوا دائماً على استعداد للإثارة ، وما يقبها من قبض الثمن ، حتى يتاح للدولة فرصة لتأليب آخرين وهكذا .

(قوة) الدولة إذن كما تبدو في القرن الثامن عشر كانت قوة مصطنعة أكثر منها حقيقية ، استمدتها من أساليب القدر والكيد والتأليب والإثارة ، لهذا لا عجب إذا شعر الجميع في مثل هذا المجتمع بفقدان ضمانات العمل والسعى للكسب بل ضمان الحياة نفسها ، وأكبر مثل صارخ لما نقول للصير الذى لقيه أكثر باشوات الشام في الإحدى والعشرين سنة التى سجل البدرى أحداثها ، فقد انتهت حياتهم

بالتقى والقتل والمصادرة^(١)، رغم الخدمات التي أدتها للدولة وللولايات التي حكموا فيها، ورغم ما جمعوا لأنفسهم من أساليب الثروة والقوة، والدولة ترخى لهم في مجال الأمل، وتدعهم يجمعون ما يجمعون، وهي واثقة في النهاية أن هذا كله سيؤول إليها، قال باشا صيدا لأسعد باشا العظم، عندما رآه يشنّ على الدرور حرب تخريب وإبادة، فنصحته بالكف عن ذلك قائلاً له: « هذا أمر يمود علينا وعليك بالتلف ولا ترضى الدولة به، لأنهم يريدون العار للبلاد ويكرهون الجور والفساد قادرون على إرسال عشرة وزراء يوم واحد ولا يقدرّون أن يعبروا في عشر سنين قرية إذا خربت من هذه القرايا^(٢). ولكن أسعد باشا عاند واستمر في الحرب ضد الدرور، واتصر عليهم وجمع الثروة الباطيلة وبنى العمار الشاهقة واستكثر من أسباب القوة، وجمع بالناس أربع عشرة حجة في أمن وسلام، ولكن هذا كله لم يشفع له، فإذا بالنجم يهوى، فينقل الباشا من دمشق فجأة ثم يقتل وتصادر أمواله وأملاكه، لم تفن عنه شيئاً. ولم يكن حظ الذين سبقوه أو خلفوه في ولاية دمشق وغيرها من الولايات خيراً منه^(٣).

انصرف كتمّ الوالي في ولايته إلى المحافظة على الوضع القائم فيها خشية أن يضطرب الميزان بين الجماعات والهيئات والطوائف وأصحاب العصبية لأنه يرى أن اضطراب الميزان يضطره كارهاً إلى شيء من الحركة والنشاط. إلى التدخل فيما لم يكن يودّ التدخل فيه، إلى الاستمانة بقوى لم يكن يودّ إخمادها أو تقليصها، تجلب طوائف من عسكر الدولة أو تظليب فئة في المدينة على أخرى، أو الاستمانة بقوة لصاحب عصبية.

(١) حكم إسماعيل باشا العظم دمشق ست سنوات ثم امتحن وسجن وضودرت أمواله.
(٢) ص ٩٩ من هذا الكتاب.

(٣) مات سليمان باشا العظم وصادرت الدولة أمواله، وأعدم أسعد باشا العظم وضودرت أمواله وسعد الدين باشا العظم حاكم صيدا وضودرت أمواله، وعبد الله باشا الشنجي قتل وضودرت أمواله وغيرهم كثيرون. حتى أصبحت مصادرة أصحاب المناصب المعزولين أو المتوفين تجرى بحري العرف، واعتبرتها الدولة وسيلة تستدرجها أموالاً جمعها صاحب المنصب من طريق غير شرعي، ونظر إليها الناس على أنها جزء من ما كان صاحب المنصب يرتسبه أثناء توليه منصبه، ونظر إليها السلاطين من زاوية أخرى: فقد كانت الهيئة الحاكمة — في الأصل عبيداً للسلطان، ولا كان من حق السيد أن يرث عبده فقد أصبح من حق السلطان، وقد نس على ذلك في بعض القوانين، أن يرث كل أو بعض أملاك أصحاب المناصب المتوفين سواء تركوا ورتة يرثونهم أم لم يتركوا، ثم امتد هذا الإجراء إلى أصحاب المناصب أثناء حياتهم كعقوبة توقيعها الدولة عليهم.

وقد يطالب بعض الموظفين المعزولين أو المتقولين أن (يحاسبوا) حتى يتفادوا المصادرة.

Gibb & Bowen : op. cit., part 11, p. 28 - 30.

إقليمية (كقبض عشائر البدو مثلا) أو طائفية (كالدرروز أو التاولة) ، مع ما ينبع ذلك من تغليب عصبية أو طائفة على أخرى ، واستملائها والعجز عن ضبطها ، حتى واتيته فرصة أخرى للعمل وهكذا .

خير ما يفعله الوالي إذن في ولايته أن يتمشى والفكرة العامة التي سيطرت على الدولة ، وعلى المجتمعات حينذاك ، وهي فكرة المحافظة على الحالة القائمة ، وعلى تزويد نفسه وحكمه بأسباب الحماية ، لا يكفي أن يظل قابضا على الليزان بين أصحاب الناصب والوصيات وطوائف الأجناد ، ولكن ينبغي عليه أن يتزود بأسباب القوة فيجمع لنفسه قوة عسكرية خاصة يحمي بها ويدفع بها كيد خصومه ، وهو مضطر إلى إرضائها بأن يطلق أفرادها يرعون في أرزاق الناس وأعراضهم ، ريثما تواتيه الفرصة للتخلص منهم واصطناع غيرهم وهكذا . لأنه يعلم أن القوة هي وحدها التي تكفل له الاحترام من رعاياه ، حتى إذا أحسوا منه شيئا من الضعف أو لخطوا على مركزه شيئا من الاضطراب استهانتوا به وشاغبوا عليه . كان سليمان باشا حاكما قويا عادلا صاحب خيرات ، ولكن ما أن تأخر وصول فرمان التمرير له بالولاية حتى « لعظت الأراذل والأسافل بالقول والفعل وأظهروا بدعا كثيرة من محض الحرام ، ولا زالوا على تلك الأحوال حتى جاء فرمان » (١) .

ومات سليمان باشا وخلفه ابن أخيه أسعد باشا العظم ، قبدأ حكمه هادئا بل خانعا حتى استصفت الدولة أموال عمه وأهانت حريمه وأهله ، والباشا لا يحرك ساكنا ، حتى احتقره العسكر وراحوا يطلقون عليه ألقاب السخرية ، فكانوا يسمونه « سعدي خاتم » حتى إذا وجد الباشا الفرصة لللائمة نهض إليهم وأمعن فيهم فتكاوتشريدا فها به الجميع (٢) وهذا قاض عرفت عنه الاستقامة والقناعة والتواضع والسخاء الكثير ، ولكن « لما كان لا يأكل الرشوة ولا يعيل في دعوى فقد مال عليه أهل الشام » وسعوا حتى عزلوه « كما هي عادتهم قديما » (٣) .

(١) ص ١٧

(٢) ص ٦٠ - ٦٩

(٣) ص ١٣٢ ، وشيخه بهذا ما ذكره المبرتي عن استهانة الفلاحين في بعض القرى المصرية بالتراب من الذين يمنون بمعاملة فلاحهم ، ولا يلجأون إلى ما اعتاده الفلاحون من العف والظلم .

ولا شك في أن روح (المحافظة) التي سادت الحياة في الولايات العثمانية في العهد العثماني الأول - أي حتى القرن التاسع عشر - قد مكنت أهلها من الحفاظ على قوميتهم ومقوماتهم الأصلية ، واحتفظت لهم بهذا التكتل الذي كان سمة الحواضر العربية في عصورها (الإسلامية) ، وهو الذي مكن لهم في البقاء وأعانهم على الصمود لفساد الحكم ، وإن كانت روح المحافظة قد أدت إلى الجمود والركود والتأخر وإهمال مرافق البلاد وشيوع روح التواكل ، إلى أن بدأت تفد منذ القرن التاسع عشر عناصر غربية ، هزّت روح المحافظة وأحلت محلها سياسة التجديد، وغيرت ولا تزال تغير وجه الحياة فيها يوما بعد يوم .

* * *

هذه صورة عامة للعصر الذي عاش فيه البديري من القرن الثامن عشر، وهي صورة تنطبق على دمشق، كما تنطبق على حلب والقاهرة وبغداد وغيرها من حواضر الولايات العربية في ذلك العصر ، لأن النظم الأساسية للحكم واحدة والأوضاع العامة لمجتمعاتها واحدة .

في هذا العصر وصلت أزمة الحكم والمجتمع في هذه الولايات إلى ذروتها ، حقا إن البديري لم يتعمق أسبابها وعواملها على نحو ما تفعل ، ونحن ننظر إلى الصورة من بعيد ، ولكنه عاش في دوامة أحداثها ولفحه شواظها فأحس به إحساسا قويا ، دفعه إلى تسجيل ما رأى وما سمع ، فكان من ذلك هذا الوصف الذي قدمه لنا في «حوادث دمشق اليومية» لطرز من الحياة في حواضرنا الإسلامية اندثر وباد .

* * *

ولن نعالج في هذه المقدمة كافة الموضوعات التي تعرض البديري لأحداثها بالتسجيل في كتابه «حوادث دمشق اليومية» ، ولكن سنكتفي بموضوعات ثلاثة ، هي في رأينا أبرز موضوعات الكتاب وأكثرها استثناءا باهتمام مؤلفه ، وليس من شك في أن معالجتها - بما كتبه البديري وبما كتبه آخرون - يكمل أو يوضح بعض جوانب الصورة التي نعمل على رسمها للعصر العثماني بعامة ، والقرن الثامن عشر بخاصة ، وهذه الموضوعات هي :

١ - باشوات الشام من بني العظم : وقد شغلت الجانب الأكبر من كتاب البديري حوادث الشام في عهد وزيرين من بني العظم ، هما سليمان باشا وأسمد باشا ، (١٧٤١ - ١٧٥٨) . كما ذكر البديري طرفاً من أخبار بعض الباشوات الآخرين من بني العظم ممن تولوا باشويات سورية أخرى ، كسعد الدين باشا وإلى طرابلس وصيدا وحلب ومصطفى باشا وإلى صيدا .

٢ - طوائف الأجناد في دمشق ، وقد شغلت انباء قتها الجانب الأكبر من اهتمام البديري ، واهتمام الناس في ذلك العصر .

٣ - الحج الشامي ، وقد استأثرت أنبأؤه في طوعه ورجوعه وما جرى له في الطريق بأعظم اهتمام من البديري ومن الناس ، حتى يمكن القول إن الناس كانوا كأنهم « يسكون قلوبهم » بأيديهم حتى يعود الحاج سالماً ، فتمام الزينات ومعالم الأفرح .

* * *

باشوات الشام من بني العظم :

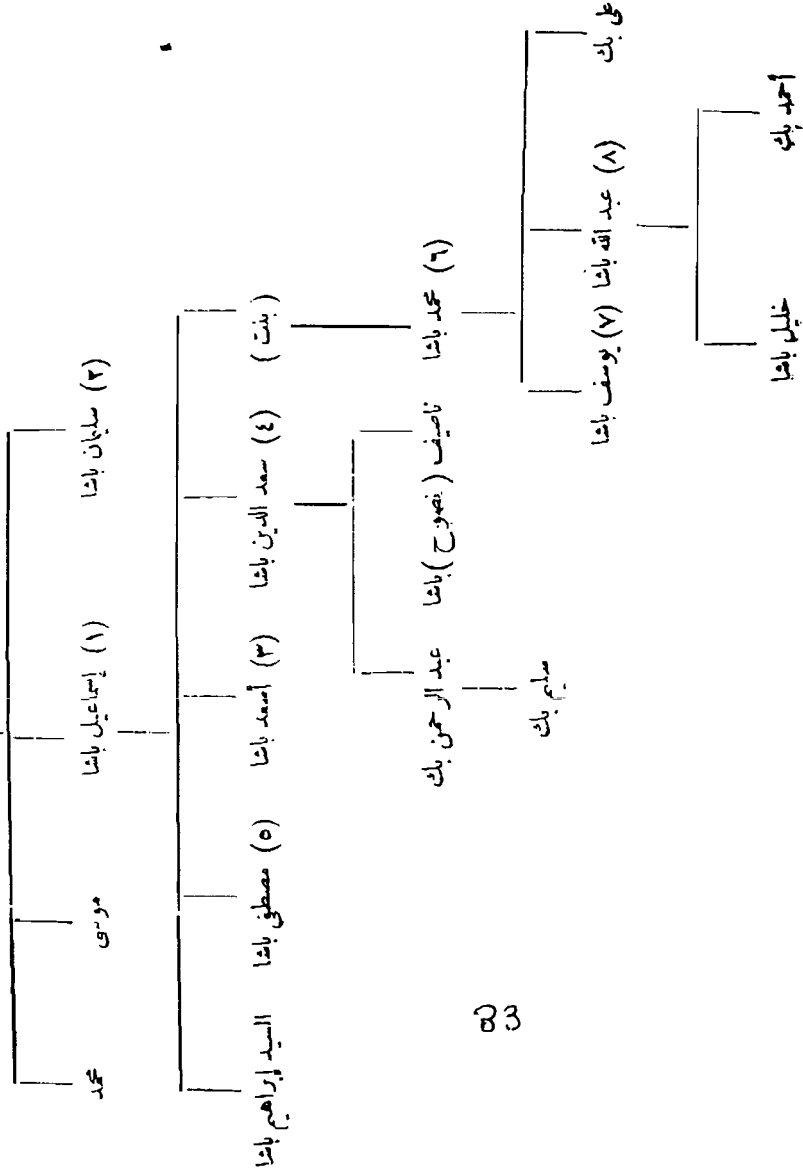
اختلف الباحثون في أصلهم ، فمن قائل إنهم أتراك من قونية ، ومن قائل إنهم عرب من معرة النعمان (بقرب حلب) . وسواء أكانوا تركاً أم عرباً فقد أقام أكثرهم في بلاد الشام . ومنهم من بنى المدارس وقرَّب العلماء والشعراء ، وظهر عظمير الحكام العرب ، وقدرت الدولة فعلا هذه الناحية فيهم فاستخدمتهم في الولايات السورية ، حتى جاء وقت كان يشغل منصب الباشوية في دمشق وحلب وطرابلس وصيدا في القرن الثامن عشر بأشوات منهم ، كما استخدمتهم في بعض الولايات العربية الأخرى كحصر والموصل ، ثم خشيت الدولة أن يؤدي طول مقامهم في الولايات السورية إلى استقراءهم فيها وتأليفهم قوة يخشى جانبها ونشوء أطاع انفصالية لهم ، فمصفت بهم وعنتهم عن سورية ، وكان جزاء أكثرهم من الدولة القتل والمصادرة .

وأول من عرف من آل المظم هو « إبراهيم العظم » ، كان جندياً سكن وأسرته في معرة النعمان ، وخدم بها ، واشترك في حرب قامت بين أهلها وبعض عشائر التركمان الذين كانوا يقدون إليها شتاء (١) .

ثم آل الحكم في المعرة لابنه :

(١) محمد كرد علي : خلع الشام ٢/٢٨٧ ، ٢٨٩

إبراهيم العظم



١ — إسماعيل باشا العظم (١) :

حكّم في المرة أولاً، ثم انتقل منها إلى حماة وحمص برتبة الروملي (أوبكركي أي أمير أمراء) وهو باشا صاحب طوخين، وأذيلين . وكانت حماة وحمص إذ ذاك مستنقبتين من باشوية الشام أو دمشق ، ثم جاءته رتبة الوزارة ، أي الباشوية بأطواخ ثلاثة ، وولى ولاية طرابلس ثم انتقل منها في سنة ١١٣٧ (١٧٢٤ — ١٧٢٥) إلى ولاية دمشق ، فكان أول باشواتها من بني العظم ، وأقام بها والياً ست سنوات ، ثم عزل وامتنحن وحبس بقلعة دمشق ، وصادرت الدولة أمواله وأموال ذويه ، ثم أطلق سراحه وتولى على خانته .

٢ — سليمان باشا العظم :

أخو إسماعيل باشا، تولى باشوية صيدا ، ثم نقل منها إلى باشوية الشام (١١٤٦) وأقام بها خمس سنوات (١٧٣٣ — ١٧٣٨) ثم نقل إلى ولاية مصر في سنة ١١٥٢ (١٧٣٩) . ولكنه لم يمكث بها أكثر من عام ، فقد ساءت علاقته بأمراء المماليك، وأراد إيقاع فتنة بينهم ، بل إنه دبر مكيده للفتك بعدد من رؤسهم ، ولكن خصومه تجمعوا عليه ، فأراد الاحتباء بباب الانكشارية ، فرفضوا حمايته ، وأرسل الأمراء رسولا إلى السلطان ، فقرر عزله من ولاية مصر وأعادته إلى ولاية دمشق ، فوليا للمرة الثانية في سنة ١١٥٤ (١٧٤٣) ، وأقام بها ثلاث سنوات ، حتى مات محاصرا قلعة طبرية للشيخ ظاهر العمر .

وسليمان باشا أول من تحدث عنهم البديري من باشوات الشام من بني العظم ، وقد أشاد البديري بأفعاله في الشام — في ولايته الثانية — كمحاولته إصلاح أمر الجند ومطاردته الأشقياء (أو الزرباوات) منهم (٢) وحمايته للحاج الدمشقي عندما دهمهم سيل جارف في الحسا والقطرانة ، حتى « عدّوا هذه النقبة لثله من المهمم العالية والروءة السامية » (٣) وتعمير نهر القنوات وترميمه من ماله الخاص ، وهذا « ما سبقه

(١) انظر الجدول المواجه لأسرة العظم ، وقد استطلنا أن نقيم هذا الجدول من تراجم وأخبار بني العظم الشنتة في مصادر مختلفة كالبيديري والمرادى والقار والتارى وحيدري الشهابي والجزري . وقد أعطينا المشهورين منهم أرقاما اتبناها في المتن أيضا حتى يسهل استخدام هذا الجدول .

(٢) س ١٨ — ١٩

(٣) س ٣٦ — ٣٧

إليه أحد من عهد إصلاحها من أيام التيمور»^(١) .

وقد شغل الباشا أكثر وقته في محاولة إخضاع الدروز وأميرهم إذ ذاك الأدمير ملحم النهاي ، وكان قوى الشخصية ، بذل جهودا كبيرة لدعم سلطان الأمراء النهايين في جبل لبنان، ولما خرج ظاهر العمر - الزعيم البدوي في فلسطين - على سلطان الدولة حاربه سليمان باشا ، حتى مات أثناء حصاره قلعة طبرية ، على أن هذه الخدمات لم تشفع له ، فإذ وصل نبأ موته - وقيل مات مسموماً - حتى بادرت الدولة فأرسلت للشام مندوباً خاصاً صادر أموال الباشا وأملاكه وأهان حريمه وسجن أهله وأعوانه ، حتى استخرج أموالا وجواهر كثيرة ، وتسامع الناس بذلك فغيروا رأيهم في الباشا ، «ولهبجوا بالدم والنكال ، وقالوا قد جوع النساء والرجال والبهائم والأطفال ، حتى جمع هذا المال من أصحاب العيال ولم يراقب الله ذا الجلال»^(٢)

٣ - أسعد باشا العظم :

وخلفه في ولاية الشام ابن أخيه (إسماعيل باشا) أسعد باشا العظم . وكان قبل ذلك حاكماً بجمه - شأن أكثر الحكام من بني العظم - وقد أقام والياً بدمشق أربعة عشر عاماً متوالية (١١٥٦ - ١١٧٠) فكان أطولهم حكماً ، وقد شغلت أبناء حكمه الجانب الأكبر من كتاب البديري^(٣) .

تولى ولاية الشام في ظروف صعبة ، فالدولة تستصفي أموال عمه وتحبس حريمه وأتباعه ، وقد تدار الشام بعينها على ذلك ، وجند الانكشارية المحلية قد - ٧٠ -
فوق كل سلطان ، حتى استبدوا بالناس وأسأوا إليهم في أموالهم وأعراضهم وكرامتهم^(٤) ، واستهانوا بالباشا فأطلقوا عليه ألقاب السخرية والتحقير ، والغلاء الفاحش قد استبد بالناس ، حتى ناروا وذهبوا يشكون إليه ، فأحلمهم إلى القاضى ، فذهبوا إليه ورجوم ورجاله بالحجارة ، ونهبوا المحككة وهرب القاضى فوق أسطح المنازل^(٥) ، والحرب ضد الدروز وظاهر العمر كانت لا تزال قائمة ، فالحاجة إذن ماسة إلى بسط النظام والأمن في المدينة .

(١) س ٤

(٢) س ٥٥

(٣) س ٤٧ - ١٩٩

(٤) س ٦٢

(٥) س ٦٣

وقدّر الباشا أن علة اللال كامنة في اختلال أمر العسكر، وخاصة الإنكشارية المحلية. ولكنه لم يستطع معالجة الداء من أساسه ، فهذا أمر عجزت عنه الدولة نفسها ، فقع بأن استجلب من الدولة فرقا من عسكرها (القبول) واستخدم فرقا من الدلاة هزم بهم الانكشارية وأذلّم ، ولكن هذه الفرق لم تكن أقصر من الانكشارية باعا في الفتنة والاعتداء على الناس .

وأصبح الباشا عزيز الجانب إذ « أرهب النكبار والصغار وعظم صيته حتى في البرارى والقفار »^(١) ، حتى هابه المشائر البدوية ، فلم تجرؤ على الاعتداء على قافلة الحج الشامى طوال عهده .

وشغل الباشا ببناء قصره العظيم ، « فلم يلتفت إلى رعاياه وأنصاره ، ويقول اتونى بحجارة الرمر والرخام والسرور وتفتنوا بالبناء والنقوش والتحلية بالذهب والفضة . . غير أن أهل الشام في أ كدار من غلاء الأسعار وبخل التجار واتسداد الأحرار وضعف الصغار وعدم رحمة الكبار ، والحكم لله الواحد القهار »^(٢) .

ولكن الدولة كانت تملى له ، فتركته يجمع الأموال ويبنى القصور ، بل إن السلطان أرسل له هدايا ثمينة وفرمانا « فيه تفخيم كثير » ، وعينت أخويه أحدهما على طرابلس والآخر على صيدا ، وإذا بها — فجأة — تأمر بنقله إلى حلب (١١٧٠ = ١٧٥٦) ومنها إلى مصر ، لولا أن تمسك به أهل حلب ، مما زاد في حنق الدولة عليه ، فأمرت بقتله ومصادرة أمواله وأملاكه ، وكأن لم يكن بالأمس شيئا .

وقد بلغ من قوة شخصيته وما كان يتمتع به من هبة أنه ما كاد يخفى من دمشق حتى أطلت الفتنة برأسها ، فعاد الجند إلى الشغب والعدوان ، ونهب البدو قافلاتي الجردة والحج ، ونكبوا الحاج نكبة لا مثيل لها ، « وصارت أمور وأهوال في دمشق الشام ما وقعت في سالف الأزمان »^(٣) .

٤ — سعد الدين باشا العظم :

هو أخو أسعد باشا من أبيه إسماعيل باشا العظم ، رفته السلطان إلى رتبة الوزارة في سنة ١١٥٩ (١٧٤٦) مكافأة لأخيه على بسطه النظام والأمن في المدينة

(١) ص ٧١

(٢) ص ١٤٥ ، ١٥٣

(٣) ص ٢١٩

بالتك برؤساء الانكشارية ، وجمله السلطان واليا على طرابلس ، وعهد إليه بسرارية الجردة ليكون معنأ لأخيه في الدورة وإمارة الحج^(١) وقاتال الدوروز^(٢) ثم نقل إلى باشوية حلب في سنة ١١٦٤ (١٧٥٠) محتفظاً بسرارية الجردة^(٣) ، ثم أعيد إلى طرابلس . حتى إذا تحولت الدولة عن بني العظم وعزمت على تشيبتهم نقلته إلى ولاية مرعش سنة ١١٧٠ (١٧٥٦)^(٤) ، ثم إلى جدة^(٥) سنة ١١٧٣ ، ثم جاء الأمر بعزله وضبط ماله ، « ونقل الثقات أنه خرج عنده مبال عظيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »^(٦) .

٥ - مصطفى باشا العظم :

نال له أخوه أسعد باشا الوزارة وولاية صيدا في سنة ١١٦٠ (١٧٤٧) ، إذ كان في حرب مريرة ضد دروز لبنان وعلى رأسهم الأمير ملحم الشهابي ، وكان يهجم أن يكون على باشوية صيدا — وقد أنشئت في سنة ١٢٦٠ خصيصاً للإشراف على شئون جبل الدوروز (أو جبل لبنان) — باشا يكون متمشياً مع سياسة باشوية الشام إزاء الدوروز . وكان باشا صيدا في ذلك الوقت — محمد اشأ — لا يميل إلى سياسة العنف ضد الدوروز ، وطالما نصح أسعد باشا بالإقلاع عن هذه السياسة ، ولما كانت الدولة إذ ذاك راضية عن أسعد باشا فقد أجبته إلى ما طلب ، وعينت أخاه مصطفى باشا والياً على صيدا ، « حتى يعمل بالجبل ما أراد » على حد تعبير البديري^(٧) .

وبقي مصطفى باشا والياً على صيدا حتى تحولت الدولة عن بني العظم ، فنقلته في سنة ١١٧٠ (١٧٥٦) إلى ولاية أدنة^(٨) وبعد قليل إلى ولاية الموصل^(٩) .

(١١) س ٨٤

(٢) أشار الأمير حيدر الشهابي في تاريخه (٣٦/١) إلى أن أسعد باشا العظم كان يكنى الأمير ملحم أمير الدوروز أعظم الكراهية فيما كان أخوه سمه الدين باشا بودء .

(٣) وبسبب ذلك اشتط في طلب المال من أهل حلب فمصوه وشكوه للدولة .

(س ١٦٠)

(٤) س ١٩٩

(٥) س ٢٢١

(٦) س ٢٣٥

(٧) س ١٠٠

(٨) س ١٩١

(٩) س ١٩٩

هو حفيد إسماعيل باشا العظم من بنت له. وهو من مشاهير آل العظم وكبرائهم. لازم خاله سعد الدين باشا في حلب، وطرابلس، وبعد وفاة خاله أنعمت عليه الدولة برتبة أمير أمراء (أى باشا بطوخين) ثم رتبة الوزارة (أى باشا بثلاثة أطواخ) وولته والياً على صيدا سنة ١١٧٦ (١٧٠٤)، وبعد عام نقل منها إلى حلب. وكانت له سيرة طيبة في حكم حلب إذ أبطل بها كثيراً من البدع، وانتقل منها إلى أورفة (الرها)، ثم عاد إلى صيدا، ثم نقل إلى قونية ومنها إلى دمشق سنة ١١٨٥ (١٧٧١)، فكان أول من وليها من بنى العظم بعد نقل أسعد باشا منها منذ خمسة عشر عاماً، وأقام والياً بها حتى وفاته في سنة ١١٩٧ (عدا فترة قصيرة في ١١٨٦) وكانت أيامه بها على حد تمييز الرادى «مواسم أفراس»^(١)، وقد عمر في دمشق أبنية كثيرة، وقرب إليه العلماء والأدباء وراجت في أيامه سوق الشعر، وقد قاتل بعض الخارجيين على الدولة، ومنهم هلى بن الشيخ ظاهر العمر.

هو ابن محمد باشا العظم، تولى أولاً باشوية حلب في سنة ١١٩٥^(٢) (١٧٨١)، ويبدو أنه كان سيء السيرة في الحكم، فإنه لما عين بعد ذلك والياً على طرابلس (سنة ١٢١٥ = ١٨٠٠) رفض أهلها أن يسمحوا له بدخول المدينة، بل أخرجوه من ميناها وحاربوه بضعة أيام، حتى اضطروه إلى الرحيل إلى اللاذقية^(٣).

هو ابن محمد باشا العظم أيضاً، وكان آخر من تولى الأحكام من بنى العظم^(٤) تولى ولاية حلب سنة ١٢٠٨ (١٧٩٣) ورأت الدولة ضعفه إزاء طغيان الجند الإنكشارية فغزته، ثم ولاء الصدر الأعظم يوسف باشا ضيا — أثناء تقدمه لقتال الفرنسيين في مصر — على دمشق، وكانت له حروب مع أحمد باشا الجزائر، وفي عهده توالى إغارات (الوهايين) على سورية، حتى وصلوا إلى جهات حوران

(١) سلك الدرر ج ٤ ص ٩٧ — ١٠٢

(٢) التزى: نهر الذهب في تاريخ حلب ج ٣ ص ٣٠٨

(٣) الأمير حيدر الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ج ١ ص ٢٠٥

(٤) محمد كرد على: خطط الشام ج ٣ ص ٤٤

واتهم عبد الله باشا بالميل إلى مبادئهم ، وظهر للدولة عجزه عن مدافعهم ، فعزلته عن دمشق ، ونقلته إلى أورفة ، ثم صدر الأمر بعزله ورفع أطواخه وإقامته في حماة (١) .
 ونمة آخرون من بنى العظم تولوا حكم بعض الجهات في سورية ، وإن كانوا أقل شهرة ممن تكلمنا عنهم أو معلوماتنا عنهم ضئيلة ، كعبد الرحمن بك أو رحمون بك ابن سعد الدين باشا العظم ، وقد ولى حكم طرابلس (٢) ، وعبد الرحيم بك العظم كان حاكماً للحمص سنة ١١٨٩ (١٧٧٥) (٣) ، و خليل باشا والى طرابلس سنة ١٢١١ (١٧٩٦) (٤) و يحيى بك متسلم حماة سنة ١٢٢١ (١٨٠٦) (٥) وسليم بك متسلم حماة سنة ١٨١٧ (٦) :

ومن بنى العظم من اتصل بمصر وأحداثها ، نعرف منهم :

ناصريف (أو نصوح) باشا العظم :

وهو ابن سعد الدين باشا العظم ، يبدو أنه فر من سورية على أثر موت أبيه ومصادرة أمواله وأملاكه ، فأتى إلى مصر لائذا بالأمر المملوكي مراد بك ، حتى إذا وصلت حملة بونابرت إلى مصر في سنة ١٧٩٨ بعث به مراد بك في السفن التي خرجت في فرع رشيد للاقاة الفرنسيين وعرقلة تقدمهم صوب القاهرة ، ثم فر ناصريف باشا إلى الشام مع من فر من أمراء المماليك والعثمانيين بعد هزيمتهم ، ثم عاد إلى مصر في صحبة الجيش العثماني الذي وصل تنفيذاً لاتفاقية الجلاء التي عقدت في العريش ، وشهد معركة هليوبوليس حيث هزم الفرنسيون بقيادة كبير جيش الصدر الأعظم ، ولكنه تسلسل إلى القاهرة مع من تسلسل إليها من العثمانيين وغيرهم ، وقام بدور بارز في إثارة الناس على الفرنسيين ، فقد قام — على حد تعبير الجبرتي — و« شمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى » ، وبالغ إذحرض على قتل النصارى وعلى ارتكاب كثير من أعمال السلب والنهب ، حتى إذا أخذ الفرنسيون ثورة القاهرة اعتذر الناس للقائد الفرنسي « بأن هذا من فعل ناصريف باشا » (٧) .

(١) الأمير حيدر : لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ج ٣ ص ٦٠٣

(٢) مذكرات لبنان ص ٦٨ ؛ والأمير حيدر ج ١ ص ١٩٩

(٣) المرادي : ج ٣ ص ١٥

(٤) الأمير حيدر : ج ١ ص ١٨٢

(٥) المصدر السابق : ج ٢ ص ٥٠١

(٦) المصدر السابق : ج ٣ ص ٦٣٧

(٧) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٣ ص ١٠٤، ٩٧، ٩٦ ؛ والأمير حيدر : ج ٢ ص ٢٢٦

٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ؛ ونقولا الترك : نشرة قبت ص ٨٠

وذكر الجبرتي^(١) أن مصطفى باشا النابلسي من « أولاد المظم » حضر إلى مصر لاجئاً لدى محمد بك أبو الذهب ، فأكرمه ورتب له الرواتب ، وتوسط له لدى الدولة ، وطلب له ولاية مصر ، فأجيب إلى طلبه .

ولما كنا في معرض ذكر الحكام من بنى المظم يصح أن نذكر آخرهم « حقي بك المظم » رئيس الدولة السورية في عهد الانتداب الفرنسي .

* * *

طوائف العسكر في دمشق:

وعلة العلل في فساد الحكم واضطراب المجتمع اختلال العسكر العثماني في العاصمة والولايات ، وقد بدأ هذا الاختلال في القرن السادس عشر ، ثم اشتد في القرن الثامن عشر . وفي هذا القرن أيضاً بدأ السلاطين المحاولات الأولى لإصلاح العسكر . وقد جاء هذا الاختلال نتيجة لمحاولة استدامة نظم وضعت في وقت كانت فيه الدولة قوية ورفعتها محدودة ، إلى وقت ضعفت فيه الدولة — أو بتعبير أدق السلطة الحاكمة القابضة على زمام القيادة والزعامة ، وهم السلاطين — وعظم اتساع الدولة وتمددت عناصرها وبالتالي مشكلاتها . وانتهى الأمر بأن ظلت هذه النظم قائمة حقاً ، ولكن على الورق . وبقيت قوات يطلق عليها أو تطلق هي على نفسها اسم الانكشارية ، ولكن شتان بين انكشارية القرن الثامن عشر وانكشارية القرن الخامس عشر ، فقد اختلفت عنها عنصرها وتكوينها ونظامها وتسليحها وقيادة ... الخ . وبقيت قوات يطلق عليها أو تطلق هي على نفسها اسم الاسباهية ، ولكن شتان بين اسباهية القرن الثامن عشر واسباهية القرن الخامس عشر ... وهكذا .

أهملت الدولة تجديد جندها في الولايات ، وصمحت لكل وال ولكل صاحب عصبية بأن يجمع لفسه ما يشاء من جنس ، وهكذا تعددت طوائف الأجناد ، ووجدت في الأباطورية أصناف من الناس ، بل من المصائب ، تطوف في أنحاءها ومهمتها الأصلية السلب أنى وجدت له سيلا ، وهي في الوقت نفسه تعرض خدماتها على الولاة وأصحاب المصائب ، ولكن تحوّلهم إلى عسكر لم ينسهم قط صفتهم الأصلية ، فكانوا رجال عصابات وقطاع طرق أكثر من أن يكونوا جنوداً .

(١) الجبرتي: ج ١ ، ص ٤٢٣

وطبيعي أنهم حرصوا على استدامة الامتيازات التي كان يتمتع بها الأجناد في الدولة ، عندما كانوا أجناد حقاً ، من مرتبات وعلوفات وحكم ذاتي واستعلاء على الطوائف الأخرى من غير المسكر وهكذا .

وهذه الامتيازات كان المجتمع الإسلامي قد أضفهاها على طوائف الأجناد منذ أسند إليها مهمة الدفاع عنه زمن الإغارات الصليبية والمغولية ، وفي سبيل القيام بهذه المهمة قبلت الطوائف الأخرى — من غير المسكر — أن تنزل عن مكان الصدارة في المجتمع لطوائف الأجناد ، وتقتنع بأن تكون أدوات إنتاج لتغذية الجهود الحربية . ويكفي في هذا المجال أن نذكر أن الأراضي في الدولة الإسلامية أصبحت إقطاعاً للأجناد ، يأخذونها — حسب رتبهم — لتكون بمثابة مرتبات أو أجزأاً . كما رصدت الأجناد موارد معاومة من دخل البلاد .

حتى إذا انتهت الأزمة ، ووقفت الحرب ، وقامت (الهدنة) بين دار الحرب ودار الإسلام ، عملت طوائف الأجناد على أن تستديم لنفسها المركز الممتاز الذي نالته أيام الحرب . ولكنها — من ناحية — لم تعد وفقاً على المسكر وحدهم ، إذ دخل في سلكهم رجال العصابات وأرباب الحرف والمشتغلون بالفلاحة ... الخ ، حتى أصبحوا يعملون في كل شيء إلا (الجندي) ، ومن ناحية أخرى حرصت الطوائف الأخرى من غير الأجناد على أن ترفع من مكانتها لتتال نصيبها الحظ في المجتمع فلا تكون موضع استغلال وعدوان مستمرين . ومن هنا امتلأ تاريخ الولايات العثمانية بأخبار المنازعات بين طوائف المسكر ، وبينها وبين الطوائف الأخرى من غير المسكر . والجبرتي والبديري وأمثالهما من كتاب الحوليات في القرن الثامن عشر يقدمون لنا أمثلة كثيرة من هذا الاضطراب والفساد . فلنحاول الآن أن ندرس أحوال المسكر في دمشق في القرن الثامن عشر ، مما أورده البديري بصفة خاصة .

كان المسكر في دمشق في ذلك العصر ينتمون إلى طوائف شتى :

- ١ — جنود الدولة ؛ وقد عرفوا باسم « القبوقول » أي عيد الباب أو حرس السلطان ، وهم أنكشارية الدولة وكانوا جنداً مشاة .
- ٢ — الإنكشارية اليرلية ، أو المحلية أو البلدية ، وهم من أبناء الشام ، وكانوا من الفرسان (١) .

(١) يلاحظ أن جنود الإنكشارية كانوا منذ تكوينهم مشاة ، أما الإنكشارية المحلية فكانوا فرساناً .

٣ - أخلاط شق يستخدمه الباشا وقت الحاجة كالغاربة - وهم مشاة ،
وإذ كراد والتركان وهم فرسان ، ويطلق عليهم أحياناً اسم اللوند وأحياناً اسم
الدلاية أو الدلاة .

ولا نعرف على وجه التحديد متى وكيف حدث انقسام الجند إلى إنكشارية قول
أو إنكشارية الدولة ، وإنكشارية يرلية أو محلية ، وأكبر الظن أن الإنكشارية
الحلجية كانوا في أول الأمر بقايا فرق الإنكشارية المعروفة في الدولة العثمانية ممن
أقامهم السلاطين العثمانيون عقب فتح سورية حمايات في ولاياتها ؛ ثم أهملت الدولة
تجديد هذه الحمايات ، فنجأ رؤساؤها - وقد طال مقامهم في تلك البلاد -
إلى تجديد أخلاط من أبناء الشام من أهل الحرف والصناعات وغيرهم^(١) ، حتى أصبح
يطلق عليهم اسم (إنكشارية يرلية أو بلدية) أو (إنكشارية الشام) أو جند الشام
أو أولاد الشام .

وكانوا طوائف أو عصابات تتبع كل منها رئيساً ، والرياسة متوارثة في بيته^(٢)
ولهم بيوت وقرى موقوفة عليهم^(٣) . وكان الظن - وهم من أولاد الشام - أن
يكونوا حمتى لأهل الشام ضد طغيان الحاكمين أو عدوان طوائف الجند الأخرى ،
ولكنهم سرعان ما سرت إليهم عدوى الاستملاء والاستبداد والطغيان ، وكانوا على
أهل دمشق وغير دمشق حرباً وشرّاً مستطيراً .

أقول غير دمشق ، لأن حلب كانت في العصر العثماني - من الوجهة العسكرية -
تابعة لدمشق ، أي أنها لم تكن مركز حامية عثمانية ، فكانت دمشق تبث إليها بعض
فرقها من الإنكشارية « للمحافظة عليها » ، فسرعان ما تحولوا إلى الاستبداد

(١) ذكر المحيي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١٢٩/٢) في ترجمته
« لندا وردى بن عبد الله الطاغية أحد كبراء جند الشام » في القرن السابع عشر أنه « استتب
رعاعاً وجسماً لا استغفهم فأطاعوه . . . وكان هو وأحفاده قد عاثوا في البلاد وقتلوا ، ومنه
كانت نشأة فساد العسكر الشامي وطمعانهم » .

(٢) ذكر المرادى في سلك الدرر (٦٣/٢) في ترجمته لحسين بن موسى باشا المعروف
بإبن حسن التركاني الأصل الدمشقي المبدئي أنه « من رؤساء الأجناد وكبراء أو جاني الإنكشارية
(الإنكشارية) . . . وهو وأسلافه لهم قدم في الرياسة . . . ربما كانوا مع توابعهم ولواحقهم
وأقاربهم يقاربون ربح العسكر » .

(٣) انظر ترجمة المرادى (١٠٧/٢) لدرويش بن عبدالله الخنق آغت (أغا) أو جاني
الإنكشارية البرلة في سنة ١١٥٧ .

باهلها : « كان يذهب منهم في كل سنة طائفة إلى حلب وينصب عليهم سردار من كبارهم ... وتقووا في حلب وفتكوا وجاروا ... حتى رهبهم أهلها وهاجرتهم كبراًؤها واستولوا على أكثر قرأها ... بحيث قلت أموال السلطنة وصارت أهالي القرى كالأرقاء لهم»^(١). وتصدى لهم الحلبيون ولكنهم هزموا ، وصفا الوقت الدمشقين ووضعوا أيديهم على أكثر موارد المدينة ، فرض والى حلب أمرهم على السلطان فأمر بإجلائهم عن حلب ، وتصدى نصح باشا هذه المهمة وحاربهم حرباً عنيفة حتى تعقبهم إلى دمشق ، « وانقطع أمرهم عن حلب وعن سرداريتهم فيها » . وعاق المحي على ذلك : « وليته انقطع عن دمشق أيضاً ، فلمعمرى إن بلدة تأمن غوائلهم ولا ترى مصائبهم ونوازلم لهمى أمانة من جميع الصائب مدفوع عنها بلطف الله تعالى جملة النوائب ، فإنهم مدار كل ضرر آجل وعاجل ، وليس لهم تالله نفع ولا تخمهم طائل » .

وقبلت الدولة رجاء والى حلب ، فأذنت له بتكوين قوة عسكرية خاصة بحلب ، فكون « قولاً جديداً ورتبه على هيئة قول الشام »^(٢) .

أما دمشق فقد قاومت فيها الدولة جند الإنكشارية المحلية بقوة جديدة من إنكشارية الدولة ، أرسلت إليها « نحو الثلاثمائة من جند السلطان المعروفين بالقبوقاية ، فاستقروا بقلعها وتسلموا أبواب المدينة وباب المحكمة والحسبة وسوق الخيل وميزان الحرير وبقية الخدم (أى الوظائف) التي كانت مخصوصة لمسكر الشام » . وزاد والى الشام على ذلك أن دبرمكيدة فتك فيها بعدد من رؤسائهم ، وبذلك ضعف جند الشام أو الإنكشارية المحلية بمض الشيء^(٣) . ولكنهم لم يستلموا قط لسلطان القبوقول ، بل عادوا في أواخر القرن السابع عشر إلى شيء من سابق قوتهم^(٤) ، وامتلاً تاريخ دمشق منذ منتصف القرن السابع عشر حتى قيام الحكم المصري في سنة ١٨٣١ — بأخبار النزاع العنيف المستمر بين هاتين الطائفتين من الجند .

والبديرى في حويلها يتبع فنوناً من هذا الصراع . حاول باشوات الشام أن يسكوا الميزان بين هاتين القوتين المتخاصمتين ، فكانوا يملون إلى إحداها كما طغت الأخرى ، وهكذا . كما أنهم سموا إلى تكوين قوة

(١) المحي : ج ٤ ، ص ، ٤٤٨ وما بعدها في ترجمة نصح باشا .

(٢) النزي : شهر الذهب ج ٢ ص ٢٦٦ — ٢٧٠ .

(٣) المحي : ج ، ٤ ، ص ، ٣١١ .

(٤) المصدر السابق : ج ٤ ص ٣٣١ — ٣٣٢ .

عسكرية خاصة بهم يستعينون بها على أولئك وهؤلاء ، من هذه الأخطاط الذين كانت تمتلئ بهم بلاد الشرق الأدنى ، من المغاربة والأكراد والتركمانيين وغيرهم ممن لا تربطهم بالبلاد عائلات أو عصبية ، ولكنهم لم يكونوا خيراً من الآخرين ، وكان الباشا يضطر أحياناً إلى أن يقض الطرف عن نهبهم للناس ، ربما توافيه فرصة للتخلص منهم وهكذا .

ازداد طغيان جند الدولة (القبوقول) في الشام ، حتى دعا عليهم « شيخ الشام » الشيخ عبد العلي التالبي (المتوفى سنة ١١٤٣) ، واستجاب الله فيما يروي القارئ (١) لدعائه ، فقرر إخراجهم من دمشق (سنة ١٧٤٠) وأصدر السلطان خطأ شريفاً بإبطال القبوقول من الشام « وأن من استخدمهم أوردتهم مملون بن مملون » (٢) .

فهدأت المدينة « واصطلحت أحوال الناس » (٣) .

وخلال الميدان للإنكشارية البرية فزاد رؤسائهم طغياناً ، حتى استحالوا إلى أشقياء أو (زرباوات) في مصطلح أهل الشام . وحاول سليمان باشا العظم إصلاح هذه الحالة ، فمزم على القبض على رؤسائهم ، وأعلن أن دماءهم مهدورة « وأعطى أسماءهم للدلال » ، ولكنه مجز عن القبض عليهم ، فاضطر - وكان على وشك الخروج للحج - إلى أن يصدر أمراً بالعمو عنهم (٤) .

ومات سليمان باشا وصادرت الدولة أمواله ولم يستطع خليفته ابن أخيه أسعد باشا أن يفعل شيئاً ، فزاد الإنكشارية طغياناً ، وراحوا يحرقون الباشا ، ويطلقون عليه أسماء السخرية .

ولكن أسعد باشا كان يدبر الأمر سرا ، فاستصدر من الدولة إذناً بإبادتهم ، وجمع جموعاً من الدالائيه ، وفاجشوا القلعة فملكوها ، وكانت الحصن الحصين للإنكشارية وهجموا بالمدافع على دور رؤسائهم في حي سوق ساروجة والميدان ، فأحرقوها ونهبوها وملاّت جثث القتلى شوارع المدينة ، « فسكنت بعد ذلك الشام وصارت كقدهج ابن » (٥)

وفر رؤساء الإنكشارية لاجئين إلى الدرروز ، فتقوت واهبهم ، وظلوا يهددون بالإغارة على دمشق ، وخاصة أثناء غيبة الباشا وأكثر القوات العسكرية في الحج .

(١) نشرة النجدي ص ٦٨

(٢) ص ١١٠ .

(٣) البديري : ص ٥ - ٦

(٤) ص ١٨ - ١٩

(٥) ص ٦٩

وهكذا ملك الباشا زمام الموقف في المدينة بأربعةائة من عسكر الدالاية ، ولكنهم ما لبثوا أن مدوا أيديهم ليتقاضوا الثمن من أرزاق الناس وأعراضهم ، وهم على مامم عليهم من فساد - قد تقاعسوا في حرب الدروز ، بينما صمد بقايا الإنكشارية في القتال ، فأنتهم الباشا قائلاً : « تبالكم من أعوان ولن أتخذكم من أنصار ! تأخذون العلاف ، المال وتهربون من الحرب والقتال ، والمتطوعون (يقصد جند الشام من الإنكشارية) يقاتلون لله ورسوله ويتسابقون للحرب مع ما قد فعلت بهم من الفعال من قتل وسلب وخراب ديار » ودعا إليه جند الشام « وأوعدهم بالإحسان والإكرام » .

ولكن الباشا لم يبرّ بوعده خشية أن يمودوا إلى سابق طغيانهم ، بل إنه رأى أن خير ما يفعله أن يطلب جندا من الدولة ، وهكذا عادت للشام بعض فرق القبول ، « فدخلوا بكبر وحر وعتو » و « رجعت دواتهم أحسن مما كانت » (١) .

وكما فعل الدالاية والانكشارية فعل القبول ، فقد اعتزوا واستبدوا بالناس وتطاولوا على الأشراف ، وكانت للأشراف مكاتهم في المجتمع الدمشقي ، وكانوا فئة مسلحة ، وكثيرا ما حملوا السلاح وقتلوا . وأراد أسعد باشا أن يسجل على أهل دمشق اعترافا بأن الأمر لا يصلح إلا بمجد الدولة ، خرج يوما للدورة - أي لجمع مال الدولة من جهات نابلس وعجلون - فدعا إليه علماء المدينة ليسلمهم زمامها أثناء غيابه ، فاعتذروا إليه قائلين :

« يا أفندينا ! نحن أناس منا علماء ومنا فقراء ومنا مدرسون ، وضمتنا مطالمة الكتب وقراءتها . . . فقال لهم : هذا إقراركم ، وكيف وأتم الأعيان . فقالوا : حاشا لله ، إنما أعيان الشام القبول (٢) . وتيقن الباشا أن البلد لا تصلح إلا بهم » ، فدعا رؤساءهم وسلم زمام الحكم في المدينة لهم ، « وكان ذلك منه دهاء » (٣) .

ونقل أسعد باشا من ولاية دمشق (١١٧٠) والحال بين الانكشارية والقبول على ما هو عليه ، فكل فريق حذر من الفريق الآخر متربص له ، ورأى الباشا أن

(١) ص : ٩٣ ، ١٥٩

(٢) لا شك أنهم قالوا هذه العبارة في سخرية صريحة .

(٣) ص : ١١١

يصلح ما بينها قبل رحيله، ولكنه لم يستطع، وعادت الفتنة، ولم تسكن إلا بعد أن
مضى نقيب الأشراف والعلماء بالصالح بينهما، وكتبوا عليهم «حجة بحضور القاضي
والمفتي وأعيان البلدة مضمونها أن كل من تعدى يكون عنده مائة كيس لطبخ السلطان
ودمه مهذور» (١)

ولكن ما أن خرج الباشا للحج حتى عاد القتال بين طوائف الجذر، وتحزبت
بينها أحياء المدينة فقاتل بعضها بعضاً (٢). وانتهز البدو الفرصة فهبوا قافلة الجردة
وقافلة الحج، وكانت نكبة لا مثيل لها.

وجاء إلى الشام وال شديد الراس، عزم على أن يفتك بجند الشام، فجمعوا
جموعهم فبلغت نحو عشرين ألفاً «أظهروا الشجاعة وقلة الخوف منه»، ولكنهم
هزموا أمام جند الدولة الكيفي للسلح بالمدافع الذي ساقه الباشا عليهم، وظل
الباشا يطاردهم في المدينة حتى خارج باب الله، ونهبت دورهم وقتل منهم الألوف
وتسرد الباقون، واعتبر الجند دمشق مدينة للأعداء فتحوها بحمد السيف، فأمنوا
في المدينة والقرى المجاورة لها وأهلها نهباً وسلباً.

وبينا لم يكن الباشا يطعم جنده إلا اللحم والأرز والحز الطيب، يجتمع مئات الناس
على الأفران فلا يجدون خبزاً، «وانتكبت أهل الشام نكبة في ذلك العام ما عهدت
من أيام التيجور والله عاقبة الأمور». وأراد الدمشقيون أن ينهضوا الرد المدوان،
ولكنهم «لم يجدوا أحداً يأخذ يدهم». وافقد الدمشقيون الحماية بعد أن تمزقت
الإنكشارية المحلية أو أوجاق الشام كل ممزق (٣).

وكانت هذه آخر فتنة بين طوائف الجند في دمشق تحدث عنها البديري، ولكن
الفتن بين هذه الطوائف لم تنف، وما زالت دمشق تقاسمها أهوالاً، حتى جاء
الحكم المصري (١٨٣١) فوضع للحكومة والجندية بها نظاماً جديدة.

* * *

(١) ص ٢٠١

(٢) ص ٢٠٢

(٣) ص ١٥ - ٢١٧

الحج الشامى (١) :

وقد استأثرت أنباء الحج بجانب كبير من اهتمام البديرى : فقد حرص في كل عام على أن يتتبع هذه الأبناء ويسجلها ، منذ تفصل قافلة الحج وركب المحمل ، ثم قافلة الجردة من دمشق ، حتى تصل كل منها إلى غايتها في الأرض المقدسة ، ثم تمود قافلة إلى دمشق ، فهو يذكر وقت طلوعها ، ثم عودتها ، وما قد يحدث لها في الطريق من حر شديد أو برد قارس ، من عطش أو سيل ، من رخص أو غلاء ، من أمن أو اعتداء . وهو حريص دائماً على أن ينوّه بمسلك أمير الحج — وهو باشا الشام — إزاء الحجاج وما يلقونه في الطريق . حتى إذا عاد الحجاج سالمين غانمين تنفس البديرى — وتنفس معه الدمشقيون — الصعداء ، وحمدوا الله وأثنوا عليه .

وهؤلاء الحجاج الذين يتجمعون في دمشق ويخرجون منها للحج ، ليسوا من دمشق وحدها ، ولا من سورية وحدها ، وإنما بفضل أهمية موقعها — كأ أكبر مدينة على حافة الصحراء السورية الحجازية وعلى أقصر طريق من الآستانة إلى الحرمين الشريفين — غدت دمشق مركزاً يتجمع فيه الحجاج من بلاد العجم وتركيا وتركستان وغيرها من الجهات الشمالية .

وأصبح لدمشق بذلك لون من القدسية أو الشرف ، حتى دعيت (شام شريف) ووقع على عائق المدينة مسئولية استقبال وإيواء وعموم هذا العدد الكبير من الحجاج من مختلف الجنسيات ، الذين كانوا يتجمعون فيها في وقت واحد معين من كل عام استعداداً للرحيل إلى الحرمين الشريفين .

على أن دمشق أفادت من هذه المسئولية فائدة كبيرة من الناحية الاقتصادية ، فقد كانت مواسم الحج مواسم للتجارة أيضاً ، وقد اعتاد أكثر الحجاج الغرباء أن يحملوا معهم كثيراً من منتجات بلادهم لبيعها في دمشق ليستعينوا بشئها على أداء نفقات الحج ، وكثير منهم يبادلون بمنتجات بلادهم منتجات سورية ، فكانوا بذلك يجمعون بين التجارة وأداء الفريضة . وهكذا كانت خانات دمشق وأسواقها تمتلئ وتمج بخليط عجيب من الناس والأصناف والإبل والحيل ودواب الحمل ، فتروج فيها

(١) موضوع (الحج الشامى) من المباحث الهامة في التاريخ السورى الحديث . وقد ألف في هذا الموضوع كاتب فرنسى كتاباً قيمياً وهو Treason : Le Pèlerinage Syrien, Paris 1937 . ولكن أكثر ما كتبه يتعلق بالقرن التاسع عشر .

حركة التجارة ، وكان أهل دمشق ينتظرون وصول قافلة المعجم باهتمام كبير خصوصا إذا كانت كبيرة العدد ، فانهم يحضرون معهم « ريات ذهب ... ولؤلؤ كبير وصغير وأحجار ومعادن وشال وغير ذلك » ، فيحدث — على حد تمبير البديري — « جبر خاطر لعموم الناس في البيع والشراء » (١) .

ووقع على عاتق وزير دمشق مهمة ضبط الأمن في المدينة أثناء وجود هذا العدد الكبير بها ، ورقابة الأسعار حتى لا يستبد التجار بأهالي المدينة وضيوفها ، ثم مسئولية إعداد قافلتى الحج والحمل الشريف ، وتأليف القوة العسكرية التي ستصحبهما ، والدفاع عنهما ضد أى عدوان محتمل يشنه العدو في الطريق ، وإعداد الآبار ومنازل الحج وحراسها ، وتأليف عشائر البدو بالهدايا والأموال وتوزيع الصرة على أشرف الحجاز وأموال الصدقة وغلالها على فقراء الحرمين ، وربما وجد أمير الحج مشاكل أخرى تنتظره في الحجاز ، حيث الحصومات لا تهدأ بين شريف مكة ومنافسيه من الأشراف ، فإن الإشراف لا شك كانوا يحبون ألف حساب لأمير الحج الشامي ، ولأمير الحج المصري ، فإن كلا منهما كان يقود معه إلى الحجاز قوة عسكرية كفيفة بترجيح الجانب الذي تتحاز إليه . وهكذا غدت مسئولية وزير الشام — برصفه أميرا للحج الشامي — أخطر مسئولياته وعلى نجاحه أو فشله في النهوض بها كان يتوقف مصيره

وقدّرت الدولة خطورة هذه المسئولية ، فكانت تتخير لباشوية الشام — عادة — من كبار رجالها ، وقد رأيت أنها مدت في ولاية أسعد باشا العظم وإمارته الحاج أربعة عشر عاما ، إذ نهض بهذه المسئولية على خير وجه ، ولم يتعرض الحاج في عهده لأذى عدوان ، وقدّرت الدولة الأعباء المالية (٢) التي تطلبها هذه المسئولية من باشا الشام فأغفته من المال الذي كان مقدرا على الولايات الأخرى أن تبتمه إلى الدولة

(١) ص ١٦٦

(٢) قدر فولني (٢٥٩) تكاليف قافلة الحج والحمل بستمائة آلاف كيس (والكيس خمسة جنيهات) ، تنفق في شراء الشعاع والغرب والمجال ومواد التموين وأجر الجمال والأدلاء . ألم هذا عددا ١٨٠٠ كيس اعتمد الباشا أن يوزعها على المشائر الضاربة في طريق الحج . وقال فولني إن الباشا كان يوضح هذه التكاليف بأن كان يرث جميع الحاج الذين يتوفون في الطريق . وقد جرت المادة بذلك ، على أنه لوحظ أن أكثر من كان يموت في الطريق هم أغنياء الحاج ! .

في كل عام ، أما باشا الشام فقد اكتفت الدولة بأن فرضت عليه مبلغاً بسيطاً بصفة رمزية^(١) ، كما أنها عهدت إلى باشواتها في الولايات السورية الأخرى ، في حلب وطرابلس وصيدا بأن يكونوا عوناً لباشا الشام . فكانت تمهد إلى واحد منهم بأن يعد قافلة لتكوين الحاج في طريق عودتهم من الحجاز ، وكان يطلق عليها قافلة الجردة .

وقد بدأ والى الشام يتولى إمارة الحاج في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، أما قبل ذلك فقد جرت عادة الدولة بأن تمهد لحاكم نابلس وعجلون بإمارة الحج الشامي ، وغالباً كان هذا الحاكم يختار من كبار العسكريين بدمشق أو من زعماء المشائر العربية في فلسطين ، ومنهم « بنو فروخ » وهم أسرة ناهية تولى كثير من أفرادها إمارة الحاج في القرن السابع عشر ، وكان آخر من تولى هذا المنصب منهم عساف باشا (الذي توفي في سنة ١٠٨١ = ١٦٧٠ - ١٦٧١) ، ففي ذلك العام اعترض العربان قافلة الحج الشامي ونهبوا الحجاج وسدوا الآبار وقتلوا أمير الحج^(٢) . ففي العام التالي قررت الدولة أن يتولى باشا الشام إمارة الحاج ، وقد كان « حاكماً ترتعد منه الأسود »^(٣) . ومنذ ذلك الوقت أصبحت العادة أن يتولى باشوات الشام إمارة الحج في كل عام ، واستمر الجمع بين مناصبي وزير الشام وأمير الحاج الشامي لشخص واحد نحو قرنين^(٤) .

وقد ظهرت في القرن السابع عشر إلى جانب أمير الحج شخصية أخرى ، ويدعى صاحبها « أمير الركب » ، وكان أحد الباشوات العثمانيين أو من رؤساء الأجناد ، ولسنا نعلم على وجه الدقة اختصاصات منصبه ، ولعله أمير ركب المحمل ، فهو قائد الجند الذين يصحبون المحمل لحراسته ، بينما كان باشا الشام أميراً على القافلة كلها بما تنظم من مدينيين وعسكريين ، وعلى أي حال فسرعان ما اختفى هذا المنصب في القرن الثامن عشر ، وأصبح باشا الشام أمير الحج وأمير الركب معاً .

(١) قدره فولاً بخمسة وأربعين كيساً .

(٢) المرادى: ٦٣/٢

(٣) المقار: س ٤١

(٤) هذا باستثناء بعض السنوات ، فمثلاً في سنة ١٨٢٤ مات باشا الشام في حمص وهو في طريقه إلى دمشق ، وكان وقت الخروج قد أزم ، فبادرت الدولة إلى تعيين باشا حلب أميراً للحجاج الشامي ، وفي مناسبة أخرى كان باشا الشام رجلاً طاعناً في السن فأنايب عنه في إمارة الحج باشا آخر أقل رتبة .

الدورة :

ويتأهب الباشا للخروج للحج قبل حلول موسمته بنحو ثلاثة أشهر ، ويبدأ هذا التأهب بالخروج « للدورة » ، وهى جولة تفتيشية يقوم بها الباشا وبعض جنده فى جهات نابلس ومجولون . ويستهدف بها أمرين :

الأمر الأول : جمع مال الدولة من سكان المناطق الجنوبية من ولايته ، وهى المناطق التى يحكم فيها أصحاب المصبات من شيوخ البلاد وزعماء العشائر . وذلك ليستعين بهذه الأموال فى إعداد قافلة الحج والحمل . وكانت لنابلس وبيت لحم والحليل شهرة فى الخروج على الدولة والامتناع عن دفع أموالها^(١) .

والأمر الثانى : إظهار سطوة الدولة فى هذه الجهات التى تستمر بالقرب منها بعد قليل قافلة الحج والحمل فى طريقها إلى بيت الله الحرام .

وقد جرت العادة أن يخرج الباشا للدورة فى أواخر رجب أو فى أوائل شعبان ثم يعود إلى دمشق فى أوائل شوال ، وقد يتقدم خروجه للدورة عن هذا الموعد فيخرج فى أواخر جمادى الثانية أو فى أوائل رجب . وقد يتأخر إلى أوائل رمضان . وفى هذه الحالة لا يستطيع أن يمكث فى الدورة إلا نحو شهر ، وعليه أن يعود مسرعاً إلى دمشق ، لأن العادة جرت أن يخرج الحاج وركب الحمل فى منتصف شوال^(٢) .

وفى بعض السنوات عهدت الدولة إلى حاكم القدس — وهو باشا ذوطوخين ويعد تابعاً لوزير الشام — بأن يجمع مال الدورة . ولكن هذا كان يعد علامة لتحويل الدولة عن وزير الشام^(٣) .

قافلة الحج :

فى الأسبوع الآخر من شعبان يبدأ توارد الحجاج البعدين إلى دمشق^(٤) وتمتلئ المدينة شيئاً فشيئاً بالحجاج طوال شهر رمضان ، وفى منتصف هذا الشهر — أو فى الأسبوع الثالث منه — يصل ركب « الصرة أمينى » أو أمين الصرة ، وهى المال الذى

(١) قولبى ص ٢٦٠

(٢) البديرى ص ٤٨ ، ٨٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٨٢

(٣) ص ١٨٨

(٤) ص ١١٥

ترسله الدولة لأشراف الحجاز ، وهو يبدأ عادة - رحلته من القسطنطينية في أحد أيام الأسبوع الأخير من رجب^(١)

حتى إذا ما انتصف شوال تكون الترتيبات النهائية لإعداد قافلة الحج وركب الحمل قد تمت ، فيخرج أمير الحج من سراى الحكم بقرب القلعة على رأس موكب الحمل بين ١٥ و ١٧ شوال^(٢) ويتخذ طريق الميدان مجازاً باب الصلى ثم الميدان النوقانى إلى باب الله في طريق يمتد نحو ثلاثة كيلو مترات ، متجهاً إلى قرية الزريب ، وهى إحدى قرى حوران وتبعد نحو مائة كيلو متر جنوبى دمشق . وبعد خروج موكب الحج بضعة أيام ، من يومين إلى خمسة ، تخرج قافلة الحج الشامى من نفس الطريق^(٣) ، وتلواها قافلة الحج الحلبى ، ومعهم حجاج المعجم^(٤) ، أو قد يأتون في قافلة خاصة بهم ، ويتجه الجميع إلى قرية الزريب ، نقطة التجمع النهائى^(٥) ، ويقضون بها بضعة أيام (من أربعة إلى ٧ أيام) ريثما يعدون أنفسهم للرحلة الشاقة إلى بلد الله الحرام فيبعون ويتناعون ، وينظم الباشا جنده ويستطلع طلع الطريق ، حتى إذا تم كل شىء تقدم أمير الحج بالحمل الشريف والجند الكشيف يشق الطريق أمام قوافل الحجاج الذين يسرون من خلفه .

(١) حدد تريس Tresse وقت مباحة أمين الصرة للامامة العثمانية في ٢٥ رجب ووقت وصوله دمشق بين ٢٠ و ٢٥ رمضان .

(٢) يظهر أن هذه المواعيد تقدمت في القرن التاسع عشر ، فان تريس ذكر أن الباشا

يخرج يوم ٥ شوال .

(٣) ذكر تريس نقلاً عن بعض المراجع أن عدد المشتركين في قافلة الحج الشامى ٤ ألفاً

في القرن الثامن عشر ، ثم تناقص العدد في القرن التاسع عشر ، في تقدير بور خارت (سنة ١٨١٤) ٥ آلاف (وفي سنة ١٨٣٤) ٤٥٠٠ (وفي سنة ١٨٥٣) ٧ آلاف في تقدير برتون .

(٤) قدر البديرى عدد حجاج المعجم في سنة ١١٥٤ بثلاثمائة حاج وقد جاءوا في قافلة

الحج الحلبى (س ١٠) وفي العام التالى قدرهم بـ ١٧٠٠ حاج وقد جاءوا مع الحج الحلبى أيضاً (س ٣٠) وفي سنة ١١٦٤ قدرهم بـ ١٦٠٠ حاج وقد جاءوا في قافلة خاصة .

(٥) ذكر تريس أن أول مكان يقف عنده الحجاج بعد خروجهم من دمشق هو

قرية القدم ، (وتقف بعد باب الله مباشرة) ويمكثون بها بضعة أيام لاجراء الترتيبات النهائية ويحدث التجمع النهائى ، ثم يخرجون منها إلى الزريب . ولكن البديرى في تقديمه لقافلة الحج

منذ تفصل عن دمشق لا يذكر شيئاً عن قرية القدم ، وإنما يذكر دائماً أن التجمع النهائى يكون في الزريب ، مما يجعلنا نرجح أن قرية القدم أخذت أهميتها كأول مرحلة في

طريق الحج في خلال القرن التاسع عشر . أما الزريب فكان يعقد بها في موسم الحج سوق نافقة ، كما أنها كانت سوقاً لسكان جنوبى سورية . وقد بدأت الزريب تفقد أهميتها عندما

تحول عدد كبير من الحجاج إلى استخدام طريق البحر الأحمر ثم سكة حديد الحجاز .

وينفض الجمع من الزيريب ، ويعود (الزيربانية) إلى دمشق في أواخر شهر شوال . والزيربانية هم الذين خرجوا لتوديع الحجاج حتى الزيريب أو التجار الذين خعدوا بها أسواق البيع والشراء . يعود الزيربانية فيحدثون أهل الحاج بأنهم في خير حال وأنهم في طريقهم لأداء الفريضة المقدسة .

ويضى الركب في طريقه إلى الحجاز ، فإذا كان الوقت شتاء مضوا في سيرهم نهاراً واستراحوا ليلاً ، أما إذا كان الوقت صيفاً آثروا السير ليلاً والراحة نهاراً . وهم يتقدمون إلى مكة في طريق مألوف عرف بالدرب السلطاني ، وهو أقرب ما يكون إلى البحر غرباً وهم يؤثرونه على طريق آخر إلى الشرق منه ، وهو على قصره يجتاز أرضاً مجدبة ، ويشق على الجمال الحملة اجتيازه ، وحتى في المرحلة الأخيرة من الطريق بين المدينة ومكة قد يتعرض الحجاج للبدو الضارين بين الحرمين . ويكون وصول الحاج إلى مكة في الأسبوع الأول من ذي الحجة (بين اليوم الخامس واليوم السابع) وفي اليوم التالي لوصولهم يمر أمير الحاج في موكب فخم في شوارع مكة في طريقه إلى الكعبة .

وبعد أن يقوم الحجاج بشعائر الحج يرحلون مكة عائدين إلى المدينة في أواخر شهر ذي الحجة ، ومنها إلى دمشق فيصلونها في الأيام الأولى من شهر صفر .

الجردة :

وبينا ركب الحجاج يغذون السير إلى بلد الله الحرام ، تكون الدولة قد وقع اختيارها على أحد وزرائها أو ولاتها في حلب أو طرابلس أو صيدا أو حاكم غزة إن عاد الحجاج عن طريق (الدرب الغزاوي) متنكبين الدرب السلطاني تجنباً لمخاطر الطريق . فيعكف الوزير - ويدعى حينئذ سردار الجردة - على إعداد قافلة الجردة ، وهي مؤن من بقساط وزيت وأرز وشعير وعليق وجمال وملابس تمدد لإسعاف الحجاج في طريق عودتهم إلى الشام خشية أن يكون ما عندهم منها قد نفذ (١) . ويصحب الجردة طبعاً طوائف من الجند لحراستها والاشتراك مع الجنود المراقبين لأمير الحاج في حراسة قوافل الحجاج في طريق العودة .

(١) قدر فولني أن الجردة كانت تكلف الباشا ٧٥٠ كيساً . وذكر البديري (ص ١٦٠) أن سعد الدين باشا العظيم عندما ولي حلب طالب أهلها أن يجهزوا له ٢٠٠ كيس لتفقات الجردة ففعلوا وشاغروا عليه .

وقد جرت العادة أن تصل الجردة إلى دمشق من حلب أو طرابلس أو صيدا في منتصف شهر ذي القعدة — أى بعد شهر من خروج الحاج — وتمضى بدمشق. بعض الوقت، ثم في اليوم العاشر من ذي الحجة أو في منتصفه تفصل الجردة عن دمشق. يقودها سردارها، وتسير الجردة في نفس الطريق الذي سار فيه ركب الحاج، وبعد أن تمضى في الطريق نحو ٢٢ يوما منذ خرجت من دمشق تصل إلى مكان يسمى هدية، على بعد قليل شمالى المدينة المنورة فتقيم بها أياما في انتظار قافلة الحج، فيكون اللقاء في هدية، ويقضى الجميع بها بضعة أيام (قد تصل إلى أحد عشر يوما) (١) يكون الحجاج في خلالها ضيوفاً على قافلة الجردة وسردارها، وتكون هذه الفترة بمثابة (ترفه) عين الحجاج وتأهيا لقطع طريق العودة.

وبعد انقضاء هذه الفترة يسرع الجميع في السفر قافلين إلى دمشق. وإذا كان أمير الحج قد سبق قوافل الحجاج وتقدمها في طلوعها من دمشق ليشق لهم الطريق، فإنه في طريق العودة إلى دمشق يتأخر عنهم ليكون ردتاً لهم من اعتداءات العربان. حتى إذا اقترب الركب من دمشق أنفذ أمير الحج أحد رجاله — ويعرف بالجوقدار أو الجوخدار — ليسبق الركب إلى دمشق ليشر أهلها بسلامة الحاج، إن كان قد عاد سالماً، أو يطلب إليهم النجدة إن تعرض للعدوان، وهو — فيما يقول تريس — ينفصل عن الركب في تبوك، ويغدو السير إلى دمشق في حراسة بضعة جنود متقدماً القافلة بسبعة أيام (٢)، وعادة يصل إلى دمشق

(١) في سنة ١١٧٣ كان عثمان باشا الصادق وزير طرابلس سرداراً للجردة، وقد أشاد البدرى (س ٢٣١) بحسن صنيعه، عندما انتظر الحجاج في مدينة أحد عشر يوماً « وهذا أمر ما سبق لأحد غيره، وقد أثلت الحجاج بالإكرام، فقد أطعم الجائع وسق العطشان وركب العيان وكسا العربان »، وقدرت الدولة صنيعه فوكت ولاية الشام، وولت ولده ولاية طرابلس.

(٢) هذا جوخدار الباشا، أما جوخدار السلطان الذى يحمل إليه البشرى بسلامة الحاج فكان يدعى مزده حتى (musdegy) تريس س ٢٣٠، وسماه البدرى مشفحى (انظر من ٢٠٧، ٢٠٨) ويبدو مما ذكره تريس أنه في القرن التاسع عشر كان جوخدار الباشا وجوخدار السلطان والكتّاب الذى يحمل يريد الحجاج شخصاً واحداً، فقد ذكر أنه كان يحمل مع رسائل الحجاج الدمشقيين إلى ذوبهم فيدفعها إلى أحد أهالي حتى الميزان، وهذا بدوره يستأجر عملاً بجوار جامع الدرويشية ليوزع منه الخطابات إلى ذوبها. أما الجوخدار فيستمر في طريقه إلى إسلابول حيث تعييه طلائع الدافع ويشق شوارع العاصمة صرتديارزى أهل المدينة المنورة، ثم يستقبله السلطان والوزراء فيتناولون بهوا من عمر المدينة، الذى جليه معه على سبيل التبرك ثم يسلم الخطابات إلى أصحابها. وبعد إنشاء خط البرق بين الأستانة والحجاز في سنة ١٩٠١ لم يعد ثمة حاجة للجوخدار . Trease, op. cit p. 252

في الأسبوع الأخير من شهر المحرم (بين ٢٢ و ٢٧ منه) حيث يستقبل باحتفالات شائقة ، وحسبه أنه بدد مخاوف دمشقيين على ذويهم من حجاج بيت الله الحرام ، فيرعون لملاقاتهم حاملين لهم الحلوى والملابس ، كما يهرع التجار إلى المزريب ليقموا سوق البيع والشراء .

وفي أثر الجوخدار يفدُ الكتّاب النير إلى دمشق . والكتّاب هو الشخص الذي ينفذه أمير الحاج ليحمل كتبهم إلى ذويهم ، فيصلها بعد الجوخدار بثلاثة أيام وقد يكون لدمشق ولكل من حماة وحلب كتاب آخر .

وفي أثر الكتاب - بعد يومين أو ثلاثة - يبدأ وصول الحجاج إلى دمشق فيصلونها بين ٥ و ٢٢ صفر^(١) ، ويستمر دخولهم إلى المدينة نحو خمسة أيام ، وفي أثرهم يدخل أمير الحج وسردار الجردة في كامل زيتهما وأمتهم .

وتقام الزينات في المدينة ويستقبل الأهالي الحجاج مهللين مكبرين حامدين الله على سلامتهم ، فيحدثهم هؤلاء عما لقوا من أهوال الطريق .

والحق أن رحلة الحاج لم تكن زهية ، كان الحجاج من أبناء الشام يقضون في الرحلة كلها نحو أربعة أشهر (من شوال إلى صفر)^(٢) ، وكانت الرحلة حقا (قطعة من العذاب) ، ومدونات تلك الأيام تفيض بما كان يلقاه الحجاج في كثير من الأحيان من أخطار الطريق ، من ظواهر طبيعية لا يستطيعون لها دفعا ، كالحر اللافح أو البرد القارس أو السيل الجارف ، أو من عدوان بعض العشائر البدوية ، فيعرت منهم الألوف ، ويعود الباقون في أشأم حال ، بينما يظل الناس في دمشق يتسّمون أخبارهم ، وخاصة كلما أذف موعدهم ، ومنهم من يخرج إلى ظاهر المدينة ، عند باب الله ، يستظلمون أبناءهم وكثيراً ما كانت أبناء سوء .

وقد تحدث البديري عما لقيسه الحجاج من أخطار في بعض السنوات : ففي سنة ١١٥٦ « جاء خبر عن الحج الشريف بأنه غرق في الحسا . . . وذهب على ما قيل مقدار نصف الحاج من خيل وجمال وبغال ونساء ورجال وأموال وأحمال » وبلغ

(١) وصل الحجاج إلى دمشق في إحدى السنوات في ١٢ صفر متأخرين أسبوعاً عن الموعد المعتاد .

(٢) أما الحجاج الأتراك فيصلون إلى الآستانة حوالي ٢٥ ربيع الثاني بعد غيبة امتدت نحو ثمانية أشهر ، وقد قدرها تريس بـ ٢٦٠ يوماً .

من خطورة الموقف أن الحجاج استغاثوا بأمر الحج - وكان سليمان باشا العظم - وعرضوا عليه أن يهوه أموالهم ولا يتركوها للعرب ، ولكن الباشا أبت عليه همته إلا أن يخاطر هو وجماعته حتى رد عليهم أحمالهم « ولم يدنس حجتة بشيء ، وقد عدوا هذه النقبة لثله من الهمم العالية والمروءة السامية » .

ومضى الحجاج في طريقهم إلى دمشق ، فإذا بسيل آخر يفاجمهم في البقاء ، حتى كاد أن يهلك بقية الحاج ، ويادر الباشا فأنتذر سولا إلى دمشق يطلب النجدة من أهلها ؛ فشق شوارعها ينادى : « يا أمة محمد ! من كان يحب الله ورسوله وتمسك من الخروج فليخرج ومعه ما يقدر عليه من مأكل ومشرب وملبس .. فخرجت الخلق مثل الجراد » (١) .

وفي عام آخر (١١٦٤) فاجأ الحاج سيل في عسنان ، فأمرهم الباشا « بأن يجدوا في السير حتى ترك من العشرة اثنين » (٢) .

وقد يضطر أمير الحاج إلى تكسب الطريق السلطاني حيث تقوم الآبار وتتوافر المياه إلى طريق آخر ليتجنب عدواناً يديره الأعراب ، فلم يجد الحاج ماء فأصابهم العطش حتى مات منهم في اليوم الواحد ألف وخمسمائة حاج (٣) ، ومثل هذا كثير .

أما اعتداء العربان فكان شر ما يخشاه الحجاج في الطريق ، وقد امتلأت مصادر ذلك العصر بأنباء كثيرة عن اعتداءات العشائر البدوية ، وخاصة إذا قبض الباشا يده عن المرتبات والنتج التي كان من المعتاد تقديمها كل سنة للعشائر المضاربة في الطريق بين الشام ومكة .

ويكفي أن نذكر هنا مثلاً واحداً ، وهو النسكة التي حلت بالحاج الشامي في موسم سنة ١١٦٩ ، وكان أسعد باشا العظم قد نقل منذ زمن وجيز من باشوية دمشق بعد أن تولاه أربعة عشر عاماً حج بالناس في كل عام في أمن وسلام ، فقد كان شخصية مرهوبة خشيا العربان ، فلم يجرؤا قط على مد أيديهم بالدوان ، فما أن نقل من دمشق حتى فشا فيها الاضطراب ، وتجرأ عربان بني صخر فاعتدوا على قافلة الجردة وقافلة الحج أشنع اعتداء ، واتهم أسعد باشا نفسه بأنه حرض العرب

(١) ص ٣٦ - ٣٧

(٢) ص ١٥٣ .

(٣) ص ١٨٨

على ذلك انتقاما لثقله من دمشق ، وصدقت الدولة هذا الاتهام ، فأعدته وصادرت أمواله .

وقد وصف البديري هذه النكبة وصفا مؤثرا (١) : قال إن العرب بدأوا بقافلة الجردة عندما وصلت إلى القطرانة ، حيث يضيق الطريق بين الحسا والقطرانة فيسمى البوغاز ، فهاجموا الجردة ونهبوها ونهبوا سردارها « حتى شلحوه لباسه وخأفه من أسيبه وأزلوه من تحته ... وأخذوا طبوله وأطواخه ومدافعه » . وثى العرب بقافلة الحاج ، فأمنوا فيها قتلا وسلبا ، حتى إنهم ارتكبوا « أفعالا لا يفعلها عباد النيران » ، فقد كانوا « يسلحون الرجل ويفتشون تحت إبطه ودبره وفمه وتحت خصيته وإن وجدوا الرجل كبيرا بطنه أوله قرآءة أى قيلة شقوا بطنه وبقروا قره أى قيلته ، ويدخلون أيديهم في دبر الرجال وفي فروج النساء ، وقد كانت المرأة تضع الطين على قلبها ودبرها سترامورتها فيكشفونه ... ومنهم من مات جوعا وعطشا وبردا وحرا ، وذلك بمد ما شرب بعضهم بول بعض ، وما كفى جور العربان ، بل زاد عليهم جور أهل معان ، غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاب النيران » .

ووصلت هذه الأنباء إلى دمشق ، وتكتمها للتسلّم ، ولكنها تسربت إلى الناس فهاجموا وهاجموا وهموا على التسلّم بالسراى ورجموا بالحجارة ، وخرجت منهم جموع تحمل مؤنا وثيابا ونعلا لمن بقى حيا من حجيج بيت الله الحرام ، وتبرع الشيخ ظاهر العمر — صاحب طبرية — باقتداء العلم النبوى والمحمل الشريف من العربان بقدر من المال .

وتختم هذا الحديث عن قافلة الحج الشامي بذكر التغيرات التي دخلت على بعض إجراءات الحج في القرن التاسع عشر ، منها التحول إلى استخدام البحر الأحمر ، وخاصة حين حلت — ابتداء من سنة ١٨٥٨ — السفن البخارية محل السفن الشراعية في نقل الحجاج بين السويس وجدة ، ثم جاء إنشاء الخط الحديدي بين الاسكندرية والقاهرة والسويس ثم شق قناة السويس فزاد استخدام طريق البحر الأحمر ، فكان الحجاج الآتون من تركيا أو شمالها يفضلون أن يأتوا بحرا إلى بيروت أو إلى الاسكندرية ، وآثر الحجاج الإيرانيون استخدام طريق خليج البصرة (الخليج الفارسي) إلى جدة . ولكن كان أعظم انقلاب في الحج هو إنشاء سكة حديد الحجاز في سنة ١٩٠٨ ، فبطل طريق القوافل تماما .

(١) س ٣٠٤ وما بعدها .

ومن التغيرات التي حدثت أيضاً أنه ابتداء من سنة ١٨٥٨ صرف النظر عن إرسال قافلة الجردة اكتفاء بما يحمله الحجاج معهم من مؤن. ثم قرّر الرأي على أن ترسل حكومة دمشق قوة عسكرية من ٣٠٠ فارس ليخرجوا لحراسة الأهالي الذين يودون الخروج للاقاة ذويهم من الحجاج حاملين لهم ما يلزمهم من مؤن ، واستمر هذا الإجراء قائماً حتى أنشئ الخط الحديدي فلم يعد ثمة مبرر لذلك .

والمرة الأولى— في سنة ١٨٥٣ — نجحت الحكومة العثمانية في وضع قافلة الحج تحت الحجر الصحي في خان دنون على بعد خمس ساعات من دمشق .

أما إمارة الحج فقد بقيت لوالى دمشق إلى سنة ١٨٦٦ ، حين رأت الدولة أن غياب الوالى عن مقر ولايته مصحوباً بعدد كبير من جند الولاية بضعة أشهر من كل عام يؤدى إلى اضطراب الأمن في المدينة ، فقررت الدولة الفصل بين مناصب الوالى الشام وأمير الحج وعينت قائد الجندمة أميراً أو محافظاً للحج . وكان قائد الجندمة يختار عادة من الضباط الأكراد من بيوت معينة^(١) .

* * *

هذا هو البدرى الحلاق ، وهذا كتابه « حوادث دمشق اليومية » .

وإن لى مع المؤلف وكتابه لقصة طويلة ، تبدأ من سنة ١٩٤٦ ، حين انتدبت لتدريس تاريخ العرب الحديث لطلاب كلية الآداب بالجامعة السورية (جامعة دمشق) وكانت قد أنشئت في ذلك العام . والحق أن جامعة دمشق لها — بين الجامعات العربية — فضل السبق إلى العناية بتدريس تاريخ العرب الحديث . وتوفرت على تدريس هذه المادة ثلاث سنوات متوالية ، حفياً بها وبالنتائج التي أخذت تسكشف لى ولطالبي فيها .

وقد أتجهت منذ البداية إلى أن أتعرف على المصادر الأصلية التي ينبغي ان يستمد منها مادة التاريخ ، فأقبلت على البحث عنها في مظانها ، وكان مخطوط (حوادث دمشق اليومية) أحد هذه المصادر التي اهتديت إليها في المكتبة الظاهرية بدمشق ، فأقبلت على قراءته والإفادة منه ، وقدّرت أهميته فمزمت على نشره .

(١) Tresse. op. cit. p. 73.

والحق أني لم أكن أول من عرف البديري وكتابه وقدّر قيمته، فقد سبقني إلى ذلك كثيرون :

فالمرحوم الأستاذ محمد كرد علي ذكره في قائمة المراجع التي رجع إليها في كتابه (خطط الشام) ونقل منه فقرات .

وكتب عنه الأستاذ عمر رضا كحالة أمين المكتبة الظاهرية تعريفاً بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١) .

وعرف (حوادث دمشق اليومية) صديقنا الدكتور إبراهيم الكيلاني الأستاذ المحاضر بجامعة دمشق، واعتمد عليه في بحثه الموجز عن أسعد باشا العظم الذي نشره في كتابه (عقريات شامية) .

وعرفه أيضاً صديقنا الدكتور صلاح الدين المنجد، وذكره في قائمة مراجع العصر العثماني في سورية التي أوردتها في صدر كتابه (ولاء دمشق في العهد العثماني) وهو الكتاب الذي نشر فيه مخطوطين صغيرين عن باشوات دمشق وقضاتها، الأول لمحمد بن جمعة المقار والآخر لرسلان بن يحيى القاري . كما أفاد منه الدكتور المنجد ونقل عنه في بحثه المنشور عن قصر أسعد باشا العظم .

وعرف (حوادث دمشق اليومية) أيضاً أحد طلاب التاريخ بجامعة دمشق — السيد عبد الغني العطيّش — وقدم عنه بحثاً للجامعة

وعرف الكتاب وقدّر قيمته الأستاذ الأمير جعفر الحسني عضو المجمع العلمي العربي بدمشق وأمين سره، وبدأ — فيما أعلم — في تحقيق الكتاب في سنة ١٩٥٤ ثم توقف .

* * *

وعدت إلى القاهرة في سنة ١٩٤٩، وتابعت تدريس تاريخ العرب الحديث في جامعة القاهرة ثم في جامعة عين شمس، وندت إلى البديري، وأقبلت على تحقيق مخطوطه بال ضبط والشرح والتعليق والمقارنة، وأمضيت في ذلك زمناً، ثم شغلني عنه ما يشغل الإنسان عادة من شؤون الحياة والدرس . ثم كان الحدث العربي — بل الدولي — الخطير، قيام الجمهورية العربية المتحدة، فرأيت أن خير نحية أوجهها إلى

(١) المجلد العشرون . الجزء السابع والثامن (تموز وآب ١٩٤٥) ص ٣٧٤ — ٣٨٠

موظفى العربى الكبير أن أنشر فى القاهرة هذا الكتاب الذى يؤرخ لدمشق ويصف المجتمع فيها فى سنوات من القرن الثامن عشر . وفى خلال ذلك علمت بوجود نسخة من المخطوط فى الخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة ، فأقبلت على مقارنتها بنسخة الظاهرية^(١) . ثم علمت بوجود النسخة الأصلية لتتبع القاسمى للحوادث فى مكتبة الأسرة القاسمية بدمشق ، فطلبت إلى صديق الأستاذ أبو الفرج العش محافظ المتحف الوطنى بدمشق أن يراجعها ، ففضل مشكوراً بمراجعتها ، وخرجنا من هذه المراجعة بأنها لا تختلف عن النسخ الأخرى ، كما اتينا من المراجعات التى أحريناها إلى عدم العثور على النسخة الأصلية من مخطوط البديرى قبل أن تتناوله يد القاسمى بالتنقيح . ونشطت لإكمال العمل ، حتى اتخذ الصورة التى يسرنى أن أقدمها اليوم .

* * *

وقد شاركنى فى إخراج هذا الكتاب أصدقاء كثيرون لا أحب أن تفوتنى هنا فرصة التنويه بفضلهم : فصديق الأستاذ أبو الفرج العش صحب البديرى ومخطوطه معى منذ كان — أى صديق أبو الفرج — يطلب العلم فى جامعة دمشق حتى اليوم . فقد أعانى على نسخ المخطوط من المكتبة الظاهرية وتحمس لشره ، واشترك معى فى كثير من الشروح والتحقيقات ، وقام فى دمشق باتصالات كنت أقصر عن القيام بها وأنا بالقاهرة ، فأنا مدين له بالشيء الكثير ، ومهما أفعل فلن أستطيع أن أفيه حقه من الثناء والتقدير .

كما أقدم الشكر الجزيل للسادة أعضاء أسرة القاسمى بدمشق ، لاهتمامهم بنشر الكتاب الذى قام بهذيبه حدّهم الشيخ محمد سعيد القاسمى ، وللمساعدة التى نفضلوا بتقديمها ، وأخص بالذكر منهم الأستاذ ظافر القاسمى المحامى ، والسيد محمد سعيد القاسمى القيم على مكتبة الأسرة .

وأشكر الصديق الدكتور سليم عادل عبد الحق المدير العام للأثار والمتاحف بدمشق لتفضله بإعارة بعض الصور لقصر أسعد باشا العظم بدمشق . وقد شارك صديقاى الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور المدرس بجامعة القاهرة والأستاذ عبد القادر طلمبات فى مراجعة تجارب الكتاب . فأقدم لهما جزيل شكرى .

(١) فى المكتبة الظاهرية نسختان من المخطوط ولكنهما تتشابهان ، فاعتبرناهما نسخة واحدة ، ونهنا فى حواشى الكتاب إلى ما بينها وبين نسخة التيمورية من اختلاف ، لا يعدو لسقاط أو زيادة بعض الكلمات أو العبارات .

وكنت أود أن تباح لي فرصة تقديم هذا الكتاب للعالم الأستاذ خليل مردم بك
رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق تقديراً له على ما قدم من تشجيع لنشر الكتاب وعلى
ما أبدى من استعداد لطبعه على نفقة المجمع ، فإذا كان موت الأستاذ أخيراً قد حاله
دون تحقيق آميتي ، فالشكر أقدمه لزملائه الأفاضل رجال هذا المجمع .

أما أستاذي السيد محمد شفيق غربال فإن ما بذلته في تحقيق هذا الكتاب إنما هو
أثر من فضله على الدراسات التاريخية بامامة وما يتعلق منها بتاريخ الأمة العربية
بخاصة ، وقد تم نشر هذا الكتاب في مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
التي تترأسه برياسته بتركية من المجلس إدارة الجمعية ، فالشكر خالصاً أقدمه لسيادته
ولزملائه المحترمين أعضاء المجلس .

* * *

وبعد فهذا كتاب في تاريخ دمشق تضافرت على إخراجه ثلاثة جهود تنتمي إلى
ثلاثة قرون متوالية في دمشق والقاهرة ، ألفه حلاق دمشق في القرن الثامن عشر ،
وتناوله بالتقيق والتهديب عالم من علماء دمشق في القرن التاسع عشر ، ثم وقف على
تحقيقه ونشره للناس مشتغل بالتاريخ في القاهرة في القرن العشرين .

أحمد عزت عبد الكريم

١٩٥٩ / ٨ / ٨

تنقيح العالم الفاضل الأديب الكامل

الشيخ محمد سعيد القاسمي

لحوادث دمشق اليومية

الواقعة من سنة ١١٥٤ إلى سنة ١١٧٦

التي جمعها الشيخ أحمد البديري

الحلاق الدمشقي

رحمهما الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لمن تفرّد بالبقاء ، وتوحد بالربوبية والكبرياء ، والصلاة
والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء ، وعلى آله الأصفياء وأصحابه
الأتقياء .

أما بعد ، فإن حوادث دمشق الشام اليومية التي صدر غالبها
في أيام الوزيرين العظيمين : سليمان باشا وأسعد باشا اللذين هما من
أعيان وزراء بني العظم العظام ، جمعها الفاضل شهاب الدين أحمد بن بدير
البديري الشهير بالحلاق ، من سنة ١١٥٤ إلى سنة ١١٧٦^(١) قد اشتملت
على غرائب ومعجائب وأهوال ، ولبساطة مؤلفها كتبها بلسان عامي ،
ثم أظن بزيادات كلمات وأدعية مسجعة يملئ سامعها ويسأم قارؤها ،
فخذفت القشر من هذه الحوادث ووضعت اللباب ، وهذبها على
حسب^(٢) الاستطاعة بالصواب ، وإليه تعالى المرجع والمآب ، آمين .

(١) توافقت هذه الفترة من سنة ١٧٤١/١٧٤٢ إلى سنة ١٧٦٢/١٧٦٣ ميلادية .
ولكن الواقع إن المؤلف وقف بجواده عند سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ - ١٧٦٢)
كما نوه بذلك القاسمي منقح المخطوطة في آخرها .
(٢) في نسخة التيجورية : سبيل .

سنة ١١٥٤

قال البديري رحمه الله ما معناه : وفي سنة ١١٥٤^(١) كان والياً بالشام الحاج على باشا من الأتراك^(٢) وذلك بعد مضي إحدى عشرة سنة من جلوس مولانا السلطان محمود خان^(٣) بن السلطان مصطفى خان ، أيد الله عرش هذه الدولة إلى آخر الدوران .

جرى على لسان العامة أن سيحدث بدمشق الشام زلازل عظيمة تهدم بسببها أماكن كثيرة ، وأن الرجال ستقلب نساء ، وأن أنهار الشام تجري طعاما . وتحدثوا في حوادث كثيرة من مثل هذه الخرافات ، وصاروا يتداولونها فيما بينهم ، ولم يحدث شيء فيما بعد من هذه السنة .

وكانت هذه السنة سنة فلاء في الأقوات وغيرها ، حتى بلغت أوقية السمن بخمسة مصارى ونصف^(٤) ، ورطل الأرز بستة عشر

(١) يوافق أولها ١٩ مارس ١٧٤١ .

(٢) هو على باشا بن عبدى باشا ، وقد نقل من بلغراد إلى دمشق والياً ، ومكث ثمانية أشهر من أواخر شعبان ١١٥٣ إلى أواخر ربيع الثاني ١١٥٤ (١٧٤٠ — ١٧٤١ م) [انظر محمد بن جمعة القار : الباشات والقضاة ، نشرة الدكتور صلاح النجد ص ٦٨] وذكره القارى [وزراء دمشق . نشرة النجد أيضاً ص ٧٨] باسم على باشا أبو قبلى . وقال إنه كان حاكماً عادلاً كريماً يحب الفقراء والمساكين . أما الأمير حيدر الشهابى (تاريخ الأمراء الشهابيين ج ١ ص ٣١) فذكره باسم : على باشا أبو ريشة .

(٣) حكم السلطان محمود الأول من سنة ١٧٣٠ إلى سنة ١٧٥٤ .

(٤) مصارى جمع متعربة وهى عملة من فضة رخصت الحكومة العثمانية لحكومة مصر بسكها بدار السك بالقاهرة ويطلق عليها أحياناً البارة ، والقرش أربعون بارة ، ولازال أهل دمشق يسمون النقود مصارى .

حصرية، ومدّ الشعير بثمان مصارى، والحبز الأبيض باثني عشر مصرية،
ورطل البكمك بأربعة عشر مصرية والحبز الأسمر رطله بمخمسة
مصارى.

وكان في العام الذي قبله الحاكم بدمشق الشام عثمان باشا المحصل^(١)،
أخرج الأورطة التي للبيقول^(٢) من قلعة الشام. فمهم من نفاه، ومهم
من قتله، والذي يبيّن كرمه كرمته^(٣) بعد شهادة جماعة من الناس بأنه
غير زرب^(٤)، ولا وقع منه فساد، وشدت شملهم في جميع البلاد^(٥)،

(١) في النسخة المصورة يكتب اسمه «المحصر» بالراء، والصحيح ما أثبتناه
هنا (المحصل). انظر المقارن ٦٦٤ والأمير حيدر ج ١ ص ٣١، ٣٢.
وسيشير البديري (في حوادث سنة ١١٦٥) إلى وفاة عثمان باشا المحصل عند ما
كان حاكماً على جدة.

(٢) القيقول تحريف للتركية قبوقول، ومعناها عيد الباب ويقصده جند
السلطان أو حرسه. والكتاب حافل بأخبار الزمان بين القبوقول والانكشارية،
أى بين جنود الدولة والجنود المحلية. وسيدكر البديري بعد ذلك في حوادث سنة
١١٥٩ إعادة القبوقول إلى دمشق في عهد أسعد باشا العظيم.

(٣) أى حلّ له عمامته، علامة على أنه أصبح لا ينتمى لهذا الأوجاق، وجاء
في رواية للمقارن عبارة تمشي مع عبارة البديري، قال المقارن (ص ٦٨): والذي استقام
في دمشق غير زربه وصار من جملة الرعايا.

(٤) زربه بمعنى (شقاوته) أى ترك الشقاوة. وكان (القنوات) يطلق عليهم بالشام
(زرباوات).

(٥) تتفق رواية البديري عن حادث نشيت البيقول من دمشق مع رواية محمد
ابن جمعة المقارن، قال ص (٦٨): «وفيها — أى في سنة ١١٥٣ — وقعت الشواشر
بين الفيقول والأنكجربة (الانكشارية) وسكّرت (بمعنى أفلتت) دمشق،
وتفرقت التي قوت في الحارات، وعملوا التاريس، وسكّروا البوابات، إلا أحد =

وكان ذلك إصلاحاً . وقد قل الشر من دمشق الشام واصطلحت
أحوال الناس .

وكان محيي الجوخدار^(١) من الحج ببشرافي اليوم السابع والعشرين

== بهجم عليهم ... وفي أثناء هذا الأمر جاءت أودتين (أى أوردتان) من الدولة العلية،
فلما دخلوا وقع منهم مفسد ، وشاركوا أهل الحرف ، وصار منهم التمدي والفساد ،
فوقع رأى ساداتنا العلماء والأكابر وحاكم دمشق بإخراجهم إلى جهنم وبئس المصير .
وكان غالب القبي قول حَوْشٍ (وقد ظنها الناشر : وحوش ، وكتبها هكذا ، ولكنها
(حَوْش) بمعنى أراذل أو أسافل) ، ووقع منهم مفسد وأمور تقشع منها الأبدان ،
وبقية القبي قول هرب وسافر . والذي استقام في دمشق غير زيه وصار من جملة
الرعايا . وكان سبب هذا الأمر دعوة شيخنا وأستاذنا قطب العارفين الوارث المحمدي
سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي قدس الله سره العزيز ، فمرت الدعوة عليهم في سائر
البلاد فزقهم الله كل بمزق . « وقد توفي الشيخ عبد الغني النابلسي أ كبر تلامذة الصوفي
الكبير الشيخ محيي الدين بن عربي في سنة ١١٤٣ (١٧٠٠ - ١٧٣١) أى قبل
وقوع هذه الفتنة بعشر سنوات ، وقد شهد كثيراً منها في أواخر أيامه فدعا عليهم ،
وكان لأهل الشام فيه اعتقاد كبير . انظر ترجمته في سلك الدرر في أعيان القرن .

الثاني عشر للرادى ج ٣ ص ٣٠ - ٣٨ .

[١] جوخدار من التركية چوقدار أو چوقه دار ، والمعنى الأصلي فتى من فتیان .

القصر السلطاني ، ثم أصبحت الكامة تطلق على رسول السلطان أو الوالى .

انظر: Nicolas Turc: Chronique d'Egypte 1798 - 1804. p. 297. نسخة فويت .

Haim Nahoum : Recueil des firmans impériaux ottomans.

p. 358.

والجوخدار هنا هو الرسول الذى يرسله أمير الحج إلى دمشق ليبشر الناس
بعودة الحجاج قبل وصولهم بيضة أيام ، وقد جرت العادة أن يفصل الجوخدار عن
قافلة الحج في تبوك ، فيصل إلى دمشق قبل الحجاج بسبعة أيام . وقد ذكر تريس

Tresse : Le pèlerinage syrien aux villes saintes de l'Islam,

p. 250 - 252. نقل عن كورانسيز فنصل فرنسا بحلب في أوائل القرن التاسع عشر

= Corancez: Histoire des Wahhabis p.187. أن الجوخدار كان يحمل كتاباً من =

من شهر المحرم . ودخل الكتاب^(١) تلك السنة ليلة الأربعاء ثالث ليلة من شهر صفر . وكان الكتاب [١٢] باكر بشة الحامى ومعه جماعة . ودخول الحج إلى الشام كان نهار السبت ثاني يوم بعد مجيء الكتاب ، ولم يزل ينجرت وينسحب خمسة أيام حتى دخل المحمل . وذكر الحجاج أنهم داروا في هذه السنة دورتين بين الحرمين ، وصار هليهم غلاء ، وبرد كثير ، وقتل ابن مضيان شيخ عرب بن الحرمين بعد قتال وقع بينهم وبين والى الشام أمير الحج^(٢) .

== شريف مكة إلى السلطان العثماني يبشره فيه بسلامة الحاج ، فيقدمه إلى السلطنة وقت الاحتفال بمولد النبي في جامع السلطان أحمد بالقسطنطينية ، ولهذا دعاه كورانسيز (مشرده جي) « le muz degy bachi » أى حامل البشرى . وقد جعل تريس الجوخدار والكتاب شخصاً واحداً ، فقال إن الجوخدار يحمل معه رسائل الحجاج الدمشقيين إلى ذويهم ، لهذا كان الجوخدار يقابل في دمشق بأعظم مجالى الفرح وما أن يملن الجوخدار اقتراب الحاج حتى يهرع أهلهم للملاقاة يحملون إليهم مؤناً وملابس .

(١) الكتاب بفتح الكاف وتشديد التاء هو الرجل الذى يسبق الحجاج إلى دمشق ليحمل بريدهم إلى ذويهم .

(٢) كان أمم واجبات والى الشام بصفته أميراً للحاج الشامى أن يدفع عنهم اعتداءات القبائل العربية التى تنوى بهم شراً . وقد وصف المقار الحرب التى دارت بين على باشا والعرب ، قال (ص ٦٨) : « وجاء [الباشا] من طريق لم يكن أحد يعرفه ، لأن عرب حرب كانوا رابطين للحجاج ، ودخل الباشا والحج إلى المدينة النورة من ناحية جبل أحد ، فزار حضرة الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، وخرج من المدينة إلى أن وصل إلى وادى العتيق ، فخرج عليه العرب من الجبال ، فقام هو وجماعته وجمع الحجاج وقاتلهم ، فقتل من العرب جماعات كثيرة ، وتجرح جماعة لا تحصى ، وانصر الباشا والحجاج عليهم وانهمزوا مخذولين يأذن الله سبحانه وتعالى ويبركة الرسول عليه الصلاة والسلام . » وقد حفلت مصادر ذلك العهد بأبناء اعتداءات العربان على قوافل الحج .

ثم أقام مدة بعد مجيئه من الحج ، والناس في أمن وأمان ثم عزل -
 ووجهت الدولة العلية الشام على سليمان باشا بن العظم ^(١) ، فأرسل
 سليمان باشا قبل دخوله للشام سلحداره ^(٢) زوج بنت الوفاي متسلما ^(٣)
 وبقي نحو شهرين لم يدخل الشام ، ثم أتى ونزل على البقاع ^(٤) ، وأراد
 محاصرة جبل الدروز ^(٥) ، فصالحوه بمال عظيم حتى أرضوه ^(٦) . ودخل

(١) هذه هي الولاية الثانية لسليمان باشا العظم على دمشق ، الأولى من ١١٤٦
 إلى ١١٥١ (١٧٣٣ — ١٧٣٨) منتقلا إليها من صيدا ، والولاية الثانية من ١١٥٤
 عائداً إليها من مصر إلى أن مات في طبرية سنة ١١٥٧ (١٧٤١ — ١٧٤٤) ،
 ثم خلفه على دمشق ابن أخيه إسماعيل باشا وهو أسعد باشا العظم الذي مكث والياً على
 الشام ١٤ سنة .

(٢) السلحدار حامل السلاح أو الموظف الذي يعهد إليه بالإشراف على دار
 السلاح . وكان من الناصب الهامة في عهد سلاطين المماليك أيضاً .

(٣) التسلم في السلك الإداري العثماني بمثابة التصرف على إحدى الصناجق ،
 وقد جرت العادة أن يعيّن الباشا أحد رجاله (لتسلم) لإدارة الباشوية قبل وصوله ،
 ويدعى في هذه الحالة بالتسلم .

(٤) سهل البقاع أخصب أراضي لبنان ، ويقع إلى الشرق من جبال لبنان ،
 بين الشام والجبل .

(٥) لا يقصد بجبل الدروز هنا جبل الدروز الذي هو جزء من سورية ،
 ويطلق عليه الآن اسم (جبل العرب) وإنما يقصد به جبل لبنان ، وكان أكثر
 أهله في ذلك الوقت من الدروز .

(٦) يشير البديري إلى القتال بين والي الشام والشهابيين أمراء الدروز ، وقد
 خلف الأمراء الشهابيون الأمراء المنيين في حكم جبل لبنان ، وكان أميرهم في ذلك الوقت
 الأمير ملحم الشهابي ، وقد ارتفع شأنه — على حد تعبير الأمير حيدر مؤرخ لبنان
 في عهد الشهابيين ج ١ ص ٣٠ — « وسرت هيئته في دياره وقويت به عزيمة أهل
 بلاده وأمصاره ، فطفقوا بمدون الأيدي على غير ديار [أي إلى ديار أخرى] =

الشمس نهار الخميس ثاني عشر جمادى الثانية في هذه السنة المذكورة
وهي سنة ١١٥٤ . وبعد ثلاثة أيام من دخوله صلب ثلاثة أشقياء من
العرب ، وبعد ذلك أبقى كل شيء على حاله ولم يحرك ساكناً .

وكانت السنة التي دخل فيها بمظهر اسميين من أسمائه تعالى : وهما
قيوم حفيظ لسنة ١١٥٤ ، نظمها الشيخ عبد الرحمن البهلول^(١) أحد أدباء
الشمس بيت ، فقال :

بهذا العام فيهم قد يجلى . . مع التاريخ قيوم حفيظ

١٥٦ ٩٩٨^(٢)

= ويشقون على أهل الجوار» ، فلما عاثوا في قرى البقاع خرج إليهم باشا الشام وحاصرم
حتى صالحوه على مال عظيم قدره المؤرخ اللبناني نجحسين ألف قرش . ويلاحظ أن
الأمير حيدر ذكر نبأ ذلك القتال في حوادث سنة ١١٤٤ بينما ذكره البديري في
حوادث سنة ١١٥٤ . وقد أشار الشدياق (أخبار الأعيان في جبل لبنان ص ٣٦٩)
إلى النزاع بين سليمان باشا والأمير ملحم الشهابي ، وقد « اعترز جدآ وتعاضم أهل
بلاده وطفقوا يمدون أيديهم إلى ما يجاور بلادهم ويمخرقون في البقاع» .

(١) هو السيد محمد عبد الرحمن بن محمد الشاكر ويكنى بالبهلول ، كان من
تلامذة الشيخ عبد الغني النابلسي ، وقد لقبه النابلسي (شيخ الأدب في الشام) ، إذ كانت
له يد في النظم ، خصوصاً فن التاريخ . وقد مدح البهلول أستاذه النابلسي بقصيدة
طويلة ، كل شطر بيت منها يحمل تاريخاً واحداً ، وهو سنة ١١٣٦ هجرية (انظر
القصيدة في كتاب (لبنان في عهد الأمراء الشهابيين للأمير حيدر الشهابي . القسم
الأول ص ٢٢ - ٢٨) . ولكن البهلول عانى في حياته كثيراً ، حتى إنه — فيما
روى المرادي — حج ماشياً على قدميه في الذهاب وفي الإياب ، وقد ترجم له المرادي
في سلك الدرر ج ٢ ص ٣١٠ - ٣١٧ وأورد طائفة من شعره . وسيدكر البديري
وفاة الشاعر البهلول فيما يلي من كتابه في حوادث سنة ١١٦٣ (١٧٤٩ - ١٧٥٠) .
(٢) جاء هذان الرقمان في نسخة المكتبة التيمورية ، مجموعهما ١١٥٤ وهي
السنة التي جاء فيها سليمان باشا العظم إلى دمشق .

وفي هذه السنة كان صوم رمضان الجمعة ، ثم ثبت في آخره أن الشهر كان أوله الخميس ، وخرج المحمل الشريف مع الباشا في منتصف شوال نهار السبت ، وثاني يوم جاء الحج الحلي ، ومعهم من العجم نحو الثلاثمئة . وبعد أربعة أيام خرج الحج ، وبقيت شردمة من الحاج لأجل دفتر دار السلطان محمد دخان ، فخرج ثاني يوم الخميس ، وخرج الحاج كان في كانون الأول^(١) والبرد في غاية الشدة ، وبقي الصقيع والجليد في الأرض نحواً من خمسة وعشرين يوماً ، والشمس طالعة والجليد لا يذوب ، حتى قيل إنه مارؤى مثلها ، فقد يبست الأشجار ، وعمدت الثمار على الخصوص الليمون والكباد والنارج ، حتى بيع رطل الفحم بالشام بثلاثة مصاري . وأخبرت المزيربانية^(٢) بعد رجوعهم أنه

(١) شهر ديسمبر .

(٢) المزيربانية نسبة إلى المزيريب وهي قرية من قرى حوران تبعد نحو مائة كيلومتر إلى الجنوب الغربي من دمشق . وكانت محطة هامة تنزل بها قافلة الحاج الشامي قبل أن تبدأ المرحلة الأولى في طريقها إلى الحجاز . وقد جرت العادة أن يمكث بها الحاج بضعة أيام ليتخذوا الترتيبات النهائية للتموين وغيره وينتظم الجند المرافقون لأمر الحاج . ولهذا كانت المزيريب في موسم الحج سوقاً تجارية نافقة . والمزيربانية هم الأهالي من تجار وغيرهم الذين عادوا من المزيريب بعد أن ودعوا الحاج وابعوهم ما احتاجوا إليه .

وفي الأرجوزة التي نقلها تريس (Tresse: op. cit. p.212) عن أحد أهالي حمى الميدان وكان يتغنى بها الحاج هذا القطع عن المزيريب ، وهي الرحلة الأولى في طريق الحج :

وصننا المزيريب . . . وكتبنا المكاتب

وفي قلبي تلهيب . . . لك يا نينسا

بيع رطل الفحم كل ثلاثة أرطال بقرش .

وفي هذه السنة خرجت [ب٢] الجردة^(١) نهار السبت السابع والعشرين من ذى القعدة ، وصار عليها سردار يعقوب باشا المتولى على مدينة حلب ، وقد ذكر له سيرة مرضية وعدل بالرعية .

قال الشيخ أحمد البديرى : وقد قلت فى هذا العام ، وهو عام ١١٥٤ هذا المواليا فى حق من أظهر الكذب والأراجيف التى قدمنا ذكرها ، حيث قلت :

(١) الجردة هى القافلة التى تحمل المؤن إلى قافلة الحاج وهى فى طريق عودتها من الحجاز ، وكان يمد قافلة الجردة ويقودها إلى الحجاز أحد باشوات حلب أو طرابلس أو صيدا ، وإذا أثر الحجاج فى طريق عودتهم أن يسلكوا الدرب الغزوى على الدرب السلطانى (وهو أقصر من الأول ولكن أقل أمناً) إيثاراً للسلامة من اعتداءات الأعراب كان أهل غزة يمدون جردة محملة بالمؤن ويخرجها حاكم غزة للافاة الحاج فى معان . وقد ألحقت الدولة ميناء اللاذقية بياشوية طرابلس ليستعين الباشا بإيراداتها فى إعداد الجردة التى يقودها ، وكانت مهمات الجردة تتألف من بسماط وزيت وأرز وشعير وعليق وحبال وملابس مما ينفع الحجاج ، خوفاً من أن يكون ما عندهم منها قد نفذ . وقد قدر قولنى أن الجردة كانت تكلف الباشا ٧٥٠ كيباً (والكيب خمسة جنيهات) وكان باشا طرابلس بوصفه قائداً للجردة فى أكثر الأحيان — يقيم أربعة أشهر فى طرابلس ومثلها فى اللاذقية ليجمع إيرادها ، أما الأشهر الأربعة الباقية من السنة فيقضها فى مهمة الجردة ذهاباً وإياباً . انظر : فتح الله بن أنطون صائغ : المقرب فى حوادث الحضرة والعرب ص ٣٣-٣٣ مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس و Volnéy : Voyage en Egypte et en Syrie p.p.243, 245, 278. وقد ذكر Tresse (ص ٢٤٦) أن قافلة الجردة كانت تخرج من دمشق فى يوم ١٤ ذى الحجة وتقابل قافلة الحج فى طريق عودتها فى هدية على بعد ٢٢ يوماً من دمشق و ٣ أيام من المدينة المنورة . وفى اليومين اللذين =

من كثر كذب الروافض دبّ فينا الشيب
ما يعلموا الكذب أنه من شروط العيب

من جهة الزلزلة قالوا كلام الريب
هم الملاعين صاروا يعلموا بالغيب

[١٣] غيره

في ليلة السبت خامس عشر في محرم
مالو لقول الروافض زور ومحرم

من جهة الزلزلة النوم محرم
من نام تحت السقونة يا أخى بالليل

شم الهوى بين أطرافه يبتحرم

غيره

ياناس كذب الروافض شاع في الأقطار

وصيرونا نساء تقعد بوسط الدار

== يقيمهما الحجاج والجردة في هدية يكون الحجاج ضيوفاً على قافلة الجردة ، ثم تعود القافلتان معاً إلى دمشق ، على أن تسبق قافلة الجردة قافلة الحج بيضعة أيام ، وتستغرق قافلة الجردة في رحلتها في الذهاب والإياب خمسين يوماً . وأضاف Tresse أن باشا طرابلس (أو الجردجى باشا) كان يستغل هذه المهمة فيمعلن في فرض التعارم على التجار الفرنسيين ، وتدخلت السفارة الفرنسية في القسطنطينية ، فأصدر السلطان فرماناً للبasha والقاضي بمنع ذلك .

ينزل عليهم غضب واحد أحد قهّار
روّعوا الخلق في هل زلزلة ياناس
هو حمير اليهود جوا سقر في النار
غيره

بثبوت إن الروافض يوم الحشر يا أخيار
حمير للركب للخاخان والجوقار^(١)
راموادسيسة بجماق^(٢) عمت الأقطار

في ليلة السبت قالوا الزلزلة بتصير
هل يعلم الغيب إلا الواحد القهّار
غيره

في ليلة السبت قالوا الزلزلة بتصير
والطفل من عجبها بين الوري بتحير
أسألك يارب بمن جا للأنام بشير
تمسح روافض أهل الشام يا معبود
واحرق آباهم وغور^(٣) كورهم^(٤) والبير

(١) لعله يقصد الخاقان والجوقدار .

(٢) جلق هي دمشق .

(٣) لعله يقصد كور إسماعيل قائد القبو قول ، وقد قتل في الفتنة التي قامت
في تلك السنة بين القبو قول والإنكشارية وأدت إلى طرد القبو قول من دمشق
وقد أشار إليها البديري والمقار (نشرة النجد ص ٦٨) .

(٤) لعلها : في .

قد قالت الناس كذبة ما سمعناها
أنهار الشام يا أخى ينقع ماها
تجرى طعام بدال الماء مجراها
فاختية^(١) ورز أصفر ولحم سمين
قوموا انظروا للكيب والسمن غطاها
غيره

سمعت واحد يقول يا أخى قساطلكم
هى عاطلة تا قوم^(٢) معكم أعاونكم
لان أدهان ها الألوان^(٣) تساعدكم
وتخبوها لأيام الغلا والقحط
لا يجسوها الكيب فى دربها عندكم
غيره

فى سنة أربع مع الخمسين يا سادات
سمعت أخبار ما سمعت^(٤) بها عادات^(٥)

(١) لون من ألوان الطعام بالشام .

(٢) أى حتى أقوم .

(٣) ها الزلزلة وها الألوان أى هذه الزلزلة وهذه الألوان .

(٤) صارت : فى النسخة التيمورية .

(٥) لعله يقصد أهل عاد .

زادوا بأسرافهم ما سمعوا الكلمات
الكل لله والأعمال بالنيات
غيره

أستغفر الله ربي باعث الأرزاق
واحد مهيمن نجد كلها إطلاق
وامدح المصطفى هو صفوة الخلاق
[٣ب] يغفر لكم ومعكم أحمد الخلاق

سنة ١١٥٥

تم دخات سنة ١١٥٥^(١) وأولها يوم الخميس وهو أول المحرم .
وبعد خمسة أيام كان أول آذار^(٢) . وفي تلك الأيام ظهر كوكب وصار
يطلع كل ليلة من جهة الشرق من نصف الليل إلى طلوع الفجر ، وله
ذنب طويل ، ومكث أياماً ثم غاب . وقد عمل بعضهم تاريخاً يتضمن
تاريخاً لدخول هذه السنة وهي :

محمد الله الذي أوهبنا	حسن عام وحبانا بالكرم
هل هذا العام يا قوم أنظروا	لفظة التاريخ فالأبغتم
فاضرخوا لله في إمامه	بنجاح إنكم خير أمم
وابشروا يا أمة الهادي الذي	خصه الله بفضل وحكم

(١) أولها يوافق ٨ مارس ١٧٤٢

(٢) شهر مارس .

فضل ربى عمنا تكرة
 وكذا كل الورى قد عمهم
 لطفه سبحانه بارى النسم
 وخصوصا عصابة الشام اللى
 هى للأبدال مأوى ملازم
 كيف والسادات^(١) قد حلّوا بها
 سرهم عم لسهل وأكم
 فاشكروا الله على عام أنى
 أظهر التاريخ حفظا ونعم

وكان دخول جو قنار سليمان باشا الوزير ابن العظم سنة ١١٥٥
 فى يوم السبت الواقع فى رابع وعشرين من شهر محرم من السنة
 المذكورة . وفى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من المحرم أقبل كتاب^(٢)
 الحج الشريف . وبارت فى اليوم المذكور ريح شديد يوهين ولياتين قامت
 أشجارا كثيرة وهدمت أماكن لأحصى . ووقع فرع عظيم من شجرة
 الخرنوبة اللى فى الحضرة على رأس غلام مراهق فمات لوقته ورجلين
 آخرين فمشمهم ، وسكن الريح بوقته .

وفى يوم الاثنين ثالث صفر من السنة المذكورة دخل الحاج
 الشامى إلى دمشق ، ودخل سليمان باشا العظم مائى بوم . وكان صحبته
 يعقوب باشا سردار الجردة المنفصل عن حلب . وكان الحج فى تلك
 السنة بأمن وأمان ورخاء ورخص ، غير أن الباشا ذهب بين الجرهين
 من قبا وخرج من جبل عرفات من عند قبة النور ، وآب راجعا من
 الطريق الذى جاء منه على باشا .

(١) السادات الأشراف أو السادة .

(٢) انظر فيما سبق ص ٧ حاشية رقم (١)

قال [البديري] : وفي ذلك العام [١٤] تأخر مجيء الفرمان المقرر على سليمان باشا عظم زاده^(١) ، فلغطت الأراذل والأسافل بالقول والفعل وأظهروا بدعا كثيرة من محض الحرام ، ولا زالوا على تلك الأحوال حتى جاء الفرمان ، وكان دخوله صبيحة رابع جمادى الثانية من السنة المذكورة ، وكان القاضى بالشام عبد الوهاب أفندى الملقب بأزاده . وفي ذلك العام أمر فتحي أفندى ابن القلانسي الدقيرى^(٢) فى تعمير طريق الصالحية ، فقلب بلاطه وعمر صفته وأصلح حاله مع الناس .

(١) أى ابن العظم .

(٢) كان الدقيرى أو الدقتردار من الشخصيات البارزة فى دمشق فى ذلك العهد وهو المشرف على حسابات الولاية ، والقلانسى تحريف للقلانسى نسبة إلى قلانقس من أعمال حمص وقد اشتهر بالجرأة والإقدام ، وتولى النظارة على وقفى السلمانية ، وكانا من أهم الأوقاف بالشام ، وصاحب العلماء والأدباء والكتاب وأرباب الموسيقى والضحكين ومدحه الشعراء ، حتى إن أحد أدباء عصره وهو الشيخ سعيد الدمان جمع مدائح فى كتاب سماه : الروض النافع فيما ورد على الفتح من المدائح . وكان الدقيرى نفسه يقرض الشعر ، وكانت له عصبية قوية ، فوضع أتباعه فى المناصب الهامة بالشام ، غير أنهم عرفوا بالفسق والفجور ، واستبد الدقتردار بالأمر وكثرت ثروته وعظم نفوذه ، حتى طغى وتجبر ، وجاهر بالظلم ، وكان يحمى أصحاب الشر من رجال أو جاق الإنكشارية المحلية (البرلية) الذى كان هو ينتمى إليه ، وقد عظم فسادهم ، « وكلامهم — فيما يقول الرادى — ينطقون بلسان واجد كأنهم روح فى جسم واحد » ، حتى هزوا بالباشا نفسه — وهو أسعد باشا العظم ، فاستصدر أمرا بقتله ، و « ضمن الدولة تركته بألف كيس » وخلق الدقيرى فى « ملجأ الخيرة » بمرأى دمشق ، وأرسلت رأسه إلى القسطنطينية وصودرت أمواله للدولة ، وكذلك فعل أسعد باشا مع أتباع الدقيرى . (المرادى : سلك الدرر ج ٣ ص ٢٧٩ وما بعدها) . وسيتحدث البديرى بعد ذلك فى حوادث سنة ١١٥٩ =

وفي غرة رجب المبارك من السنة وهي سنة ١١٥٥ جاءتنا جارية^(١) مباركة ، وكنا قد اشترينا لنا منزلا جديدا في محلة التعديل ، وكنا في ضيق فقنا : لعل بقدمها يحصل لنا الفتح والفاحة ، فسميناها صالحة ، جعلها الله تعالى فالحة .

وفي ٢٢ من جمادى الثانية عمل حضرة سليمان باشا العظم دوانا ، وجمع فيه الأندية والأغاوات ، وأخرج خطأ شريفنا^(٢) بالعدل والنفتيش على المفسدين في دمشق من الانكشارية ، وطلب وُساء الميدان^(٣) وهم الأغاوات للحضور ، فأبوا وأرسلوا له يسألونه ما يريد ، فأرسل يطلب منهم ستة عشر رجلا من الأشقياء الذين يسموهم باصطلاحهم زرباوات ،^(٤) فأرسلوا يقولون له : نحن لا نقدر هلى

= من مصرع فتحى الدقرى ويذكريثاته وحسناته . وقد قال يصف نفوذه في أوائل حكم أسعد باشا العظم : « كان هو السلطان في الشام وصاحب نفوذ الكلام وكلامه يقضى الأشغال والأمر مفوض لدى الجلال » .

(١) يقصد المؤلف أنه ولدت له بنت .

(٢) هو الفرمان السلطاني وعليه خط السلطان

(٣) حى الميدان من أقدم أحياء دمشق ، وكان في أول الأمر بمثابة ضاحية لها تقع إلى الجنوب منها في طريق الحج ، وكان معقل الانكشارية المحلية (البرلية) وعرف بهذا الاسم نسبة إلى (ميدان الحصى) القديم وهو قريب منه . سوقاچيه : دمشق الشام ، لمحة تاريخية ص ٤٥

(٤) الزرباوات هم (الفتوات) في الاصطلاح المصرى . انظر فيما سبق ص ٥

إلقاء القبض عليهم فدونك وإياهم . فبالحال أزال عنهم كدكاتهم^(١) ،
ووجهها على غيرهم وأعطى أسماءهم للدلال ، وأمره أن ينادى في شوارع
الشام أن هؤلاء الستة عشر دمهم مهدور ولا جناح على من قتلهم
وغيرهم في أمن وأمان من سليمان باشا . ففرحت الناس أجمعين ، لأنهم
كانوا من أعظم المفسدين . وثاني يوم قتلت الدالاتية^(٢) رجلاً أنكشارياً ،

(١) كدكات جمع عربي للكلمة التركية كدك (gedik) ومعناها الأصلي
امتياز أو إعفاء ، ثم تطورت إلى معانٍ شتى ، فهي تعني أحياناً السند الذي يتسلم به
الجندي راتبه ، وهي هنا بمعنى التمكين من مزاوله صناعة ما ، وكان يعد نوعاً من
الملكية يمكن التنازل عنه أو يبيعه أو توارثه عند وفاة صاحبه . وإذا أراد مشتغل
بمعرفة أن يحصل على كدك وجب عليه أن يدفع مبلغاً من المال للحكومة بعد أن يثبت
أنه يملك الأدوات التي يحتاج إليها في عمله . والكدك نوعان : نوع يسمح لصاحبه
بأن يقوم بعمله أينما أراد ونوع آخر يقيد صاحبه بمكان معين

Gibb & Bowen. Islamic Society and the West Vol 1. part
٢. p. 713, 282.

والأستاذ شفيق غربال : مصر عند مفروق الطرق ، ترتيب الديار المصرية كما شرحه
حسين أفندي [مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية المجلد الرابع الجزء الأول - مايو
١٩٣٦ ص ٢٦٠ . وفي ٨ ذى الحجة ١٣٧٧ (١٨٦١) أصدرت الحكومة
العثمانية قانوناً من ٢١ مادة لتنظيم (الكدكات) . انظر : مجموعة التنظيمات العثمانية
للنشورة باسم : الدستور . ترجمة من التركية إلى العربية نوفل أفندي نعمة الله نوفل
المجلد الأول . بيروت ١٣٠١ ص ٩٢ - ٩٦ .

(٢) الدالاتية أو الدلاة كلمة عربية مشتقة من (دلى) التركية بمعنى مجنون أو
متهور ، وهم طائفة من الجنود ، وصفهم الجبري (الطبعة الأهلية ج ٤ ص ٢٤١-٢٤٢)
في حوادث سنة ١٣٣٠ بمناسبة إرسال محمد علي فريفا منهم إلى الحرب في الحجاز
بقوله : « وهؤلاء الطائفة التي يقال لهم دلاة ينسبون أنفسهم إلى طريقة سيدنا عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه (كذا) . وأكثرهم من نواحي الشام وجبال الدروز =

فهربت الناس وسكّرت^(١) دمشق الشام . فسأل الباشا عن ذلك ، فقيل له إن بعض الموصلية والبغادة^(٢) الذين كانوا قبقول وطرردوا في زمن عثمان باشا المحصل حين قتلوا بعض الانكشارية مرادهم الآن يعملوا فن . فأمر منادياً ينادى أن لا يبقى بعد ثلاثة أيام أحد من الموصلية والبغادة والقبقول ، وكل من بقي منهم يصلب وماله يذهب .

وفي ٢٤ من جمادى من هذه السنة دخل القاضى محمد أفندى الملقب بفندق زاده ، ونزل في الصالحية ، وكان الباقى من مدة القاضى

= والمتاوله وتلك النواحي ، يركبون الأكايش ، وعلى رؤوسهم الطراير السود مصنوعة من جلود الفم الصغار ، وطول الطرطور نحو ذراع ، وإذا دخل الكنيف نزع من على رأسه ووضعه على عتبة الكنيف ، وما أدرى أذلك تعظيم له عن مصاحبه معه في الكنيف أو لحوف وحذر من سقوطه إن انصدم بأسكفة الباب في سخن المرضاض أو لللاق . وهؤلاء الطائفة مشهورة في دولة العثمانيين بالشجاعة والإقدام في الحروب ، ويوجد فهم من هو على طريقة حميدة ومنهم دون ذلك . وقد وصفهم الأستاذ شفيق غربال بأنهم « أشقياء من أكراد سوريا ... كانوا شرًا من رأى اهل مصر » (محمد على الكبير ص ٣٣) . وقد اشتهر عنهم بأنهم إذا احتفى بهم أحد فليس قلبهم حموه ودافعوا عنه (ميخائيل الدمشقي ص ٣٣ ، ٩٨ ، ٩٩) . وبيت الدالاتى من البيوت المعروفة بدمشق حتى اليوم .

(١) سكّرت بمعنى أقلتت في تعبير أهل الشام .

(٢) الموصلية والبغادة هم بمن يتعمون إلى الموصل وبغداد ، وكان يقيم منهم بالشام عدد كبير التحقوا بالخدمة في الأوجاقات ليفيدوا من اضطراب الأحوال بالشام في ذلك الوقت [انظر : ميخائيل الدمشقي ص ٣٢ — ٣٥ في حوادث سنة ١٨١٢ عن فترة البغادة في الشام على الباشا واعتصامهم بالقلعة ثم الفتك بمدد منهم وطررد الباقين سواء من الجند أو من التجار ثم العفو عنهم .

القديم أربعة^(١)، وبعد إتمامهم باشر القاضي الجديد وظيفته في المحكمة.

وفي عشية ليلة الثلاثاء ثالث رجب من هذه السنة [٢] ارتحل سليمان باشا طالباً قتال الظاهر عمر حاكم قلعة طبرية^(٢) ومعه عسكر عظيم أكثره دالاتية، وأخذ معه القنابر واللغمجية والطوبجية الذين جاؤوا من إصطنبول بطلب منه، ثم وصل إليها وحاصرها حصاراً شديداً^(٣)،

(١) لم يميز المؤلف هذه الأربعة، أكانت أياماً أم شهوراً.

(٢) الشيخ ظاهر العمر الزيداني من الشخصيات البارزة في تاريخ سورية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. كان ينتمي إلى قبيلة فلسطين تدعى الزيادة، بدأ بأن نال ولاية طبرية والتزام أموالها من باشا صيدا، فلما استقر بها حصنها ودعا أهله إليها، واستخدم الجند وكثر أتباعه، وتحالف مع أقوى القبائل العربية الضاربة في تلك الأنحاء وهم بنو صقر، ثم شرع يضم البلاد التي حول طبرية شيئاً فشيئاً سواء سلباً أو حربياً. ويطلب من وزير صيدا التزامها مدعياً أنه يريد حمايتها من العربان، حتى قوى ملطانه وذاع صيته، فضم إليه عكا، وقد جعلها قاعدة له وحصنها، كما ضم إليه بلاد نابلس وحيفا وصفد، واقب بشيخ مشايخ صفد. وقلقت الدولة لاتساع سلطانه، فأبّت عليه ولاتها في سورية، فتحالف ظاهر مع علي بك الكبير الذي كان قد خلع طاعة الدولة في مصر في ذلك الوقت، واتصل بالقائد الروسي في البحر الأبيض المتوسط، وكانت روسيا في ذلك الوقت مشتبكة في حرب مع الدولة العثمانية، ولكن الدولة قضت على حركة علي بك مستعينة بعمالوكه محمد بك أبي الذهب، ولم تصل إلى ظاهر مساعدة روسية ذات قيمة، وانتهى الأمر بهزيمة ومصرعه على يد تابعه الدنسكزلي سنة ١٧٧٥. [انظر تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد تأليف ميخائيل نقولا الصباغ العكاوي. نشره الحوري قسطنطين الباشا]

(٣) ذكر الصباغ مؤرخ سيرة الشيخ ظاهر العمر حصار سليمان باشا العظم قلعة طبرية في حوادث سنة ١٧٥٣ (١١٦٧ - ١١٦٨ هـ) وذكره الأمير حيدر =

وأرسل حضرة سليمان باشا يطلب من أهل الشام سلاماً فأرسلوا له ما طلب، وبعد مدة أرسل يطلب فعالة وبساتينية ويكون معهم مرور ومساحي. ومجلاف^(١)، فأرسل جميع ما طلب إليه ولم يزل محاصراً القلعة، وهو يضرب عليها بالمدافع والقنابر، ولم يؤثر فيها، وقد ساعدته الدروز وأهل نابلس ونائب القدس خليل أغا ابن أبو شنب^(٢) وعرب بني صخر. وعرب السقر^(٣) مع قعدان بن ظاهر السلامة^(٤). وقد ضيقوا على أهل القلعة الحصار. لكن أخبر بعض أهل طبرية بأن المحصورين بالقلعة ما حصل لهم ضيق لأن مؤنهم كثيرة، وقيل إن باب القلعة يفتح في وقت مخصوص، وبعض الناس تغدو إليهم وتروح بما يطلبون. وقد قبض على ذخيرة مرسله لهم، وذلك بأن أهل «دير حنا»^(٥) وفيها أخو

= الشهابي في حوادث سنة ١١٥٧ (١٧٤٤م). ولكن التاريخ الصحيح هو ما ذكره البديري هنا وهو سنة ١١٥٥ هـ (١٧٤٢ م) ويتفق معه القصار (ص ٦٩) بل يتفق معه في اليوم الذي بدأ فيه سليمان باشا العظم الحصار وهو ٣ رجب من تلك السنة (١) مجلوف : في النسخة التيمورية.

(٢) أبو شيب : في النسخة التيمورية.

(٣) ذكر الصباغ في تاريخه لظاهر العمر (ص ٦٣ - ٦٤) أن عرب «الصقر» كانوا أولاً مع ظاهر وأن فرسانهم كانوا يطاردون جند الشام للتهزمين وقد استمروا يناصرون ظاهراً حتى ارتفع شأنه، ثم لما استتب له الأمر رفع يدهم ومنعهم من السلب والنهب ومن عواندهم التي كانوا يأخذونها من البلاد، فخرجوا عليه بعد ذلك وناصروه المداء، وقد كان عرب الصقر يتولون في الإقليم بين جبل نابلس والناصر (الصباغ ص ٥٤).

(٤) قعدان أحد زعماء بني صقر، وسيأتي ذكره في الكتاب.

(٥) دير حنا قرية بفلسطين بها قلعة قديمة، وقد جعل ظاهر العمر أخاه الأكبر سداً عليها (الصباغ ص ٥١).

الظاهر عمر أرسل لأخيه كتاباً مع شخص، وأرسل ذخيرة بارود وخلافها مع أشخاص، فألقى رجل من عسكر سليمان باشا القبض على الشخص الذى معه المكتوب، وذلك بعد تفتيشه. وجد الكتاب موضوعاً فى نعله، فأخذ حضرة الباشا الكتاب وقرأه وقرّره. فأفر بالنجدة والذخيرة المرسلة لأخى الظاهر عمر، فخالاً أمر سليمان باشا بقتله، وأرسل جماعة للقوم الذين معهم الذخيرة فأخذت منهم، وقتلوا غالبهم، وقطعت رؤوسهم، وأرسلها سليمان باشا إلى إسلا مبول، وشدّد الحصار، وأرسل سليمان باشا لأخى الظاهر عمر الذى فى دير حنّا يقول له: إذا فرغنا من أخيك جئنا إن شاء الله إليك. وستأتى تمة نزعها إن شاء الله تعالى.

وكان هلال رمضان فى هذه السنة نهار الاثنين وأثبت بعد العشاء، وأشعلت القناديل فى سائر مآذن الشام، وضربت مدافع الإثبات فى منتصف الليل، وحصل للناس زحمة فى حركة السجور، حتى فتحت دكاكين الطعام ليلاً كالحبازين والسّمانيين^(١).

وفى تاسع رمضان المذكور هطلت أمطار غزيرة على عامة البلاد والله الحمد. وغرق مركب بساحل صيدا [١٥] بتلك المدة، وكان قادماً من مصر وفيه أرزاق كثيرة، عوض الله أصحابها خيراً، قيل إنه غرق

(١) السمانون هم (البقالون) فى تعبير أهل مصر.

في نوء قاسم كوى^(١). وجاءت الصرة^(٢) من إسلامبول يوم الجمعة ،
وجاءت الخزنة السلطانية^(٣) من مصر يوم السبت ثالث عشر من
رمضان ، وقد تأخرت عن وقتها ، وكان صنعها عمر بك .

وجاءت البلطجية^(٤) من إسلامبول نهار الاثنين في الشهر المذكور
ومع ذلك حضرة سليمان باشا العظم في حصار طبرية ، وقد شدد
على أهلها كما يأتي .

وفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من هذا الشهر شهر رمضان
توفي الرجل الصالح الحاج أحمد الخلاق بن حشيش ، كان رجلاً صالحاً الجارأى
العجائب لأنه كثير السياحة ، وكان حسن المعاشرة والوداد ، وكان
حلاقاً لفرد زمانه وقطب أوانه الشيخ عبد الغنى النابلسي قدس سره ،
وكان يخلق أيضاً للشيخ مراد أفندي النقشبندی الكسيح ، ولعمدة

(١) في القاموس المحيط كُوى على وزن كُسى وهو نجم . وفي المحصن لابن
سيده كُوى نجم من الأنواء فنوء كوى من الأنواء المعروفة عند الفلكيين
العرب . أما كلمة قاسم فلا محل لها إلا أن تكون مصحفة ، وربما كانت العبارة
(نوء قاسم كوى) .

(٢) الصرة هي الأموال التي كانت ترسلها الدولة في كل عام إلى الأشراف بالحجاز .
(٣) الخزنة هي الأموال التي كانت ترسلها مصر في كل عام إلى خزينة السلطان
بالقسطنطينية وكانت في أغلب الأحيان ترسل برآ عبر الأراضي السورية ، وسنجد
الخبزنة هو قائد الجند العينين لحراسة الخزنة في طريقها من مصر إلى القسطنطينية ،
وكان يختار من كبار الأمراء المالك .

(٤) البلطجية هم الرسل .

مذهب السادة الشافعية شيخنا الشيخ محمد العجبوني ولأمثالهم ، وكان يخلق بجاناً للفقراء من طلبه العلم وغيرهم . ومن صلاحه وتقواه أنه ما وضع يده على مريض إذا رمد وقرأ ما تيسر لإشفائه الله وعافاه . قال مؤرخها الحلاق الشيخ أحمد [البديري] : وكان صاحب الترجمة أستاذي ومعلمي في صنعة الخلاقة ، ومنه حصل لي الفتوح والبركة ، رحمه الله تعالى .

وثاني يوم الأربعاء توفي الشيخ مصطفى المغربي ، وكان رجلاً دينا أخذ الطريق من الأسناد الشيخ يوسف الطباخ .

وفي تلك الأوقات اشتد الغلاء في سائر الأشياء سيما المأكولات ، وجود الأفلال وغيرها ، فمن عدم تفتيش الحكام صار البياعون يبيعون بما أرادوا ، غير أن الغنم كان قليلاً جداً ، فصار الجزائريون يذبحون الجاموس والجل والمعز ، فصار يباع رطل اللحم الشامى بثلاثين مصرية ، ورطل إلية الغنم بقرش وربع ، والبيض كل ثنتين بمصرية ، والسمن رطل وأوقتين بقرش ، والثوم رطله بثلاثين مصرية ، ورطل الخبز بأربع مصارى وبخمسة مصارى وبأكثر . وقد كان بثلاث مصارى ونصف . فبقدم شهر رمضان المبارك غلت الأسعار حتى الخضر ، فقد كان قبل رمضان الكوسا كل مائة بمصرية ، فلما هلّ رمضان صار خمسة وأربعة بمصرية ، والبادنجان كل رطلين بمصرية [٥٠] ، فصار كل رطل بمصريتين ، واللحم عدم ، وكل ذلك من عدم تفتيش الحكام .

وكان نهار عيد الفطر يوم الأربعاء ، وقد صمناه ثلاثين يوماً
يا كمال العدة ، فدخل العيد ، ولم يأت حضرة والى الشام سليمان باشا
(من الدورة^(١)) ، بل هو الآن مقيم على حصار قلعة طبرية .

وفي يوم السبت رابع شوال جاء تبشير رسمي من حضرة سليمان
باشا^(٢) بفتح قلعة طبرية ، فضربت المدافع وعملوا الزينة ودت
الطبول والزهور .

وثاني يوم الأحد دخل حضرة سليمان باشا العظم إلى دمشق ،
فسبق كخبته^(٣) والعسكر ، وترك على قلعة طبرية على أغابن الترجمان ،
وعنده بعض العسكر والفعالة ، وأمره أن لا يقدم دمشق حتى يخرسها
بعد إخراج أهلها منها

(١) الدورة : كان باشا الشام — قبل موسم الحج بنحو ثلاثة أشهر — يخرج
للدورة ، وهي جولة تفتيشية في جهات نابلس وعجلون ، وكان جيل نابلس ملكاً
خاصاً للدولة (مثل ياقا) ويتزعم مشايخه بيت الجرار ومركزهم قلعة سناور ، وقد
نشأوا في بيت قديم بنابلس ، وهو بيت طوقان (الصباغ ص ٤٩ ، ٥١) . وكان
الباشا يستهدف من هذه الدورة أمرين : الأول جمع الأموال الأميرية من سكان
الناطق الجنوبية من إيباته ؛ وهي الناطق التي يودها نفوذ أصحاب المصيات من
شيوخ البلاد وزعماء المشائر ؛ وذلك ليستعين بهذه الأموال في إعداد قافلة الحج .
والأمر الثاني : إظهار سطوة الدولة في هذه الأجزاء من إيباته وهي التي
ستمر بها بعد زمن وجيز قافلة الحاج الشامي إلى بيت الله الحرام .

Volney : Voyage..... p.. 260.

(٢) المبارة الواقعة بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية ، وواضح أن
الغنى لا يستقيم إلا بها .

(٣) الكنجيا أو الكنخدا هو وكيل الباشا أو نائبه .

قال المؤرخ : وبلغني أن سبب فتحها أنه لما اشتد الحصار على أهلها ، وقد قلّ الزاد من عندهم ولم يتمكنوا من جلب قوت مما قد أحاط بهم من المساكر والعربان وأنه بعد ضرب المدافع والقنابر أمر حضرة سليمان باشا بحفر (خنادق)^(١) ولغم طوله مائتان ومائون ذراعا ، ولما باغهم ذلك ضاقت عليهم الدنيا وازداد فرحهم ، أرسل الظاهر عمر المحصور شيخ طبرية إلى عمر بك صنيق الخزنة المصرية التي تأتي للدولة العلية بهيئة وافرّة ليتوسط بالصلح بينه وبين حضرة سليمان باشا ، وكان ذلك قبل وصوله ووصول الخزنة لدمشق . فلما وصلت سار عمر بك ، ودخل على حضرة سليمان باشا ، لأن بينه وبين حضرة الباشا مودة وصداقة حينما كان سليمان باشا حاكما بمصر^(٢) . وكان عمر بك رجلا وقورا كبيرا السن ، وقال له : يا حضرة الوزير ، أنا رجل كبير السن بمنزلة والدك ، وإن كنت من جملة خدمك ، وداخل على جاهك

(١) هذه الكلمة غير واردة في النسخة الظاهرية .

(٢) تولى سليمان باشا العظم ولاية مصر في سنة ١١٥٢ (١٧٣٩) ، ولم يمكث بها أكثر من عام ، إذ نازعه الأمراء للمالك وأرسلوا يشكونه إلى السلطان ، فعزله (المرادى ج ١ ص ٣٨) وقد ذكر الجبرتي بئى من التفصيل في حوادث تلك السنة (ج ١ ص ١٥٥ — ١٥٦) النزاع بين سليمان باشا والأمراء وعلمه بأن الباشا لما استقر في ولاية مصر أراد إيقاع فتنة بين الأمراء ، بل دبر مكيده للفتك بعدد من رؤوسهم ، ونجح فعلا في تنفيذ بعض ما دبر ، ولكن خصومه تجمعوا عليه ، فأراد الاحتماء بباب الانكشارية فرفضوا واضطروه للرجيل من مصر ، وكان ممن استعان بهم سليمان باشا العظم ، الأمير عمر بك بن علي بك قطامش ، وهو الذي قاد بعد ذلك قافلة الخزنة المصرية إلى القسطنطينية — على نحو ما ذكر البديري — وزار صديقه القديم في دمشق وتوسط لديه للشيخ ظاهر العمر

في الصلح بينك وبين عبد نعمتك ودولتك الظاهر عمر شيخ طبرية
 والصفح من شيم الكرام، وأنتم الكرام لاسواكم. فأجابه حضرة الباشا
 بأنه يصير خير إن شاء الله تعالى. ولما كان ثاني [أيام] العيد، عيد الفطر
 اشتد على أهل طبرية الأمر، وزاد عليهم الحصر، خرجوا إلى أعلا
 الأسوار رافعين أصواتهم ينادون حضرة على أغا الترجمان، ولما قرب
 منهم قالوا له: لك الأمان ادخل الباب. فأخذ الإذن من الباشا ودخل
 [١٦] الباب. وكان حضرة سليمان باشا قد أدركه السفر إلى الحاج،
 فدخل على أغا إلى قلعة طبرية فتلقوه [كذا] المشايخ ومعهم الظاهر
 عمر، فرفعوا على قدميه وصاروا يبكون حوايه، وعملوا له عشرة
 أكياس، ليدخل بينهم وبين حضرة سليمان باشا بالصلح، ثم خرجت
 النساء والأطفال والشيوخ يبكون وينتحبون فرق لهم، وسار طالباً
 حضرة الباشا، فلما وصل إليه وقع على قدميه، ووعظه بالحلم
 والإشفاق، وذكر له فضائل محاسن الأخلاق، فرق قلبه وأجاب
 سؤاله. فلما علم المحصورون وتحققوا أن حضرة الباشا عفا عنهم وصفح
 خرجت النساء، والرجال والأطفال، وفي رقابهم المحارم وعليهم
 الذل رافعين أكف الضراعة بالمسكنة، وضاجين بالأدعية له
 وللسلطان الأعظم، ودفَعوا الحضرة مائتا [كذا] كيس من المال
 بعد ما أخذ ابن الظاهر عمر رهينة وأتى إليه^(١) إلى الشام، وأرسل
 جماعة لهدم القلعة وإبادتها.

قال المؤرخ : هكذا حدث بذلك على أغا شاطر باشى ، وقد نقلت لنا هلى غير هذا الوجه . والله أعلم بمحقيقة الحال (١)

وفى يوم الجمعة عاشر شوال من هذه السنة توفى الحسيب النسيب السيد عبد الله بن عجلان نقيب السادة الأشراف بالشام ، ودفن بمدفنتهم فى سوق الغنم لضيق جامع المرادية ، وكان يومئذ معزولا عن النقابة وهى على ابن أخيه السيد على أفندى (٢) . وفى ذلك اليوم عزل السيد على أفندى عن النقابة ووجهت على السيد محمد أفندى بن الشيخ عبد القادر الكيلانى ، وفى ذلك اليوم أيضا عزل حامد أفندى ابن العمادى (٣) عن وظيفة الإفتاء ووجهت إلى ابن عمه محمد أفندى ابن العمادى .

(١) لم يرد فى الراجع المعاصرة لتلك الحوادث كتاريخ الصباغ ومخائيل الدمشقى وروفاثيل كرامة والقار والقارى والأمير حيدر الشهابى ما يؤيد هذا « التبشير الرسمى » بفتح سليمان باشا قلعة طبرية ، ويبدو أن البديرى نفسه شك فى ذلك ، إذ قال : وقد نقلت لنا (هذه الحادثة) على غير هذا الوجه والله أعلم بمحقيقة الحال ، وسيعود مرة أخرى فيذكر خروج سليمان باشا لقتال الظاهر عمر « حاكم قلعة طبرية » .

(٢) بيت العجلانى من البيوت الشهيرة بدمشق ، توارث كثير من أفرادها نقابة الأشراف بها وترجم المرادى لغير منهم ، منهم السيد على العجلانى الذى تولى النقابة للمرة الأولى فى سنة ١١٥٠ (١٧٣٧ - ١٧٣٨) ثم عزل عنها وعاد إليها عدة مرات وأخيراً تولاها من سنة ١١٧٣ حتى وفاته فى ١١٨٣ (١٧٥٨ - ١٧٦٩) ، وقد علا شأنه فى عهد الباشا حسين مكى ، فتولى عدة مناصب وحاز عدة إقطاعات (المرادى ج ٣ ص ٢٠٦) .

(٣) بيت العمادى من البيوت الشهيرة بالعلم فى دمشق فى القرن الثامن عشر ، تولى =

قال المؤرخ رحمه الله : وفي ليلة السبت حادى عشر شوال توفيت والدتى في الثلث الأول من الليل ، رحما الله وعفا عنها وبرّد مضجعها ، وقد فارقت الدنيا وأنا بين رجلها نائم ، وكانت من الفاتنات للمعابدات تصلى نوافل الليل ، ولها أوراد ، إلى آخر ما قال .

وفي ذلك الشهر من هذه السنة بعد صلاة الجمعة خرج المحمل الشريف مع الوزير الخطير سليمان باشا بن العظم . وثانى يوم السبت جاء الحج (الحلبى) ومعه ألف وسبعمائة عجمى . وفي عشرين شوال خرج الحج^(١) ، من البلد شيئا فشيئا . وقبل سفر الوزير سليمان باشا عمل [٦ ب] ديواناً وأحضر الأعيان ، وأظهر فرمان الذى فيه قتل الزرباوات^(٢) أى المفسدين من الأناكشارية ، وقال لمن حضر : هذا فرمان الذى أمره مفوض لنا قد ألغيناه وعفونا عنهم ، وعدّ ذلك من حسناته .

= كثير من أفرادہ إفتاء الحنفية بالشام ، تلقى حامد العمادى العلم على نفر من كبار علماء الشام والقسطنطينية ونال رتبة السليمانية ، وهى من أرفع الرتب العلمية بين العلماء الأتراك ، ثم دّرس بالجامع الأموى والسليمانية وشغل منصب الإفتاء أربعة وثلاثين عاما وألف كتباً كثيرة ، منها فتاويه ، وقد ألف فى فنون مختلفة ، كالأفيون والمهوية ودفع الطاعون وترجم للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ، وكان يقول الشعر ، وقد جمع ثروة كبيرة وظل موضع احترام الناس والحكام حتى مات فى شوال ١١٧١ (١٧٥٨) للرادى ج ٢ ص ١١ — ١٩ .

(١) العبارة الواقعة بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية ولا يستقيم المعنى إلا بها .

(٢) انظر فيما سبق ص ١٨٠ ، ١٩٠ .

وكان أول فصل الشتاء في هذه السنة يوم الأربعاء تاسع وعشرين
شوال وهو يوم دخول المزيرباتية^(١)، وأقام الباشا في المزيرب أربعة
أيام ورحل في اليوم الخامس، وشال الحج عرب بنى صخر^(٢)، وقد
كان كل شيء رخيص [كذا] من جميع البضائع ما عدا المعك^(٣)،
والشعير المد بنصف قرش، وقد رجع من الغلمان خلق كثير، وأمطرت
السماء مطراً غزيراً يوم مجيء المزيرباتية بعد أن قنطوا، فاستبشرت عموم
الخلق وحمدوا الباري على لطفه :

وفي عاشر ذى القعدة دخل مصطفى باشا متولى طرابلس الشام نهار
الاثنين إلى دمشق، هيته الدولة العلية سرداراً على الجردة^(٤). والمذكور
كان سفكاً كاللدماء ظلوماً غشوماً أهرق دماء كثيرة حينما كان في
طرابلس، وكان غالب قتله بالكلاب والشنكل، يترك الرجل حتى
يموت جوعاً وعطشاً، فهربت غالب أهالي طرابلس من ظلمه وتفرقوا
في البلاد، وأرسل أعوانه في طلب الهاربين، فالذى قبضوا عليه كان من
الهالكين. وبعد مجيئه لدمشق وقعت فتنة بين الدالاتية^(٥) التي للقسا

(١) انظر فيما سبق ص ١٠ حاشية رقم ٢ .

(٢) يقصد أن عرب بنى صخر قدموا الإبل لملح الحجاج ومحتاجهم

(٣) خليط من بياض الطحين وبعض الحبوب يقدم غذاء للإبل .

(٤) انظر فيما سبق ص ١١ - ١٢ .

(٥) انظر فيما سبق ص ١٩ - ٢٠ .

وبين لاوند^(١) الأكراد، وقتل من الفريقين جماعة، وكانت تلك الفتنة في يوم الجمعة، حتى بطلت صلاة الجمعة في كثير من الجوامع.

وفي فرة ذى الحجة ختام السنة المذكورة توفي الشيخ محمد السكيال وكان من رؤساء المؤذنين في جامع الأموي، وكان رجلاً صالحاً، وكان ينسخ كتباً وغيرها بخط مقبول، وكان ينام والقلم بيده ويفيق ويكتب من غير نظر للكتابة، وقد عدت له كرامة.

وفي ذلك اليوم جاء خبر قتل متسلم دمشق^(٢)، قتله عرب الزيد^(٣) وقتلوا من جنده جماعة كثيرة، وذلك لما كانت هذه العرب عاصية على الدولة خرج المتسلم المذكور ومعه جماعة من العسكر، فساروا حتى وصلوا للعرب المذكورة، ففاجأهم المتسلم وجنوده على حين غفلة بالقتل وغيره، وأرادوا أخذ أموالهم وهواشيمهم، فردوا عليهم رد فيور صبور فقتلوا المتسلم المذكور وجماعة من عسكره، فحين بلغ هذا الأمر أكابر دمشق عملوا [١٧] ديواناً ثم أمروا منادياً ينادي: من أراد طاعة الله

(١) اللوند هم (أصلاً) رجال البحرية العثمانية من أهل الشرق (Levantis) ثم أصبح الاسم يطلق على طائفة من الجند العثمانية من أخطا شتى، وقد عرفوا بالفساد والإفساد، حتى أصدر السلطان فرماناً بإبطال طائفتهم، ففرقوا في الأقطار ودخلوا في خدمة الولاة وأصحاب العصيات.

(٢) متسلم دمشق هو نائب الباشا في حكمها أثناء غيابه في الحج، وقد ذكر القار (نشرة للنجذ ض ٦٩) أنه كان يدعى إبراهيم أغا، وذكر البديري بعد ذلك أن اسمه (إبراهيم).

(٣) عشيرة بدوية ويطلق عليها الآن: (الزيدات).

والسلطان بمن له قدرة وقوة على الركوب فلا يتخلف ، فالغارة الغارة على
عرب الزبيد الذين قتلوا المتسلم وهسكروه ، فخرجت الإنكشارية والساهاية
والرعماء ، وهينوا نائباً بدمشق حسين أغا بن الفطيفاني المتولى على وقف
المرحوم سنان باشا ، ثم ساروا للعرب ، ورجعوا ومعهم جسد المتسلم
(المقتول) ^(١) ، وهو في حالة عبرة لمن اعتبر ، ثم غسأوه في سراية الحكم
ودفنوه في باب الصغير ^(٢) . وكان اسمه إبراهيم ، وهو مملوك سليمان باشا بن
العظم حاكم الشام ، وكان مع عدل مولاه ، له ظلم وعدوان وجرأة على
الخاص والعام ، وكان يأمر بالقبض على كل من رآه بعد العشاء ، ويأمر
بتقييده في الحال بالحديد . إلى أن يأخذ منه مال كثير [كذا] ، وإذا أذنب
أحد ذنباً ، ولم يقدر على قبضه يقبض من يقدر عليه من أهله وقرابته ،
ويلزمه بمال هظيم ، وإذا نهأ أحد عن تلك الأحوال يجرده ، ويطلب
الارتحال ، ولا زال بظلمه وعدوه ، إلى أن أخذه الله . وقبل سبب تدميره
أنه جاءه شيخ الجبلية ^(٣) ، الفجيلي ، وقال له سراً : قم حتى أكسبك كثيراً
من الغنائم ، ولم يعلم أحداً من كبراء الشام ، سوى قومه الطغاة ، فذهب
هو وقومه ، حتى وصل إلى اللجاة ، فلما وصل إلى تلك القبيلة ساق أوالمهم
والحریم . فارتدت عليه العرب ، وأخذ عليه واحد منهم نيشاناً . وضربه

(١) كلمة المقتول غير واردة في النسخة الظاهرية .

(٢) باب الصغير أحد أبواب دمشق القديمة في الجزء الجنوبي من سورها

(٣) قبيلة عربية في طريق حوران . انظر فيما بعد .

خلم يخطئه، وتركه ملقى قتيلاً، وقتلوا جماعة من قومه، ذلك بما قدمت يداه.
وفي نهار السبت منتصف ذى الحجة، توفى أبونا ووالدنا وأستاذنا
ومريتنا سليمان بن الحشيش الحسكوانى رحمه الله . كان فر يد عصره
ووحيداً فى أوامه . وكان يحكى سيرة الظاهر وهنتره وسيف ، ونوادير
غربية فى التركى والعربى ، ومع ذلك فهو أمى لا يقرأ ولا يكتب .
وكان أشقر أبرص ، شديد البياض ، إلا أنه بحر خضم لا يخاض ، رحمه الله .

وفى يوم السبت خامس عشر ذى الحجة توفى المرحوم عبدالعزیز
أفندى السفر جلالى ، وكان فقيهاً محباً للعلماء ، مقبولاً عند الحكام
مهاباً وقوراً ، وأعطى جاهاً لم ينله أحد من بنى السفر جلالى ، محباً لفعل
الخير . ولهذا حصل له القبول عند الخاص والعام .

وفى اوائل الشتاء من آخر هذه السنة قلت الأمطار ، ريثبت الخلق
ونفض الغلاء على قدم وساق ، فأغاث الله عباده بالأمطار [٧ ب]
كالبحار ، وذلك فى ابتداء كانون الثانى ^(١) ، واستمر ليلاً مع نهار
لا يفتر ، وأثلجت الدنيا سبع مرات ، واستمر ذلك خمسة وأربعين
(يوماً) ^(٢) ، وتهدمت أماكن كثيرة ، بحيث ما بقى محل ولا جهة فى الشام
إلا ووقع الهدم فيها ، ثم بعد ذلك طلعت الشمس ، وأحيا الله الأرض
بعد موتها .

(٢) غير واردة فى المخطوطة .

(١) يناير .

سنة ١١٥٦

ثم دخلت سنة ١١٥٦ ، ألف ومائة وستة وخمسين ، نهار الاثنين غرة محرم^(١) ، جعلها الله سنة خير ورحمة وبركة . وكان والياً بدمشق الشام سليمان باشا العظم ، وهو في ركب الحج للشريف .

وقد هلّ هذا العام الجديد ، ورطل الخبز الشامي ، بأربع مصرية وبخمسة . ورطل الأرز بثمانية مصرية ، ورطل الدبس بثمانية مصرية ، وأوقية السمن بستة مصرية ولا توجد ، مع أنه كان من نحو شهر كل رطل وثمانية أواق بقرش ، ولكن الخزان ما أبقى للفقراء قمحان ، وأوقية العسل بخمسة مصرية ، ورطل اللحم الضأن بثلاثين مصرية ، ورطل لحم الجاموس ولحم البقر بعشرين مصرية ورطل الثوم باثني عشر مصرية ، وأوقية الزيت بمصريتين وقطعة^(٢) . وهذا الغلاء ما سمعنا بمثله أبداً وقد طال الماطال ، والناس منتظرة للفرج من الملك المتعال .

قال المؤرخ : وفي أوائل هذه السنة الجديدة توفي الحبيب النسيب السيد أحمد البابا ، رئيس حرفة الدباغين . كان رحمه الله بهي المنظر ذا هيئة حسنة ، ولنا معه صحبة .

(١) يوافق ٢٥ فبراير (شباط) ١٧٤٣ م .

(٢) للمصرية (أو البارة) كانت ١٠ قطع أو فلوس . والقرش ٤٠ مصرية .

والمصرية من الفضة ، أما القطعة فن نحاس . انظر فيما سبق حاشية ٤ ص ٤ .

وفي رابع وعشرين محرم ، كان دخول الجوخدار^(١) من الحاج الشريف ، يبشر بالسلامة وحسن السيرة . ثم جاء الكتاب^(٢) ومعه المكاتب ، ثامن وعشرين محرم ، نهار الأحد من هذه السنة المذكورة . وفي سابع محرم ، صار في دمشق ، سيل عزمرم ، مارؤى قط مثله من قديم الزمان ، وعقبه نزل برد كبير ، استقام نزوله مقدار ساعتين ، حتى علا على وجه الأرض مقدار ذراع ونصف .

وفي أوائل شهر صفر الخير ، جاء خبر عن الحج الشريف ، بأنه غرق في الحسا قريباً من القطرانة^(٣) ، وذهب على ما قيل مقدار نصف الحاج ، من خيل وجمال وبغال ، ونساء ورجال وأموال وأحمال وقد غرق لأحد التجار سبعة عشر حمل ، كل حمل لا يقام ثمن ، فاستغاوا بحضرة سليمان باشا العظم والى الشام ، وأمير الحاج ، وقالوا : نحن نهب لك مالنا

(١) انظر فيما سبق ص (٦) حاشية رقم (١)

(٢) انظر فيما سبق ص (٧) حاشية رقم (١)

(٣) الحسا أحد منازل الحج الشامي ، إلى الشمال من معان ، والقطرانة كذلك إلى الشمال من الحسا ، وهما محرومتان من الماء صيفاً ، ولكن بهما ماء في الشتاء . وكان الحجاج يلاقون مشقة زائدة ، في ذلك الجزء من الدرب ، حيث تكثرت اعتداءات البدو في الضايق ، ويقبل ماء الثرب . وكثيراً ما كانت السيول تجرف الركب ، كما ذكر البديري هنا .

فكان الحجاج يقولون :

بوغاز الحسا . ما ينتسى

كله أسى . رمل وحصا

انظر : Tresse op. cit. p.22. ، كرد على : خطط الشام ، ج ٥ ص ١٨٦ -

وخذته أنت ولا تركه للعرب . فخالاً نهض وأخذ معه جماعة ، وذهب نحو مرحلة ، وقد خاطر هو وجماعته ، ثم غاب يوماً وليلة [١٨] بعد ما جدوا في طلبه ، وإذا هو قادم ومعه الأحمال ، لم تنقص ولا ذرة . ثم ناداهم وسلمهم [كذا] إلى أصحابهم ، ولم يدنس حجه بشيء . وقد عدوا هذه المنقبة لمثله ، من الهمم العالية والمروءة السامية ، وبوصولهم أيضاً للبلقة^(١) جاء أيضاً سيل عظيم ، أخذ مقداراً عظيماً من الحج ، وأراد أن يتمم على بقية الحج ، لولا أن تداركه الله بطفه . ولما حصل هذا الأمر ، كتب حضرة أمير الحاج سليمان باشا توقيعا ، وأرسله إلى الشام وإلى من حواليه ، بأن يأتيه بعاف وذخيرة ، فنأدى المئادى في شوارع دمشق : يا أمة محمد ، من كان يحب الله ورسوله ، ويمكن من الخروج فليخرج ، ومعه ما يقدر عليه من مأكلا ومشرب وملبس ، فليخرج ليلاقي الحاجاج ، فخرجت الخلق مثل الجراد .

وفى يوم الأحد رابع صفر الخير دخل الحاج ، وثانى يوم دخل المحمل الشريف مع حضرة سليمان باشا ، وكانت سنة هائلة أخبر الحاجاج أن مدّة العليق صار بهرستين ، وفى بعض الأماكن بأربع قروش ، وكل ثلاث تمرات بمصرية ، وهذا شىء ماسمع من قديم الزمان ، ويبيع كعب البقسماط ، بثلاث قرش . وكانت دمشق أشد غلاء من غيرها ، حتى مدّة الملح وصل ثمنه إلى ثلاثين مصرية ، والدبس الأوقية

(١) البقاء موضع بناحية معان .

مصرية، واللبن في آدار^(١) رطله بسبعة مصارى، والخبز لا يوجد ،
والحكام يخزنون ، وأهل البلد يفعلون كعلمهم ، وإلى الله المصير .

وفي يوم الاثنين ثالث عشر شهر صفر الخير من هذا العام ، توفى
العالم العامل ، الشيخ أمين أفندى ابن الخراط رحمه الله

وفي غرة ربيع الأول من هذه السنة شرع حضرة والى دمشق
الشام ، سليمان باشا ابن العظم في فرح ، لأجل ختان ولده المزين
أحمد بك ، وكان في الجنينة التى في محلة العهارة ، وجمع فيه سائر الملاعب
وأرباب الغناء واليهود والنصارى ، واجتمع فيه من الأعيان والآكابر
من الأفندية والأغوات^(٢) مالا يحصى ، وأطلق الحرية لأجل الملاعب
يلعبون بما شاؤوا ، من رقص وخلاعة وغير ذلك ، ولا زالوا على هذا
الحال سبعة أيام بلياليها . وبعد [ذلك] أمر بالزينة ، فزينت أسواق
الشام كلها سبعة أيام ، بإيقاد الشموع والقناديل ، زينة ما سمع بمثلمها .
وعمل موكب ، ركب فيه الأغوات والشربجية^(٣) ، والآكابر
والانكشارية ، وفيه الملاعب الغريبة ، من تمثيل شجعان العرب وغير
ذلك . [٨ ب] وثانى يوم طهروا ولده أحمد بك ، وأمر من صدقانه أنه
يطهروا من أولاد النقرء وغيرهم ممن أراد ، فصارت تقبل الناس
بأولادهم ، وكلما طهروا ولدا يعطوه بدلة وذهبين . وأنعم على الخاص

(١) آذار وهو شهر مارس .

(٢) رؤساء الجند .

(٣) الأعيان .

والعام ، والفقراء والمساكين بأطعمة وأكسية وغير ذلك ، مما لم يفعل أحد بعض ما فعل ، ولم نسمع أيضاً بمثل هذا الإكرام والإنعام ، على الخاص والعام ، فرحمه الله وجزاه أحسن الجزاء ، آمين :

وبعد هذا الفرح العظيم ، عمل فتحي أفندي الدفترى^(١) فرحاً عظيماً بهذا الشهر ، أعنى به (ربيع الأول ، زوج ابنته لابن أخيه ، وكان فرحاً عظيماً ما عمل بدمشق نظيره)^(٢) ولا يبلغ أحد أنه عمل مثله ، وكان سبعة أيام ، كل يوم خصّه بجماعة : فالיום الأول خصّه بحضرة والى الشام سليمان باشا بن العظم ، واليوم الثانى إلى الموالى^(٣) والأمراء ، واليوم الثالث إلى المشايخ والعلماء ، واليوم الرابع التجار والمتسبين ، واليوم الخامس إلى النصارى واليهود ، واليوم السادس إلى الفلاحين ، واليوم السابع إلى المغانى والمومسات ، وهم [كذا] بنات الخطا والهوى . وقد تكرم عليهم كرمأ زائداً ، ويعطيهم الذهب والفضة بلا حساب . وكان قبل الفرح عمل تهليلية ، جمع بها جميع مشايخ الطرق .

وفى السادس والعشرين من ربيع الأول بهذا العام توفى نقيب القباء فى دمشق ، على الحرف والصنایع والطرق ، الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ محمد الحلاق القادري ، صاحب الحلقة فى الجامع الاموى .

(١) انظر فيما سبق ص (١٧) حاشية (٢)

(٢) العبارة المحصورة بين قوسين ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٣) علماء الأتراك .

وفي يوم الخميس ثامن والعشرين من ربيع الثاني، في هذه السنة المذكورة، توفي الشاب السعيد، سلالة الطاهرين، ونفذ الصديقين، أحمد أفندي البكري الصديقي، وكان من النجاة على جانب، ودفن بتربة الشيخ رسلان رحمه الله .

وفي يوم الأحد غرة جمادى الأولى من هذه السنة، شرع حضرة سليمان باشا ابن العظم، في تعمير وترميم نهر القنوات، وجعل جميع المصارف من ماله جزاءه الله خيراً، واشتغل بها من الفعلة مائتاً فاعل، فأمر بقطع بعض الصخر من طريقها، وبتشديد أركانها، وإصلاح ما فسد منها، ورفع جدرانها وبضبطها ضبطاً جيداً، وبإصلاح فروع مستحقيها على الوجه الحق، وأن يأخذ كل ذي حق حقه . فكانت هذه العمارة والضبط ما سبقه إليه . حد من عهد إصلاحها من أيام التيمور^(١) لما أصلحت بعده، وقد [١٩] تمت عمارته في برهة خمسة عشر يوماً في أول وربعمانية الصيف^(٢) . ولما تم أمر بإطلاق النهر، فكان إطلاقه على أهل دمشق فرجة من أبهج الفرج، ويوم مثل يوم الزحام . وقد أرخ هذه العمارة شيخ الأدب في الشام الشيخ عبد الرحمن البهلول^(٣)، مادحاً حضرة الوزير سليمان باشا ومشيراً لتاريخ تتميم البناء، فقال :

(١) يقصد غزوة تيمورلنك بدمشق، وكانت في سنة ١٤٠١ م.

(٢) ربعمانية الصيف : تمير يطلقه أهل الشام على الأربعين يوماً الأولى من

فصل الصيف وفيها يشتد الحر . (٣) انظر فيما سبق ص ٩ حاشية رقم (١) .

جزى المولى أمير^(١) الشام خيرا سليمان الزمان ودام دهرها
بما قد جدّد القنوات صدقا يا خلاص زكا سرا وجهرا
فيا طوبى له إذ نال أجرا على مرّ الليالي مستمرا
له في كل مكرمة أباد يا حسان عات وهلم جرا
فكم صنعت يدها وجوه بر بها أرخ سبيل الخير أجرا

١١٥٦

وفي نهار الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى توفى الشيخ الفقيه
العالم الشيخ على ، مدرس جامع عز الدين في باب السريجة^(٢) ، وقد ناهز
الأماني ، رحمه الله تعالى .

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الأولى من هذه
السنة ، قامت العامة وهجمت على المحكمة ، وطرّدوا القاضي ، ونهبوا
الأفران . وسبب ذلك كثرة الغلاء والازدحام على الأفران ، وقلة
التفتيش على صاحب القمح والطحّان والحزان ، فتلافى حضرة الوالى
سليمان باشا هذا الأمر ، وأرسل يشدّد على الطحّانة والحبّازة ، ويهددهم
ويخوفهم لئلا وجد الخبز ، وتحمّن وكسد ، بعد ما كانت غالب الناس
تبات بلا خبز ، فابتهلت الناس بالدعاء لحضرتة .

وفي سادس جمادى الثانية من هذه السنة ، توفى الشيخ مصطفى

(١) « وزير » في النسخة التيمورية .

(٢) حتى يقع إلى الجنوب الغربي من دمشق خارج سورها القديم .

ابن شيخنا، وأستاذنا، شافعيّ زمانه، وفاضل أوقته، الشيخ محمد العجلوني، من افتخرت به عملة القنوت، رحمه الله. وبالأمر المقدور، توفيت زوجته أول يوم، ولحقها ثاني يوم، ربحهما الله تعالى.

وفي سابع جمادى الثانية من هذه السنة، خرج سليمان باشا قاصدا قتال الظاهر عمر، حاكم قلعة طبرية^(١)، واستصحب معه من العسكر، نحو خمسمائة رجل، ألبسهم قلابق. وكانوا يشبهون الأرتوطة وسماهم الأرانطة. وجاءه فرمان من الباب العالي، بأن يخرج معه والى صيدا والى طرابلس والقدس وغزة والرملة وإربد، وقيل ركب معه من جبل الدروز [٩٠٠] عشرون ألفاً ويوم الماشر أرسل إلى أغوات الإنكشارية، وأن يرسلوا له ثلاثمائة إنكشارى، وما بقى من العساكر يرسلونهم لمحافظة قرى حوران. وأرسل أيضا إلى عامة قرى الشام بأن يخرجوا من كل قرية عشرة أنفار، ليحافظوا مع الإنكشارية أيضا. ثم سار بتلك الجموع، وحطّ على مرج القدس بفتح القاف والدال في بلاد المتارلة^(٢)، وأرسل طلب الأمير

(١) انظر فيما سبق ص ٢١، ٢٧، ٢٨.

(٢) المتارلة أو بنو متوال، قوم يتخذون بعض مبادئ الشيعة، وكانوا يكونون جبل عامل من أعمال لبنان. ومن مشايخهم بنو حرفوش في بعلبك، وبنو صعب في مقاطعة الشقيف، وبنو منكر في الشوير والتفاح، وبنو على الصغير في بلاد يشارة. وكانت الزعامة في بيتهم. وكان كبيرهم، في ذلك الوقت من القرن الثامن عشر، الشيخ =

ملحم^(١) ، لجأه ومعه مائتا خيال . وبعد مدة جاء خبر لدهشق ، بأنه وقع قتال بين الدروز والمناولة ، فقتل من المناولة أكثر من ألف وحرقت الدروز بلادهم ونهبت أموالهم . ثم صالت المناولة على الدروز فقتلت من الدروز نحو خمسمائة رجل ، وكان معهم الأمير حيدر صاحب قلعة دير القمر^(٢) ، فهام الباشا ، فاعتذروا له فتركهم وشأنهم . ثم رحل حضرة سليمان باشا ، طالباً قلعة دير حنا^(٣) (وأخذ معه شيخ المناولة نصار وفعه نحو من أربعمائة إنسان ، ورجع الدروز ، ولم

= ناصيف النصار ويدعى شيخ مشايخ المناولة ، وفي معرض التبجيل يقاله (أمير) . وكان الأتراك يكرهون المناولة والدروز ، ولهذا كانوا يضربون كل طائفة بالأخرى . وقد أشار الأمير حيدر الشهابي (ج ١ ص ٣٢) إلى ذلك القتال بقوله : « وفي هذه السنة (١١٥٦) خرج سليمان باشا وزير صيدا بالعساكر الكثيرة ، في مرج قدس غرب بلاد بشارة وبلاد الشقيف وإقليم التفاح ، وبقي الباشا في مرج قدس ثلاث عشر يوماً » . وواضح أن سليمان باشا كان في ذلك الوقت ، والياً على الشام ، لاعلى صيدا ، كما أن البديري أشار إلى أن هذا التخريب لبلاد المناولة إنما قام به الدروز .

(١) الاسم غير واضح في نسختي الظاهرية والتيهورية ، وقد رجحنا أنه الأمير ملحم (الشهابي) زعيم الدروز في ذلك الوقت . انظر الحاشية التالية .

(٢) أخطأ البديري فذكر أن صاحب قلعة دير القمر (وهي مقر إمارة الدروز في ذلك الوقت) هو الأمير حيدر ، فقد توفي هذا الأمير (صاحب الانتصار الكبير الذي أحرزته القيسية على الحنية ، في وقعة عين دارة سنة ١٧١٠) في سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣٠ — ٣١) . أما زعيم الدروز في الوقت الذي يتحدث فيه البديري ، فهو الأمير ملحم (الشهابي) ، وقد أشار البديري فيما سبق إلى القتال الذي دار بين سليمان باشا في أول توليته على الشام وبين الدروز .

(٣) انظر فيما سبق ص ٢٢ حاشية رقم ٥ .

يرض معاونتهم ، وكان في قلعة دير حنا^(١) أبو سعد^(٢) أخو
الظاهر عمر .

قال [البديري] : وفي تلك الأيام جاء الخبر إلى دمشق ، بأن
القافلة التي سارت إلى بغداد أخذتها العرب ، وكان بها من الأموال
مالا يحصى بقلم ، ومن جملتها هدية وافية من حضرة سليمان باشا
والى الشام ، إلى أحمد باشا بن حسن باشا والى بغداد . وقد نقلت
الرواية بأن العرب ، الذين أخذوا القافلة من أعوان الخارجي ، الذي
خرج من بلاد العراق ، ويسمى طهما سب ، الذي تغلب على ملك
العجم وأخذ بلاده ، وعلى ملك الهند وأخذ بلاده ، وقصد مدينة
بغداد وحاصرها أشد الحصار^(٣)

(١) العبارة الواقعة بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية .

(٢) ذكر الصباغ (ص ٦٠ - ٦٢) أن اسمه سعد . وقد وزع الشيخ ظاهر أبناءه على
القلاع ، كما ذكر الصباغ أن سعداً هذا هو الذي دبر مقتل سليمان ، إذ لجأ إلى الباشا
متظاهراً بأنه خرج على أبيه وتربص حتى وافته فرصة ملائمة ففس السم للباشا .

(٣) يشير المؤلف هنا إلى (نادر قلي) من قبيلة الأفيجار الذي انضم إلى طهما سب
(الصفوى) المطالب بمرش إيران الذي اغتصبه الأفغانيون ، وانتصر نادر وأصبح وصياً
على العرش ، وقد تطلع لاسترداد بغداد من العثمانيين ، لحاصرها (سنة ١٧٣٣) ، وبذل
والها أحمد باشا جهداً عظيماً لإيقادها ، وتم له ذلك بعد أن وصلته نجدة من القوات
العثمانية بقيادة طوبال (الأعرج) عثمان .

انظر : Longrigg : Four Centuries of Modern Iraq .

وقد أطلق البديري على نادر لقب (الخارجي) لأنه ينتمي إلى الشيعة .

وفي سابع يوم من رجب ، جاء خبر لدمشق بأن سليمان باشا ابن العظم قد مات ، ودخل في خبر كان ، فخالا قام فتحى أفندى بن الفلانسى ، دفردار الشام ، وختم على دوره وخزائنه وأملاكه^(١) . وأقام على ذلك حرساً بالليل والنهار ، وقرّر على أغا المتسلم على حاله ، وكتب بذلك عرضاً ، وأرسله للدولة العلية .

وفي ليلة الخميس ثامن رجب من هذه السنة ، في وقت الفجر أدخلوا سليمان باشا في تحت ، وأدخلوه لسراية الحكم^(٢) ، وغسلوه بها ودفنوه ضحوة النهار ، في مدفهم في باب الصغير ، بجوار سيدنا بلال الحبشى ، في القبر الذى فيه ولده إبراهيم بك ، بوصية منه رحمه الله تعالى [١٠] رحمة واسعة . فقد كان وزيراً عادلاً ، حليماً صاحب خيرات ومبرات ، محباً للعلماء وأهل الصلاح . وقد أبطل مظالم كثيرة ، كانت على أهل الشام ، مثل الشاشية والمشيجة والعرض ، وهى أموال تفرض على الحرف والصنائع والحارات في الشام مرة أو مرتين في السنة . قال المؤرخ البديرى : وقد أخبرنى بعض من أثق به عن سبب موته ، وهو أنه دخل إلى حمام حكمة^(٣) ، وخرج منه محموماً ، وأن الظاهر

(١) كان لسلك فتحى أفندى الدتيرى هذا ، أثر في إغضاب أسعد باشا العظم عليه ، حتى دبر مصرعه ليأخذ بثأر عمه ، كما سيذكر البديرى في حوادث سنة ١١٥٩ .
(٢) السراى مقرّ الباشا ، وهى قرية من القلعة ، وقد أطلق عليها في العهد التركى التناخر (الشيرية) ، ويقوم في موضعها الآن (القصر المدلى) .
(٣) أشار الصباغ في تاريخه لظاهر العمر (ص ٦٢) إلى مسألة الحمام هذه ، ولكنه أضاف إليها أن سعداً بن ظاهر احتال حتى دس السم لسليمان باشا في كأس =

عمر حاكم طبرية أرسل له كتابا ، يطلب منه الصلح فأبى ، وقال لا يمن
إلا برأسك . فأرسل الظاهر عمر يستغيث به ، ويقول خذ من
الأموال ما تشاء ، ودع سفك الدماء والقتال ، وارحم النساء والأطفال .
فلم يقبل سليمان باشا ، إلى أن دخل الحمام وخرج محمواً ، وعلم أنه ميت
لا محالة ، ثم إنه أوصى أن يرحل به إلى الشام ويدفن عند ولده ،
ثم قضى نحبه رحمه الله تعالى . فكتم الأمراء موته ، ورحل ألى بك
وأكار الدولة . مع كنية سليمان باشا من عكة ، ومعهم العساكر والمدافع ،
وهربوا من طبرية ، ثم ضربت المدافع ، ونزلوا على طبرية ، بعد ما
وضعوا الباشا في التخت وحوله الجوخدارية ، والغلمان تروّح له
بالمراوح يمينا وشمالا ، وأمروا الخدام أن تنادي بالعسكر وهم مارين :
الله ينصرك يا بوخرما^(١) يا سليمان باشا . ثم أمر أن تفرد البيارق
وتصطف العساكر وتسير ، ومرّوا على طبرية ، ولم يدر أحد
ما جرى^(٢) . ولما وصلوا إلى جسر بنات يعقوب بلغهم أن خمسة آلاف

= الشراب بالحمام . و « عكة » هنا ليست واضحة ، لأن « عكا » كانت مقراً لظاهر العمر
وهي بعيدة عن مسرح القتال في طبرية . وذكر القار (ص ٦٩) أن سليمان باشامات
بقريّة « لوية » بالقرب من قلعة طبرية ، ويتفق معه رسلان بن علي القاري (ص ٧٨) .
(١) « خرما » اسم ابنة سليمان باشا ، وقد جرت عادة العرب أن يكنوا
الرجل بابنته .

(٢) تختلف رواية البديري عن رواية الصباغ الذي ذكر (ص ٦٤)
اضطراب جند الشام ، بعد موت سليمان باشا وانسحابهم بدون نظام ، واستيلاء
جند ظاهر العمر على أموالهم ومتاعهم .

من المتأولة كامين لهم ، فرحلوا أول الليل . وجدوا في السير ، فلطف اللطيف ، ووصلوا للشام طلوع الفجر . ويوم دخولهم قامت الإنكشارية وقتلوا جماعة من الدالاتية تعدياً بلا سبب . وأما فتحى جلبي الدفتردار فإنه أمر بسجن السلجدار والخزندار والسيد محمد بيك ، ابن عم سليمان باشا ومحمد آغا الديرى ، وكيل الخرج^(١) والمتصرف بدمشق الشام . وكان سجنهم فى باب الأغا ، ورسم على من معهم من الجماعة ، وأقام ينتظر الجواب .

وفى نهار الأربعاء ، رابع عشر شهر شعبان من هذه السنة ، ورد خبر بأن أسعد باشا بن المظم ، الحاكم فى حماة ، قد تقررت عليه ولاية دمشق مع إمارة الحاج . فأبقوا متسلها على آغا المتقدم ذكره ، إلى حين حضور الباشا المذكور .

وفى ذلك النهار جاء ثلاثة نجابة ، من المدينة المنورة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم [١٠٠ ب] السلام ، وأخبروا بأن المدينة محاصرة وأنها ثلاثة أحلاف : حلف مع غزّ القلعة ، وحلف مع الطواشى^(٢) ، وحلف مع أهل المدينة ، وأنهم فى قتال عظيم ، وأن شريف مكة أرسل إلى الطواشى خمسة عشر ييرقاً تساعده على ذلك ، وأن النجابين المذكورين ، قاصدين اصطنبول ، ليخبروا حضرة السلطان

(١) هو الشرف على صرف المهمات .

(٢) آغا السراى ، وهو شيخ الحرم المذنى ، تعينه الدولة ليقضى بقية حياته فى مدينة الرسول .

بذلك الحال^(١) .

وفي يوم السبت ، الخامس والعشرين من شعبان المبارك ، الواقع في سنة ١١٥٦ ، كان دخول أسعد باشا ابن العظم لدمشق الشام والياً . وكان دخوله من مسجد الأقصاب ، وهي المحلة المشهورة عند أهل الشام بجزء القصب . ودخل بموكب عظيم من الأنكشارية ، وأكابر دمشق وأمرائها وأعيانها .

وفي ليلة السبت ، حكم قاضي دمشق بإثبات هلال رمضان ، وضربت المدافع قبيل العشاء ، وصليت التراويح في جامع الأموى وفي سائر الجوامع .

وفي ليلة الخميس خامس رمضان المذكور ، سافر أسعد باشا بعسكره على الدورة^(٢) ، وترك على البلد المتسلم على أغا المتقدم ذكره . وكان خروجه بزمن معتدل ، والبلد بأمن وخير كثير ، فرطل الخبز بخمسة مصارى ، وأوقية السمن بستة مصارى ، ورطل الأرز بتسعة مصارى ، ورطل اللحم بثمانية عشر مصرية ، وغرارة القمح

(١) يشير البديرى هنا إلى بعض وقائع النزاع بين شريف مكة — وهو إذ ذاك الشريف مسعود — وخصومه من الأشراف . [انظر أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام — نسخة على هامش كتابه : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية . الطبعة الثانية . ص ٩٥ — ٩٨] .

(٢) انظر فيما سبق ص ٢٦ حاشية رقم (١) .

بخمسة وعشرين قرشا . والغلاء بهذه الدرجة ، ولم يكن محل ولاجراد ، ولا قلة مطر ، ولكن من قلة التفتيش ، والالتمات . وقد سافر حضرة أسعد باشا ، وأبقى المسلم المذكور آنفا ، وقد ترك كل شيء على حاله .

وقد توسط فتحي أفندي الدفترى [في] الصلح بين الظاهر عمر حاكم طبرية ، وبين حضرة أسعد باشا . فأرسل له الظاهر عمر أربعين حملا : محملة أرزا وسكرا وجوخا ، وهذا ما عدا لفتحي الدفترى مما اختص به ، فإنه كان هو السلطان في الشام ، وصاحب نفوذ الكلام ، وكلامه يفضى الأشغال ، والأمر مفوض لذى الجلال .

وفي تلك الأيام وصلت الأخبار ، بأن الخارجي المسمى بطهماسب^(١) ، وصل إلى أرض العراق ، وأخذ مدينة كركوت^(٢) ، ومحاصر الموصل وبغداد ، وقد باع الحرم والأولاد ، نسأله تعالى اللطف بالعباد .

وفي تلك الأيام ، رجعت الإناء إلى حامد أفندي ابن المهدي^(٣) . وفي ليلة السبت خسف القمر ، بعد نصف الليل خسوفاً فاحشاً ، وبقى إلى أن طلع النهار . وفي رابع عشر شهر رمضان من [١١١] هذا العام ، ألقى رجل نفسه من أعلا منارة جامع الدقاق إلى الأرض ؛

(١) انظر فيما سبق ص ٤٤ حاشية رقم (٣)

(٢) لعله يقصد كركوك .

(٣) انظر فيما سبق ص ٢٩ وحاشية رقم (٣)

فهلك سريعاً ، بعد أن تكسر جسمه ؛ واسمه الشيخ حسين بن الشيخ يوسف الرافعي . فسألنا عن سب ذلك ، فقيل لنا إن أخا زوجته أتى بامرأة إلى بيته ، وكانت من الخطيئات ، فبهاه عن ذلك ، فنهزه وضربه ، فذهب فأخبر أكابر الحارة ، فلم يلتفتوا إليه لأنهم فوق ذلك بالانتماس ، فذهب إلى جامع الدقاق ، وصلى الصبح مع الإمام ، وصلى على نفسه صلاة الموت ، وصعد المنارة ونادى : يا أمة الإسلام ، الموت أهون ، ولا التعريض مع دولة هذه الأيام ، ثم ألقى نفسه إلى الأرض ، عفى الله عنه . وفي ثامن عشر من هذا الشهر رمضان ، وضع رجل يقال له المجري ، طبنجة في بطنه وقتل نفسه ، فسألنا عن سب ذلك ، فقيل لنا هذا رجل عليه دين ، فقتل نفسه من شدة كربه وقهره ، مع أنهم أخبرونا أنهم وجدوا عنده نحواً من خمسة أكياس قمح مخزونة ، فما سمحت نفسه أن يبيع شيئاً منها ويوفي دينه ، فحسر دينه ودنياه .

وفي يوم الثلاثاء في الخامس والعشرين من رمضان ، في هذه السنة ، أغلقت أهل الشام دكاكينها ، وقامت الأشراف على بيت فتحي أفندي الدفتردار . وسبب ذلك أن تابعا من أتباع فتحي أفندي ، يقال له العفصة ، شتم السيد هلى أفندي النقيب ، وسحب عليه السلاح ، وعلى السيد هلى أفندي بن الشيخ مراد الكسيح في جامع الأموي . فاجتمعت الأعيان ، وعملوا ديوان [كذا] ، وأخرجوا فتوى في قتله وإباحة دمه .

فوقع التفتيش عليه ، فتخبأ في بيت مصطفى آغا بن خضري الشريجي في الميدان ، وكان هذا لعفصة قوس^(١) السيد علي أفندي المرادي ، وهو داخل إلى داره فلم تصبه ، فانزعجت البلدة ، واجتمعت الأكابر والأغارات والقبحية^(٢) والبلطجية وأمين الصرة ، عند القاضي في المحكمة ، وعملوا عرض [كدا] في فتحي أفندي الدفردار ، بأنه من أعظم المفسدين هو وأتباعه ، وأرادوا يرسلوه إلى الدولة العلية ، ولأن انظروا بحبيء حضرة أسعد باشا من الدورة ليختمه ، وثاني يوم بطلت همتهم ، وكان كلامهم كما قيل : كلام الليل يمحاه النهار .

وفي ليلة الجمعة ثامن والعشرين [١١ ب] من رمضان ، وجد في جامع الأموى ، عند باب السكلاسة ، رجل شحاذ مذبوح ، وعلى صدره فلوس مبدورة ، وما ظهر غريمه ، وقيل ظنوا أنهم ذهب ، فذبجوه لذلك ، فلما وجدوهم فلوسا^(٣) بدروهم عليه بعد قتله .

وفي يوم الخميس رابع شوال ، قدم أسعد باشا من الدورة .
وفي تاسع شوال توفى علي آغا بن الترجمان ، وكان رجلا ثناؤه بين

(١) أى أطلق الرصاص ، في تعبير أهل الشام .

(٢) الفرد قاجي أو قبجي ، تعريف للكلمة التركية قبوجي ، ومعناها بواب أو حارس باب السلطان . ويلاحظ أن هذه الوظائف خرجت عن مدلولاتها الأصلية وأصبحت مجرد ألقاب ، وفي الغالب كان رسول السلطان يدعى قاجي أو قبجي باشي

(٣) أى نحاساً .

الناس جميلا . وكان قبل يومين ، عمل أسعد باشا ديوان [كذا]
و جمع فيه الأكابر والأعيان ، وسَمروا الخنطة والخبز ، فجدلوا غرارة
الخنطة بخمسة وعشرين فرشا ، ورطل الخبز بخمسة مِصاري . وهذا
أمر التسعير لا يستقيم على الخصوص في الشام .

وفي يوم الاثنين ، خامس عشر شوال ، رحل أسعد باشا أميرا
للحاج بالمحمل الشريف ، متوجها إلى مكة المشرفة ، ونهار السبت
في عشرين شوال رحل الحاج الشريف . وكان الفصل فصل الشتاء ، والسماء
صاحية ، وكان غلاء . وبعض الطاعون . وبعد سفر الباشا بقي رطل
الخبز بخمسة مِصاري . ولكن صارت غرارة القمح بثلاثين قرشا .
ثم ضجت العامة ، ورجوا القاضي ، وما أفاد شي .

قال المؤرخ (البديري) : وفي ذلك اليوم أفادنا أستاذنا شيخ
قرأء الشام ، الشيخ إبراهيم الحافظ ، ومن قال في حقه أستاذنا الشيخ
عبد الغني النابلسي : من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل ، فليسمعه من فم
الشيخ إبراهيم النابلسي ، (أفادنا) بقراءة هذا الدعاء المبارك ،
وخاصيته لهجوم المخاريف في السفر والحضر ، وهو هذا الدعاء :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لقد جاءكم رسول من أنفسكم .

« عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالموءنين رؤوف رحيم . »

« بسم الله الخالق ، الطائل الأكبر ، حرز لكل خائف ، »

« لا طاقة لمخلوق ، مع الله عز وجل ، اللهم إني في حماك .
 « وتحت لوائك ، فارحم حماك وانشر علينا لوائك .
 « واكشف عنا بلاءك الخارج من أرضك ، والنازل من
 « سمائك ، مطشين^(١) ، فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو ،
 « عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . »

وفي نهار الثلاثاء ، الثالث والعشرين من شوال ، توفى الشيخ العالم
 الفقيه الواعظ الشيخ أحمد الخطيب . الواعظ والإمام في جامع الدقاق
 في محلة القبيبات^(٢) قبل دمشق [١٢] الشام ، وهي الميدان التحتاني
 عند باب الله^(٣) . قال المؤرخ : وتلك المحلة بها مولدى ، ومسقط رأسى
 وبها منزلنا ، وبعد وفاة والدنا انتقلنا منها إلى محلة التعديل . وكان
 الشيخ أحمد المذكور رجلاً فاضلاً ، فقد أحياتك المحلة بالعلوم والدين ،
 وانتفع به كثير من المسلمين .

وفي اليوم الثالث والعشرين من شوال من هذه السنة ، قدم

(١) كذا ، ولعلها كلمة سرمانية مما يدخل أحياناً في أدعية الرواحين والتصوفة .
 (٢) إحدى محلات دمشق القديمة ، تقع جنوبي ميدان الحصا فهي في طريق
 الحجاج إلى الحجاز . وكانت في الأصل قرية يسكنها زراع الناطق المجاورة ، والقبيبات
 هي القباب الصغيرة ، وقد ولد أحمد البديري في هذه المحلة .
 (٣) أحد أبواب دمشق القديمة ، في الطرف الجنوبي منها ، غير بعيد من مسجد
 القدم ، وهو نهاية طريق الميدان ، ومنه يخرج الحجاج متجهين إلى بيت الله الحرام .

سلخور^(١) من جهة السلطان، بتحصيل مال سليمان باشا^(٢)، وقدره اثنا عشر ألف كيس، ودخل الشام مثل شعلة النيران، وأخرج حرم سليمان باشا من ديارهم لإخراجا شنيعاً، وصاروا يفتشونهم [كذا]، واحدة واحدة، مع التفتيش في جيابهم وأعبابهم، وختم على جميع مخادع الدار، وأمر بالقبض على ابن عم^(٣) المرحوم سليمان باشا، وهو السيد محمد، وعلى جماعة أخرى معه، وأمر بالترسيم^(٤) الشديد عليهم، وسأل عن محمد انا الدرري، وكيل خرج سليمان باشا، فأخبروه أنه ذهب مع أسعد باشا إلى الحج، فأمر بجلبه، فجأوا به، وأمر بالترسيم عليه.

قال المؤرخ البديري: ثم أحضر السلخور القاضي والأعيان، واستجاب حرم سليمان الباشا، وأحضر الجلاد وآلة العذاب،

-
- (١) سلخور تحريف لسلحشور، وكان يطلق على رسول السلطان.
- (٢) تتفق مع رواية البديري عن ضبط أموال سليمان باشا روايات أكثر مؤرخي تلك الحقبة من تاريخ الشام. أما الصباغ، صاحب سيرة ظاهر العمر، فيذكر (ص ٦٥) أن عثمان باشا، كتحدا سليمان باشا، هو الذي ضبط مال سيده، فقال ثقة الدولة، فجعلته خلفاً له ولقب بعثمان باشا الوكيل. وواضح أن عثمان باشا كان وكيلا لأسعد باشا العظم الذي خلف عمه في ولاية دمشق، وأن عثمان قام بضبط أموال أسعد باشا، ولهذا لقب بالصادق، وتولى ولاية الشام في سنة ١١٧٣.
- [انظر البديري في حوادث سنة ١١٧٣ والأمير حيدر الشهابي ج ١ ص ٥٥]
- (٣) في النسخة التيمورية أنه (ابن) الباشا، وهو خطأ.
- (٤) أى التحفظ عليهم.

و شدّد على الحرّيم بالطلب ، وأن يعلموه عن المال أين مخبأ ، فلما رأوا
التشديد خافوا من العذاب وأقروا له عن بعض مخبأه تحت
الأرض ، فأرسل خلف المعمارية الذين عمروا السرايا ، وكانوا نصارى ،
وكان المعلم نصرانياً يقال له ابن سياج ، فأمر القبطى بتمذيبهم ، وقطع
رؤسهم وأيديهم ، فلما تحقّقوا عذابهم قالوا : نحن نذلّك على كل ما عمل
ثم أنهم حفروا له تحت الدرج ، فبان عن سرداب ، فرفعوا عنه
التراب ، ونزلوا في درج ، فظهر مكان واسع وفيه صندوق مقفول وعلقه
غالات وقفول ، فأخرجوه وفتحوه ، فأرأوه ملآن من الدراهم
والريالات . ثم أخرجهم النصرانى إلى مخدع ، فحفر في دوائره ،
فإنه فيه سبع برانى ، مملوءة من الذهب المحبّوب السلطانى ، فلما رأى
الحاضر ذلك الحال زافت منهم الأبصار ، ثم عدوه وضبطوه ،
فوجدوه ثمانمائة كيس وخمسين كيساً . فلما بلغ الناس ما خرج عنده
من هذا المال ، وكان في أيام شدة الغلاء ، مع سوء الحال ، لهجوا بالذم
والنكال ، وقالوا قد جوع النساء والنزبان والبهائم والأطفال
حتى جمع هذا المال من [١٢ ب] أصحاب العيال ، ولم يراقب
الله ذا الجلال .

وقبلا جاء قبطى لضبط مال سليمان باشا ، فضبط ألفين وخمسين
كيساً ، فلم يره بشيء [كذا] . وقد كان فتحى أفندي الدفردار
اشترى غالب متاعه والأغلال ، فكان عنده من القمح ما يبلغ ثمنه

خسة وعشرين كيساً ، وكانت الفرارة بخمسة وعشرين غرشا ،
والكيس بخمسةائة غرش ، فانظر كم غرارة بخمسة وعشرين كيساً ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله . وسيأتى الكلام على بطش الله ، وغضبه
بالدفترى المذكور ، لأن الله تعالى يمهل ولا يمهل ، ولا يحسب الله
غافلاً عما يعمل الظالمون .

وفي اليوم الرابع والعشرين ، وهو يوم السبت من شهر
ذى القعدة ، توفى الشيخ محمد المكتبي ، هو وابنه ، فى الطاعون المشتد
فى هذه الأوقات . وكان إماماً فى الجامع القلمى ، وشيخ كتاب فى محلة
الخراطين ، فتوفى هو فى أول النهار ، وابنه فى آخره . وكان مبدأ هذا
الطاعون أول الخريف ، فى أواخر الصيف ، واستمر حتى دخل
الشتاء وزاد كثيراً ، وقد قيل بدخول السنة الجديدة يذهب .

وفى أوائل ذى الحجة ، طلع نجم له ذنب ، من جهة الغرب ، ويستمر
إلى بعد العشاء بقليل ، واستقام إلى أن دخلت السنة الجديدة .

سنة ١١٥٧

وكان دخولها غرة محرم^(١) الحرام يوم السبت سنة سبع وخمسين
ومائة وألف ، ١١٥٧ ، ففى النجم الذى له ذنب ، يطالع من جهة الغرب ،
ثم صار يطالع من جهة الشرق ، وذنبه إلى الغرب .

(١) يوافق ١٥ فبراير (شباط) ١٧٤٤

وفي تلك الأيام قتل نفسه شيخ التكية . وفي تلك الأيام كثرت بنات الخطا ، ويتبرجن بالليل والنهار ، تخرج ليللة قاضى الشام بعد العصر إلى الصالحية ، فصادف امرأة من بنات الخطا ، تسمى سلون ، وهى تعربد فى الطريق ، وهى سكرى ومكشوفة الوجه ، ويدها سكين . فصاح جماعة القاضى عليها ، أن ميلى هن الطريق ، هذا القاضى مقبل ، فضحكت وصاحت وهجمت على القاضى بالسكين ، فأبعدوها [كذا] عنه أعوانه . ثم جمع القاضى الوالى والمتسلم ، وذكر لهم ما وقع له مع هذه العاهرة ، فقالوا له هذه من بنات الخطا واسمها سلون ، واقتن بها غالب الناس . حتى صار ينسب إليها كل حاجة أو متاع ، فيقولون هذا المتاع سلونى ، وهذا الثوب سلونى . فأخرج المفتى فتوى بقتلها ، وإهدار دما تسكيناً للفتنة ، ففتشوا عليها وقتلواها . (١١٣) وأرسلوا منادياً ينادى فى البلد ، أن كل من رأى بنتاً من بنات الخطا والهوى ، فليقتلها ودمها مهدور ، فسافر [عدد] منهم وازوى البقية . ومع ذلك فالطاعون مخيم فى الشام وضواحيها ، مع الغلاء ووقوف الأسعار .

وفي نهار الأربعاء تاسع عشر محرم من هذه السنة ، ورد من الدولة العلية خط شريف إلى القبطى ، الذى جاء لضبط مال سليمان باشا ، بأن يجمع أهيان البلد ويقرأ عليهم فرمان ، ومضمونه بأن يفتش ويفحص على مخالفات الباشا المذكور ، وأن يعذب الرجال والنساء

بلا معارض ، حتى يقرّوا بالمال . فأجابوا بالسمع والطاعة . فأول من
أنى به ، ابن عم الباشا السيد محمد وهدده ، خفاف بالاطلاق ، بأن ما عنده
علم وقيل ضربه ، فأقرّ على مكان ، وقال احفروا هنا ، فحفروا في دار
الباشا حول الوجاق . فبان عن أربع زلع ذهب ، فيهم ستة عشر ألف
ذهب . ثم ضربوا الطواشى ، فأقرّ بأنه مودع عند رجل ، يقال له الحاج
حسن الطرابلسى ، بخلافة ملائنة ريبالات . فسارت إليه الأعيان ، وأنوا
به وبالمال ، فأخرجوه فوجدوا داخل الخلافة بين المال جوهرة
ليس لها قيمة . ورأوا المال ناقصا عن ما قال الطواشى ، فأمر القبطى
بحبس الذى خرج من عنده المال ، وحبس أولاده ومن يلوذ به .
وأمر بحضور نساء الباشا وحريره . وقد ذكرنا أولا أنه أخرجهم
[كذا] من الدار عنفاً وتركهم تحت الترسيم ، والآن امر بإحضارهم
فأحضروهم ، وصار يقرّهم فأنكروا وجحدوا ، فأمر بحبسهم ،
فحبسوا في باب البريد^(١) وشدد عليهم . وكان سليمان باشا سرية مقدمة
على جميع محاطيه تسمى زهرا ، كأنها البدر في أفق السماء . وكان قد
تركها القبطى عند سليمان بيك وكيل سليمان باشا على أملاكه تحت
الترسيم . فلما جاءه العمران بعقوبة الرجال والنساء أمر بإحضارها ،
وسألها عن المال ، فأنكرت وادعت أنها مارأت شيئا ولم تعرف شيئا .
فأمر بضرها ، فضربت على وجهها ويديها وأجنابها ، حتى عدت صوابها

(١) أحد أبواب مدينة دمشق القديمة ، ولا يزال اسمه يطلق على الطريق المؤدى
إلى المكتبة الظاهرية ابتداءً من المكتبة .

فلم تقرّ بشيء ، [١٣ ب] وهى تخلف. أن ليس لها علم ولا خبر ولا أطلعها. [سيدها سليمان باشا] على أمر ، فتركها تحت الترسيم ، لأنه جبار لثيم وشيطان رجيم ليس له شفقة على الحرّيم ، عذبه الله بنار الجحيم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . ثم بعد ذلك جمع الفججى جميع حرّيم الباشا الجوار [ي] والأحرار جملة واحدة ، وأخذ جميع ما معهم [كذا] وما عندهم من ذهب وفضة ومتاع وحلى وألبسة وجميع ما تقتنيه النساء ، وذلك بعد العذاب والإهانة والضرب الشديد . قاتله الله بجلود لا دباغ لها وعذبه بنار الخلود .

ثم إن سليمان باشا كانت له زوجة هى بنت الشيخ ياسين القادري ، لما رأت ما حل بصحبياتها من الإهانة سألتها القبجى عن مال زوجها الباشا ، وهددها بالعذاب ، فخافت وأعطت له شكلا من الذهب يساوى عشرة أكياس ، وأعطته تمسكات ، وهى سندات كانت على بعض التجار بنحو مائة وخمسين كيسا . وكان جميع ذلك المال لمرأى عن أبيها الشيخ ياسين القادري ، رحمه الله وقدّس سرده .

وكل هذا الحال وأسعد باشا العظم فى الحج . ولما جاء أسعد باشا من الحج عمل ديوانا ، وحضر القبجى وأخرج خطأ شريفاً بأن أمره مفوض يفعل ما يشاء من تعذيب وقتل وحبس ، ولا أحد

يعترضه . وقد ظن الناس أن أسعد باشا يقوم ويقعد لذلك ، فخرج الأمر بخلاف ذلك ، وقام ولم يحرك ساكناً . وسيأتي قريباً أخذ ثار سليمان من فتحي أفندي الدفردار .

ثم بعد مدة جاء فرمان بالعمو نامه ، وجمعوا محمد آغا بن الديري والسيد محمد بن عم سليمان باشا والسيد سليمان ، فباعوا القمح والأموال وما بقي من الأمتعة والزردخانه^(١) إلى أسعد باشا بأربعمائة كيس .

وفي نهار الخميس خامس ، جمادى الأولى ، سافر إلى إصطنبول القبجي المذكور . وقد ظنت الناس أن أسعد باتا ابن أخي سليمان باشا يفعل أمراً في القبجي وفي فتحي الدفردار فلم يقع منه شيء وسيأتي تدييره في تدمير الدفردار قريباً .

وفي آخر جمادى الثانية جاء خبر من الدولة العلية في طلب فتحي أفندي الدفردار ، فسار صحبة القبجي الذي جاء في طلبه .

وفي خامس يوم رجب تعصبت أعيان الشام ، وعملوا عرضاً في فتحي أفندي [١٤] بأنه من المفسدين ، وما تم [الأمر] معهم لاختلاف كلمتهم .

(١) الزردخانه المكان الذي يحفظ فيه السلاح ، ويقصد بها هنا السلاح نفسه .

وفي ليلة الثالثة والعشرين من رجب بعد العشاء انشقت السماء ونزل
منها آفة عظيمة ، واشتهر ذلك بين الناس . قال المؤرخ : ولم أرها بعيني .
وفي ثامن يوم من شعبان دخل قاضي الشام محمد أفندي زاد ، وكان
رجلاً عاقلاً ، إلا أنه ما عنده سياسة ولا تدبير .

وفي اليوم الرابع عشر من شهر رمضان بهذه السنة جاء فتحي
أفندي الدهتر دار من اصطبل ول ودخل الشام بفرح وسرور ، ولم ينله
أذى ضيم . وسبب ذلك ما بذل في الإصطبل من المال الذي به تميل
قلوب الرجال . وكان محسوباً على الفضلار^(١) وجماعة من رؤساء الدولة
كبار . وقيل إنه دخل لإصطبل سرّاً وفرق المال سرّاً وجهرّاً ، وكان
قد طلبه السلطان ، فزَيَّوا رجلاً بزيه ، وأدخلوه على الملك ، ففرعه
بالكلام وبما وقع منه ، وما أرسلت أدل الشام من الشكايات عليه ،
فكان كلما قال له حضرة الملك محمود خان كلاماً يشير له برأسه أن نعم ،
وكان قد أمره بذلك من أدخله ، فخلاً أمر بقتله فقتل ، وهو ينظر أنه
فتحي أفندي الدهتر دار ، ثم أمر وافتحي أن يلحق بالشام لئلا . وفي آخر
ذي الحجة بطلت الماوس^(٢) الذي (كذا) كانت ضرب الشام .

(١) تحريف لوظيفة « قز» لرأغاسي « أي الأغا الذي يشرف على حريم
السلطان وكان عبداً خصباً ، وله نفوذ قوى في بلاط السلطان .

(٢) عملة من نحاس . انظر فيما سبق ص ٣٥ ، ٥١ .

سنة ١١٥٨

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة وألف نهار الثلاثاء^(١) . وقد
تفاقم الأمر من تعدى الزرباوات^(٢) وهم الأشقياء ، فاستطالوا في سب
الدين وظلم الناس وغير ذلك . وحاكم الشام حضرة أسعد باشا لا يحرك
ساكناً ، ولم يفعل شيئاً ، حتى صاروا يسمونه سعدية قاضين^(٣) ، نائمة
مع النائمين ، ونرى الأشقياء للعرض والمال مستحلين^(٤) . لكن البلد
من الحركات ساكنة ومن ظلم الحكام آمنة .

وفي خمسة عشر من جمادى الثانية توفى الشيخ الفاضل معتقد أهل

(١) يوافق ٣ فبراير (شباط) ١٧٤٥ .

(٢) انظر فيما سبق ص ٥ ، ١٨ ، ٣٠ .

(٣) قادين وهى السيدة ، وفى النسخة التيمورية : سعدية حاتم .

(٤) أشار إلى هذا المعنى القارى [ص ٧٩] فقال عن أسعد باشا فى أول حكمه :
« وما تمرض لأحد بظلم ولا قتل أحداً . فلما نظر أوجاق الانكشارية هذا الفعل
احتقروه وطمعوا فيه » . وفى ذلك يقول المرادى [ج ٣ ص ٢٨٧] : « لأن الشقى
منهم كان إذ ذاك يجيء إلى حبس السرايا ويخرج من أراد من المحبوسين من غير
إذن أحد علنا وقهراً ، وإذا مرّ الوزير بهم وهم جالسون لا يلتفتون إليه ولا يقومون
له من مجالسهم . بل يتكلمون فى حقه بما لا يليق بسمع منه ، فيحتمل مكارههم
ولا يسمع إلا السكوت ، واستمر أمرهم على ذلك إلى أن كتب فى شأنهم للدولة العلية ،
فورد الأمر بقتلهم وإبادتهم ، فأخفاه الوزير مدة ، ثم بعد ذلك أظهره وشرع فى
قتلهم وإبادتهم ؛ وأعطاه الله النصر ، وفرجت عن أهالى دمشق الشدائد وأزاح الله
هذه الظلمات بصايح النصر والفوحات . »

الشام على الإطلاق الشيخ يوسف الطباخ الخلوتى . قال المؤرخ : وما
 من الله به على أن حلقت رأسه واغتتمت دعائه ، رحمه الله ورضى عنه .
 وفى نهار الاثنين الحادى والعشرين من جمادى الثانية من هذه
 السنة قامت العامة من قلة الخبز وغلو الأسعار وهجموا على السرايا ، رافعين
 أصواتهم بالبكاء والتضرع ، قائلين ما يحل من الله قلة الشفقة على العباد
 الذين تضرروا بالفلاء ، وأنت حاكم الشام ومثول عند الله هنا ومن
 هذه الأحوال . فقال لهم أسعد باشا : [١٤ ب] اذهبوا إلى المحكمة ،
 واشكوا حالكم إلى القاضى . فاقبلوا نحو المحكمة ، واصطرخوا فيها
 يشكون حالهم وما أصابهم وما هو واقع بهم . فخرجت جماعة القاضى
 بالعصى وطردهم ، وكان ذلك بأمر نائبه ، فهجمت العامة ورجوم
 بالحجارة ، فأمر القاضى أعرانه أن يضربوا بالبارود فضربوهم ، فقتلوا
 منهم رجلا شريفاً وجرحو منهم جماعة ، فغارت العامة عليهم ، وساعدتهم
 بعض الأنكشارية ، فهزموا القاضى وقتلوا باشا جو قدار وبعض
 أعرانه ، ونهبوا المحكمة وحرقوا بابها ، وسكرت الناس البلد ، فركب
 بعض الأغارات وردّ الناس . وأما القاضى فقد هرب من فوق
 الأسطحة هو ونائبه وجماعته ، فأخذه بعض الأكارب وصار يأخذ
 بخاطره ، خلف القاضى لا يسكن هذا الشهر إلا بالقلعة . ثم جمعوا مال
 القاضى ومताعه والذى نقص منه فرضوه على خزينة الوجاق^(١) وعلى

(١) يقصد أوجاق الانكشارية .

بعض الأكارب والأعيان ، وأرضوا القاض وصالحوه وإلى المحكمة ردّوه .

وفي نهار الثامن والعشرين من جمادى الثانية توفى الشيخ الزاهد صاحب الأحوال والكرامات الشيخ أحمد النحلاوى الأحمدي ، ودفن بزوايته القاطن بها جورار ستي خاتون شاه أخت المالك المعادل السلطان نور الدين الشهير بزقاق المحكمة .

ثم في هذه الاوقات زاد غلوّ الأسعار وقلت الامطار وعظمت أمور السفهة والاشرار ، حتى صار رطل الجبن بنصف قرش والبيضة بمصرية وأوقية السيرج بنصف الثلث ، ومد الشعير بنصف قرش ، ومد الحمص بنصف قرش ، ومد العدس بنصف قرش ، وفرارة القمح بخمسة وأربعين قرشا ، بعدما كانت بخمسة وعشرين غرشا ، وأوقية الطحينة بأربعة مصارى ، والدبس كل ثلاثة أرطال بقرش ، ورطل العسل بقرش وربيع ، وكل شىء مهض منه فوق العادة ، حتى صامد الملح بنصف قرش^(١) .

وفي تلك الأيام هلك مصطفى آغا ابن القباني كخيبة الانكشارية بمرض أهيا الأطباء برؤه ، وكان من الذين يدخرون القوت ويتمنون الغلاء لخاق الله ، فعجل الله العذاب والعقاب ، لقد بلغني عنه أنه لما أرادوا دفنه حفروا له قبراً فوجدوا فيه ثعبانا عظيماً ، فحفروا غيره فوجدوا كذلك ، حتى حفروا عدة قبور وهم يجدون الثعبان قلت : وقد سبق

(١) في النسخة اليمورية : قرش وربيع .

ذلك فيما سلف لبعض الظلة . وقد وجدوا في تركته من السمسم مائة غرارة ، على أن في البلد كلها لم [١٥] يوجد مد سمسم ، ووجدوا من القمح شيئاً كبيراً ، وقد ظلب منه أن يبيع غرارة القمح بخمسة وأربعين قرشاً فلم يقل ، وحلف لا يبيعها إلا بخمسين ، فهلك ولم يبع شيئاً ، فبيعت في تركته ، ورحم الله عباده بموته ، لأنه أرحم الراحمين .

سنة ١١٥٩

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة وألف ، وكان أولها يوم الأحد^(١) . وقد دخل قاضيها معصني أفندي . وقدمه أعوانه حاملي البندق والسلاح ، حتى وصل إلى المحكمة ، وهذا لم يقع لغيره ، ثم جلس في المحكمة لا يحرك ساكناً ، وفقه الله .

وكان الحاكم في الشام والوان بها حضرة الوزير الخطير أسعد باشا ابن الظم ، يده الله وأعز كلمته . وكان غائباً في الحاج ، رانتسلم والكيفية موسى^(٢) . ولكن النلاء فأتم على قدم وساق ، مع الكرب والخوف والشقاء .

(١) يوافق ٢٤ يناير (كانون ثان) ١٧٤٦

(٢) هو الكتبخدا موسى أغا ، وقد عين بعد ذلك والياً على صيدا [الصباغ

س [٧٦] .

وفي ثالث صفر دخل الحاج دمشق نهار الخميس صحبة أميره المعظم والوزير المفخم حضرة الحاج أسعد باشا العظم ، فهو والحجاج على غاية من الصحة والسلامة . ثم بعد ذلك أرسل يطلب الدالانية^(١) طاباً حيناً ، فلما رأت الأنكشارية [ذلك] ضافت عليهم الأرض ، وقالوا كأقوالهم السابقة^(٢) في قلة أديهم : الست سمدية تريد أن تغدر بنا ، وهذا الأمر لا يخوفنا . ثم زادوا بحمل السلاح ونهب الممال وسبي العرض وسب الدين ، وغير ذلك من المظايح . ولما زادوا عتواً وقتكاً ، ولم يراقبوا حضرة الحق جل جلاله ، أرسل الله تعالى من غضبه ريحاً شديدة على الشام ، مارؤى مثلها في سالف الأيام ، فقلعت الأشجار من أصولها وأرمت غالب الجدران ، حتى ظنت الناس أن القيامة قد قامت .

وفي يوم الاثنين ثلثي عشرين صفر من هذه السنة المذكورة بينما الناس قبل الظهر في أشغالهم ، وإذا بضجة عظيمة وضرب بارود ، فقيل ما الخبر ، قيل ما كنت الدالانية القلعة ، فسكرت البلد وزاد النزاع في كل أحد ، ولما بلغ الخبر للأنكشارية قاموا على قدم وساق . وقالوا : أخذت ما الدلعة باشاب ، واجتمعوا في باب الجابية^(٣) بالسلاح الكامل

(١) انظر فيما سبق ص ١٩ — ٣١٠٠٣٠ — ٤٧٠٣٢ .

(٢) انظر فيما سبق ص ٦٢

(٣) أحد أبواب مدينة دمشق القديمة . وينسب إلى قرية الجابية ، لأن الخارج إليها كان يخرج منه . صلاح النجد : دمشق القديمة ص ٥٣ .

ينتظرون القتال . ولما وصل الخبر لحضرة أسعد باشا فرح واستبشر
 ونادى : اطلبوا سوق ساروجا^(١) وجدوا في الطلب ، وأمرهم أن يتركوا
 جهة القبلة ، وكان ذلك منه حيلة وخدعة . ثم نادى في عسكره نداء شاع
 في البلد بأن مرادى [أحمد بن التلطقجى وعهد الله [١٥ ب] بن
 حمزة ومن لهم من الأتباع ، وكانا من رؤساء وأمراء سوق ساروجة .
 هذا والجنك^(٢) يلعب بسوق ساروجة ، وكأنه لم يكن حاكم بالشام إلا هم ،
 فأراد الله تدميرهم . ثم أمر حضرة الباشا أن يوجهوا المدافع على سوق
 ساروجا ، فوجهوها عليهم وأمر بضرها بالكلل فضربت ، فما كان
 بأقل من حصّة يسيرة حتى احترقت الدور وأهدمت البيوت ، واحترق
 بيت ابن التلطقجى وعدم عن آخره ، ونهبت السواكر كل ما فيه . ثم
 سرى الذهب في بقية الدور ، فنهبوا وقتلوا ومثلوا وبدعوا ، وذهب
 الصالح والعالم ، حتى صارت محلة سوق ساروجا قاعاً صفصفاً . وأما
 ابن التلطقجى فإنه فر هارباً بعد ما بذل من الشجاعة هو وجماعته الغاية
 القصوى . ثم أمر حضرة الباشا أن تدار المدافع على جهة الميدان
 فوجهوها ، وكان رأس المفسدين بها مصطفى أغا بن خضرى جربجى ،
 حتى سمي نفسه سلطان الشام . وعنده زمرة من الأشقياء يتقوى بهم ،
 وبها أيضاً أولاد الدرزى أحمد أغا وخليل أغا ، ولهم بها دولة .

(١) أى إطلاق الرصاص .

(٢) هى ضاحية نشأت فى شمالى مدينة دمشق على طريق الصالحة ويروت

واختصت على الغالب بسكنى الضباط والجنود . [سوقايجيه ص ٤١] .

فحين بلغ هؤلاء المفسدين بأن حضرة أسعد باشا وجه عليهم المدافع بالساكر أوقع الله الرعب في قلوبهم ، وركنوا للهرب والفرار ، وطلبوا البرارى والقنار^(١) . وبانزاههم وهربهم تقطعت قلوب بقية من كان من الشجعان من أهل الميدان ، فمنهم من هرب ولحق بساداتهم . ومنهم من قبر في المغائر^(٢) والقبور ، ومنهم من غطس في النور . ولما وصلت الميدان المدافع لم يجدوا فيها من يدافع ، فأول ما اشتغلت الساكر بهدم دار ابن خضرى ، بهدم ما نهبوا جميع ما فيها من المناع وغيره . وكذلك فعلوا بدار ابن حزة وبغيرها من الدور ، حتى نهبوا نحواً من خمسمائة دار ، وبعد ذلك اشتغلوا بهدم الدور التي نهبوا .

وأرسل حضرة أسعد باشا ، أسعده الله وقواه ، خبراً إلى مشايخ الحارات بها وأتمهم بأن يقبضوا على بقية الأشقياء الموجودين ، وإن لم

(١) هرب أحمد آغا القلطي وبعض أعوانه إلى جبل لبنان ولجأوا إلى الدرروز محتجين بنى يزبك وتقوتوا بهم ، فأخذوا يقطعون الطريق إلى دمشق ويفرون على أطرافها ، فأرسل أسعد باشا إلى الأمير ملحم الشهابى طالباً إخراجهم من بلاده . ولكن بنى يزبك رفضوا ، فشن الأمير الحرب على يوتهم . ونزع آل تلحوق ومعهم القلطي إلى سهل البقاع . ثم تصالح الباشا والانكشارية وأذن لرؤسائهم فى العودة إلى دمشق ، وكذلك تصالح الأمير ملحم مع المشايخ من بنى تلحوق وعادوا إلى بلادهم . [الأمير حيدر ج ١ ص ٣٧] . وانظر فيما بعد ص ٦٩ . من هذا الكتاب .

(٢) جمع صاحب الكتاب مغارة على مغائر .

يفعلوا يلزمهم بغرامة أموال عظيمة . فصاروا يتبعون الأشقياء واحداً
 بعد واحد ، ويقولون لحضرة الباشا : هذا السبق فلان العلاني ، وهذا
 الأغا العلاني ، وهذا الثربجي العلاني . وحضرة الباشا أمر بضرب أعناقهم
 أمام باب السرايا وترك جسومهم [١٦] تأكل منها الكلاب مدة
 طويلة ، حتى صاروا عبرة لمن اعتبر . فسكنت بعد ذلك الشام ، وصارت
 كقدهح لبن ، وصارت الناس في أمن وأمان ، وستر الأعراس .
 فلك الباشا البلد بنحو أربعائة من العسكر الدالاية . وقد أمنت البرية ،
 فكان ذلك بهمة القوية ، بعد ما كانت تقول كبراء الميدان وأعوانهم :
 لو جاءنا عشر باشاوات ومعهم السلطان ما حسبنا لهم حساب ، ولشرطنا
 ذنبهم بالطبجيات . فانظر الآن ، فقد صاروا أذل من الذباب ، وطعماً
 لأخس الكلاب .

وأما أولاد ابن الدرزي فإنهم هربوا والتجأوا إلى عرب ابن كليب هم
 وأتباعهم ، وأما ابن حمزة وأتباعه [فإنهم فروا نحو طبريار التجأ وبالظاهر
 هم ، وأولاد الماطعجي وأتباعهم هربوا]^(١) إلى جبل الدرروز ، والذي
 منهم وقع جعلوا جلده رقع ، وكان أعظم مصيبة وخذلان لبيت حسني

(١) العبارات الواقعة بين قوسين ساقطة من النسخة الظاهرية

تركان^(١) ، قتل منهم خمسة رجال : حمزة بيك ومحمد آغا وحسن آغا
وخليل آغا وسایسهم . وكانوا من المفسدين الظالمين المؤذنين ، مهتكين
للحریم ، سبایین للدين ، عدا حمزة بيك فإنه كان بخلاف ذلك ،
فقد ذهب غلطاً وهدرا .

وقد زينت البلد ، والمدافع تضرب صباحاً ومساء مدة شهرين ،
والنوبة مع الألباب الارية . وكفى الله المؤمنين القتال ، وقطع دابر
القوم الذين ظلموا . والحمد لله رب العالمين .

قل المؤرخ البديري : وقلت في وصفهم من المواليا :

أين الزلافة^(٢) التي كانت شديه السيف

جزمات لا يشلحوها^(٣) بالشتا والصيف

(١) كان حسن تركان من رؤساء الأجناد وكبراء أوجاق الانكشارية بدمشق ،
وهو دمشقي الأصل من حيّ الميدان ، وقد صار كتبخدا الأوجاق ، واستكثر من
أهله وأتباعه في الأوجاق ، « حتى كانوا — فيما يقول المرادى — يقاربون ربيع
العسكر » ، ثم نكبوا في عهد أسعد باشا المعظم ، وأصبحت البقية الناقية منهم « من
آحاد الناس » . [المرادى ج ٢ ص ٦٣] .

(٢) الزلافة في عرف الشاميين هي المتو والتظاهر بالرجولية [من تعليق ناسخ
المخطوطة الظاهرية] .

(٣) أي أحذية لا يخلعونها في الشتاء ولا في الصيف .

إن شاف واحد صديقه لا يقوله^(١) كيف

ديك الزلاقة مضت يا حيفها يا حيف

وفي آخر ربيع الثاني أرسل حضرة أسعد باشا العظم عسكرياً عظيماً إلى مدينة بعلبك. لقتل واليها الأمير حسين^(٢). فلم يجدوا له أثراً، فدخلت الأتوان ونهبوا وسابوا وفعلوا ما فعلوا، ثم أتوا بثمانية رجال من أعيان بعلبك. ومن جملتهم مفتيها لدمشق الشام، فشنق مفتيها المذكور. وضربت أعناق الباقيين.

وفي تلك الأيام أرسل حضرة أسعد باشا جملة من المساكر إلى العرب، لجاءوا بروس من العرب وجمال وأغنام وسلب وغير ذلك. وقد أربح حضرة أسعد باشا المذكور الكبار والصغار، وعظم صيته حتى في البراري والقفار، وصاروا يضيفون لاسمه الحاج، ويقولون: الحاج أسعد باشا.

وفي هذه الأيام جاء من الدولة العلية قبجي ومعه من حضرة

(١) أي لا يقوله.

(٢) ردد الأمير حيدر الشهابي في تاريخه (ج ١ ص ٣٤ - ٣٨). ذكر القتال بين أسعد باشا العظم والأمير ملحم الشهابي أمير الدرروز، وكان معه الأمير «حسين» ابن الحرفوش صاحب بعلبك، ولعله الأمير حسين الذي ذكره البديري هنا. وقد أشاد الأمير حيدر بانتصار الأمير ملحم على القوات التي وجهها الباشا إلى البقاع.

السلطان هدية ملوكة لحضرة الحاج أسعد باشا. وهي كرك عظيم مفتخر
وسيف ملوكي وخلع وتشاريف . وذلك لم يسبق لغيره من الوزراء
والحكام ، إلا إلى الوزير الأعظم صاحب الختم^(١) ، إذ كان في سفر
حرب ، وصار على يده فوج بلدان ، فسبحان المعطى المأمع^(٢)

وكانت (الدولة) منذ أمد غير بعيد قد رفعت أوط التبعول من
الشام^(٣) ، ولم تر لفات برمة^(٤) . فأرسل حضرة أسعد باشا حفظه الله
يطلب من الدولة أوطاً ، فأرسلوا له أوطة أون طقوز^(٥) ، ودخلت
بوكب عظيم ، سرت أناساً وأكملت أناساً .

وأرادت بعض الأشقياء أن تقيم رؤسها ، فأخبروا حضرة الباشا
بذلك ، فأرسل يقول للأغا : كل من أدخله من أولاد الشام^(٦) من
غير جنسك لا يرجع اللوم إلا على نفسك . فاتنظم الحال ، وقويت

-
- (١) حامل ختم السلطان وهو الصدر الأعظم .
(٢) أشار إلى ذلك الأمير حيدر الشهابي في تاريخه (ج ١ ص ٣٥) فقال :
« فأنعمت عليه الدولة العلية بطوق ، أي علامة الرضا وأن لم يبق ينجر عليه سلاح
ولا يقتل » . ولكن ذلك لم يحل دون قتله ومصادرة أمواله بعد ذلك .
(٣) انظر فيما سبق ص ١٣ ، ٢٠ .
(٤) كان للجنود من القبول لباس رأس خاص ، وهو عمائم (لفات) تُتبرم .
(٥) الأوطة التاسعة عشرة .
(٦) يريد أسعد باشا بذلك أن يتفادى ما حدث لأوجاق الأنكشارية من دخول
(أولاد الشام) من رجال الحرف في الأوجاق وتسلطهم عليه ، حتى دعى أوجاق
اليرلية (أي المحلية أو البلدية) ، بل يبق الأوجاق (القبول) تركياً خالصاً .

دولة القبة قول في دمشق الشام، وبرموا اللقات، ورجعت دولتهم
أحسن مما كانت.

وفي جمادى الأولى من هذه السنة وصل الجراد للشام، وكان حولها
له سنين مخيم، فزول على بسايتها، فأكل حتى لم يبق ولم يذر، فأرسل
حضرة الباشا رجلين من أهل الخبرة يأتونه بماء السممر^(١). ثم إن هذه

(١) السممر نوع من الطير كان الناس يمتقدون أنه يفتك بالجراد، فكانوا
بحرصون على الإتيان به إذا نزل الجراد بأرضهم، ولكنّه - في اعتقادهم - لا يأتي
إلا تابعا نوعا خاصا من الماء يجلب خصيصا من عين بين إصفهان وشيراز. فإذا نزل
الجراد بأرض جلب إليها من تلك العين ماء، بحيث أن حامل الماء لا يضعه على
الأرض ولا يلتفت وراءه، فيبقى طير السممر على رأس حامل ذلك الماء كالسحابة
السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التي بها الجراد، فتقع الطيور عليه وتقتله. وقيل
من شرطه أن يكون حامل الماء من أهل الصلاح، ولا يمرّ به تحت سقف، فإن فعل
بطل مقعوله. [المرادى ج ٣ ص ٢١٤ - ٢١٥، الغزى: ج ٣ ص ٢٣٠،
٢٦١ - ٢٦٤].

ويبدو أن ماء السممر لم يفد في مكافحة الجراد، فلجأ القوم إلى «مراسلات»
يكتبونها له ويلقونها، «فلم يحصل - فيما نقله المرادى - ضرر على الزرع، وظهر من
ذلك تأثير عجيب في دفع مضرته». وفي هذه «المراسلات» يُعلن الجراد للغير
بالحضور إلى «مجلس الشرع الشريف بدمشق» لسماع الحكم عليه بالرجل! ثم
بطل اعتقاد الناس في ماء السممر وفي الأدعية والمراسلات، ولجأوا في مكافحته
إلى جمعه ودفنه أو إحراقه. ولكن اعتقادهم في طير السممر نفسه ظل قائما إلى
زمن متأخر، ففي سنة ١٨١٦ أغارت أسراب الجراد على بلاد الشام وأهلكت الزرع
«حتى أرسل الله له السممر، ففقس في أرض وادي التيم وغير أماكن، ثم لحق
الجراد بمد طيرانه فاخفى من جميع عرب بستان (عربستان = البلاد العربية)
وأراح الله العالم منه». [الأمير حيدر الشهابي ج ٣ ص ٦٣١]. وقد أشار الرحالة فولني
إلى مقاومة الجراد بطير السممر (ص ١٨٥ من مجموعة مؤلفاته)

السنة كانت كثيرة الأمطار والخيرات والفواكه والنبات . ومع ذلك فأهل الشام في شدة عظيمة من الوباء ، ونهض الأسعار في جميع البضائع . وكان حضرة أسعد باشا حفظه الله عمل ديواناً ، وأرسل خلف بائعي القمح ، وطلب منهم إحضار القمح وهدّهم ، فحلفوا له بأنه ما عندهم شيء ولا يوجد . فقال لهم أنا عندي قمح كثير في حماة^(١) ، فادّبوه . فأرسلوا يطالبون جميع ما يوجد من القمح خاصة حضرة الباشا وغيره ، فجاءهم من حماة أحمال قمح بغير حساب ، وباعوه في الشام على السعر الواقع . ومع ذلك فرطل الخبز بخمسة مصارى ، وقد طالت هذه الشدة .

وفي نهار الأحد بعد العصر خامس عشر جمادى الآخرة من هذه السنة ضربت مدافع ، فسألت الناس عن الخبر ، فقيل إن سعد الدين باشا أخوا أسعد باشا جاءته رتبة ورامة ، وجاءه طوخ^(٢) . ففرعت أكبر

(١) حيث ضياع الباشا وأهله من بني العظم ، وكان أسعد باشا حاكماً بحماة قبل أن ينتقل إلى دمشق .

(٢) الطوخ [أو الطوغ] جزء من شعر الحصان من ذيله أو معرفته ، يرفع على الراية علامة التكريم . وكانت الباشوية من ثلاث رتب : باشوية بطوخ ، ثم باشوية بطوخين ، وأرفع منهما الباشوية بثلاثة أطواخ ، وهي رتبة الوزارة أو الولاية . أما السلطان فترفع أمام موكب سبعة أطواخ . ويرجع هذا التقليد إلى عصور الأتراك الأولى ، عندما كانت حياة الرجل منهم مرتبطة بحصانه .

الشام لأجل (تهنئة) أخاه [كذا] أسعد باشا . وكان أسبقهم تهنئة
الباشا فتحى [١٧ ا] أفندى دفتر دار الشام . فلما رآه الباشا قام ودخل
لدهايز الخزنة ، فتبعه وجلس عنده ، فأخرج أسعد باشا صورة عرض
وأراه إياه ، فأخذه فتحى أفندى وقراه ، وإذا فيه الأمر بقله . وقال
له حضرة الباشا ماتقول فى هذا . فقال سمعاً وطاعة . لكن أنا فى جيرتك
نؤخذ من المال ما أردت وأطمتنى . فقال له الباشا : وملك ياخان ، أنا لم
أنس ما فعلت فى نساء عمى^(١) . ثم أمر برفع شاشه وقطع رأسه ، فوضع
فى رقبة حبل ، وسحب إلى خارج السرايا وقطع رأسه ، وأرسل للدولة .
ثم أمر الباشا أن تعاف بجمته فى سائر شوارع الشام وطرقها وأزقتها
ثلاثة أيام ، ففعل به ذلك ، وطيف به عرياناً مكشوف البدن وتركوه
للكلاب ، ثم دفنت جثته بتربة الشيخ رسلان وأمر الباشا بالإحاطة
على داره وعلى ماله والقبض على أعوانه ، فألقوا القبض على خزانة
عثمان وعلى ولده فأمر بحبسهما ، ثم أتوا بأكبر أعوانه - وكان يلقب
بالعصا^(٢) فقطع رأسه حالاً . وزادوا على أعوانه بالتفتيش ، فقتل
بعض أعوانه وخرامه ، ثم ضبط الوزير تركته وأمر ال أتباعه جميعاً للدولة

(١) انظر فيما سبق ص ١٧ ، ٤٥ ، ٤٩ - ٥١ ، ٤٥ ، ٦١ [٩٩] ص ٤٥ ،

٥٠ ، ٤٧ - ٥٤ ، ٥٢ - ٥٨

(٢) انظر فيما سبق ص ٥٠ ، ٥١ .

العلية ، فبلغت شيئاً كثيراً ، وتفرّق الباقيون أيدي سببا ، كأن لم يكرنوا وانقضت دراهم كأنها طيف خيال .

قال المؤرخ [البديري] : ذلك بما كسبت يدها ، فقد كان ظلوماً غشوماً بغيضاً لأهل الشام ، يريد لهم الجور والظلم ، لايراعى الكبار ولا الصغار ، إلا ناس من الأشرار ، وهم من حزب الشيطان ، قد اتخذهم عدة لسكل عدوان . وتحقيق أمره وخبر قصة البطش به ألخصها ، وأنا النقيير مهذب هذا التاريخ ومحرف هذه الورقات ، فأقول : ذكر المرادى^(١) في آخر ترجمة فتحي الدهري المذكور ما ملخصه : كان المترجم يراجع في الأمور حتى من الوزراء والصدور ، طالت دولته وعظمت عليه من الله نعمته ، واشتهر صيته وعلاقده ونشر ذكره ، ولكنه كان يتصدى للاستتالة في أقواله وأفعاله ، وأتباعه متشامرون بالفساد والفسوق وشرب الخمر وهتك الحرمات ، وهو أيضاً متجاهر بالمظالم ، لا يبالي من دعوة مظلوم ، ولا يتجنب الأذى والتعدى ، ونسب إلى شرب الخمر أيضاً وغير ذلك . فلذلك كانت أقرانه وغيرهم يريدون وقوعه في المهالك ، ولما توفي [١٧ب] الوزير سليمان باشا العظيم والى دمشق الشام وأمير الحاج ، وجاء من قبل الدولة الأمر بضبط أمواله وممتلكاته ، نسب المترجم إلى

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ج ٣ ص ٢٧٩ وما بعدها .

أمور . وفي خلال ذلك تولى دمشق حاكماً وأميراً للحاج ابن أخيه
الوزير أسعد باشا العظم الذي كان حاكماً [في حماة]^(١) ، فأكد
للمترجم فعله المنبوب إليه حين وفاة عمه ، ولم يره إلا ما يسهره .
وكان المترجم منتقياً إلى أوجاق اليرلية^(٢) . وكان الأوجاق في ذلك
الحين قواءة ثمة وجيوشه بالنسبة متلاطمة ، وهم عصبة وجوع يذل
لهم أكبر قرم^٣ بالمذلة والخضوع ، قد أبادوا أهل العرض وانتهكوا
الحرمان وأباحوا المحرمات ، ولم يزالوا في ازدياد حتى عمّ فسادهم
البلاد والعباد . وكانت رؤساؤهم زمرة ضالة وفئة متمردة وصاحب
الترجمة فتحى أندى يوليه مكرماته ويمنحهم إحسانه وإنعاماته ، وهم
لبابه وفرد ، قد اتخذوه ركناً وسنداً ، وأرباب المقرول في دمشق في هم
وكدر وخوف وحذر ، كل منهم متجير في أمره ومتخوف من هذا
الحال وعرف بشرة . وأمير الحاج قننذ والى دمشق أسعد باشا المذكور
ناظر لهذه الحال . متجير من لك الأحوال ؛ لأن الشقى منهم كان يجيء
إلى حبس السرايا ويخرج من أراد من المحبوسين من غير إذن أحد علناً

(١) السكمان المحصورتان بين قوسين ساقطتان من النسخة الظاهرية .
(٢) أشرنا إلى دخول أهل الشام من أرباب الحرف في أوجاق الانكشارية
فسيطروا عليه ، حتى أصبح يعرف بأوجاق اليرلية أى الجند المحلية أو البلدية ، وقد
أصبحوا أشبه ما يكونون بالعصبات . يلتف كل منهم حول زعيم ، وعظم فسادهم ،
وقد أورد البديري طائفة من أفعالهم ، ونوّه بفنك أسعد باشا بعدد من رؤوسهم وهرب
الباقيين .

(٣) أى الرجل صاحب الشأن .

وقرأ . وإذا مرَّ الوزير المذكور بهم وهم جالسون لا يلتفتون إليه ولا يقومون له من مجالسهم عند مروره بهم ، بل يتكلمون في حقه بما لا يليق بسمع منه ، فيتحمل مكارههم ولا يسعه إلا السكوت . واستمرَّ أمرهم على ذلك ، إلى أن كتب في حتمهم للدولة العلية ، فورد الأمر بقتلهم وإبادتهم ، فأخناه الوزير مدة ، ثم بعد ذلك أظهره ، وشرع في قتلهم وإبادتهم ، وأعطاه الله تعالى النصر ، وفرجت عن دهمشق الشدائد . ثم بعد أشهر قليلة كتب الوزير المذكور إلى الدولة العلية بخصوص صاحب الترجمة وما هو عليه ، وأرسل الأوراق التي في حتمه مع علي بك كول^(١) أحمد باشا ، وكان ذلك بتدبير خليل أفندي الصديق^(٢) وأعيان دهمشق . ثم صادف أن صاحب الدولة كان حسن باشا^(٣) ، وكان يفيض المترجم فتحمي لكونه لما جاء قريب حسن باشا المذكور وهو أحمد آغا آغات^(٤) . أو جاق اليكجيرية طرده ، وصار أخيراً وزيراً ، فأدخل للسلطان أحواله ، وعرفه طبع مكاتبة أسعد باشا

(١) كول بالتركية معناها مملوك .

(٢) مفتي الحنفية بدمشق [المرادى ج ٣ ص ٨٤] .

(٣) هو الصدر الأعظم حسن باشا ، ولى الصدارة في سنة ١١٥٦ (١٧٤٣ م)
وصرف عنها بعد ثلاث سنوات [دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، ج ٧ ص ٣٨٨] .

(٤) آغا آغات أو جاق الأنكشارية كبير ضباطه .

[١١٨] . وكان أسعد باشا ضمن للدولة تركته بألف كيس^(١) ، فجاء
الخبير بقتله .

وكان قبل ذلك صار من أهل دمشق فَرَضَ في خصوصه ، فلم يفد ،
وكان هو ياسلأبول ، فأعطى العرض له ، ولما جاء لدمشق صار
يخرجه ، وينتقم من اسمه مكتوب فيه . وكان السبب في ذلك وجود
آغت دار السعادة بشير أغا ، وكان المترجم منتعيا إليه ، وكان للآغا
المذكور نظر على المترجم وحماية ، فصادف الأمر بالمقدور أن بشير
أغاتوفى وحن القضاء وآن وقته ، فجاء الأمر بقتله ، فقتل شر قتلة
على الوجه الذي قدمناه ، وبالتاريخ الذي ذكرناه .

وقد عمل البديري صاحب الأصل في واقعة فتحى الدفترى
المذكور هذه المواليا ، فقال :

ياما فعل فتحى لما صار دفتر دار
عزّه زمانه وسعده حول داره دار
دولاب عزه رقص ياناس لما دار
لم يعتبر أن هذا الدهر بو^(٢) غدار

(١) اعتبر الأستاذان جب وبون Gibb & Bowen ; op. cit. II. p. 3. n هذا العمل من أسعد باشا العظيم رشوة قدمها للسلطان ، حتى أذن له بقتل الدفتردار ومصادرة أملاكه .

(٢) أى [به] .

ومع ماله من سيئات كان له حسنات ونفع في بعض الأوقات
للآثام . فن آثاره المدرسة التي في القيصرية ، وأوقف جرايات
وشوربة لطالبة العلم ، وعمر رصيف درب الصالحية ، وعمر الحمام
في ميدان الحصا المسمى باسمه ، والقهوة أيضاً . ومن أعظم آثاره
تجديده لمنارتى تكية السليمانية التي في المرجة ، وذلك بعد سقوطهما
أيام الزلزلة ، فأعيدتا أحسن مما كانتا ، وله غير ذلك . غير أن سيئاته
أكثر من حسناته . نسأله تعالى أن يتغمدنا بلطفه وعفوه ، ويجيرنا
من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، فإنه قريب مجيب آمين .

وفي تلك الأيام جاءوا بشيخ جيرود ، وأخبر أسعد باشا بأنه
قتل شخصاً ، فسأله الباشا فأجاب ، وقال إنه قد قتل أبي فقتلته ، فأمر
بقتله ، فقتل حالا . وفي يوم الأحد ثالث عشر رجب من السنة
المذكورة توفي محمد آغا ابن الديرى في داء الدوسنطارية ، وقد كان
مدركا لأعمال (أسعد باشا وأعمال أبيه إسماعيل باشا وعمه سليمان
باشا ، وكان وكيلاً [١٨ ب] للخارج)^(١) ، لكن عاينه مدار كل
الاعمال ، وصاحب الكلمة النانذة عندهم ، حتى قيل إنه صاحب
كل حركة وقعت بالشام ، وإنه ارتكب للفواحش من شرب خمر
وغيره مع إبذائه للراعايا . وكان أيام الفتن يمشى قدام الدلائية يساب

(١) العبارات بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية في هذا الموضع

ثم جاءت في موضع آخر فلا محل لها .

ويهب ويخرب بيوت الأنكشارية ، وقد أتى بأحجار بيوتهم
وأخشابهم وعمر بهادارا ، فامت العمارة حتى ملك مع المهالكين ،
وضبط الباشا ماله ونواله ، وذهب مع الذاهبين .

وثاني يوم موته قتل الباشا هثمان آغا خزندار فتجى أفدى
الدفتردار كما قد منا ، وقتل معه أحمد آغا الشريجي خزندار فتجى
الثاني ، وضبط مالهما .

وبهذا اليوم ، وهو يوم الاثنين رابع عشر رجب ، جاءوا بماء
السمر^(١) ، وطلعت ملاقاته المشايخ وأهل الطرق بالأعلام والمزاهر
وطبول الباز ، ودخلوا بموكب عظيم بكت فيه خلق كثير ، وعلقوه
بمارة الشيخ الأكبر^(٢) في الصالحية ، وفي منارة تكية المرجة^(٣) ،
وفي منارات الجامع الأموي ، وأبقوا في السرايا قرب من ماء
السمر^(٤) ، وذكروا أن مرادهم أن يعلقوهم في أراضي حوران .
هذا والغلاء قائم على قدم وساق ، لم يقع مثله في قديم الزمان .
فرطل الخبز وصل إلى سبع مصارى ، والوسط بستة ، والردى
الدون بخمسة مصارى ، ورطل الكعك بخمسة عشر مصرية ، ورطل

(١) انظر فيما سبق ص ٧٣ .

(٢) يقصد جامع الشيخ محي الدين بن عربي

(٣) تكية السلمانية .

(٤) في النسخة التيمورية : وألقوا في السرايا من ماء السمر ، وعبارة

الظاهرية أضبط .

الرز بعشرة مصارى، وأوقية السمن بخمسة مصارى في وقت جلبيه ،
وأوقية الطحينة بخمسة مصارى ، وأوقية السيرج بخمسة مصارى ،
وأوقية القريشة^(١) بثلاث مصارى ، وكذلك الجبن والدبس الرطل
بثمانية عشر مصرية ، ورطل العسل بقرش ونصف ، ومدّ الملح وصل
عنه للعشرين مصرية ، ومدّ الحمص بثلاث أرباع المصرية ، وكذلك
العدس . وأغرب من ذلك مع كثرة الفاكهة رطل التين الطرى بأربعة
مصارى ، والكوسا كل ثلاثة بمصرية ، والباذنجان الرطل بثمانية
مصارى ، وكل يقطينة^(٢) بأربعة مصارى ، ورطل اللحم نصف قرش
والبطيخة بنصف ربع ريال، إن كانت صفرا [ع] أو خضرا [ع] ،
والخيار الرطل بمصريتين . وقد دام هذا الأمر سبع أو ثمان سنين ،
لكن في هذا العام قد زاد الحدّ ، والحكام لم يفتشوا على الرعية ،
وهذا مع قلة البيع والشراء والكساد وكثرة الديون على العباد ،
وظلم بعضهم البعض ، وقد ضاقت على العباد فسيح الأرض .
والحكم لله .

وفي يوم الأحد الحادى والعشرين من شهر رجب في هذه
السنة تسع وخمسين ومائة [١٩١] وألف جمعَ حضرة أسعد باشا
العظم أكبر الشام وأعيانها في المحكمة ، ووقف جميع أملاكه على

(١) نوع من الجبن لا يزال أهل الشام يصنعونه ويفتنون في صناعته .

(٢) اليقطين هو ما يسمى في مصر بالقرع العسلى .

أولاده ، ثم على أولاد أولاده على حسب ما اشترط في الوتفية ، وفرق
على أولاد عمه ما كان لهم ، وقد كان ضبط مال محمد آغا ابن الديري وعمل
حسابه على عقله ، فظهر لحضرة الياشا أنه قد تبقى له مع ابن الديري
المذكور اثنا عشر كيسا . ثم جاءت الأوصاف^(١) وأخبرت حضرة الياشا
بأن لهم متبقى في ذمة ابن الديري من أيام أليك إسماعيل باشا وعمك
سليمان باشا ، [و] في أيام دولتك اثنا عشر ألف قرش ولجوا في طلبها .
فقال : الحقوه وخذوهم منه ، فأنا باقى لي معه اثنا عشر كيس ذهب ، فليس
لكم فائدة في هذا الطلب ، فكل منهم ترك ماله عند الله وذهب .

وفي ليلة الجمعة لخمسة وعشرين من شهر رجب خرج أسعد باشا
إلى الدورة من هذه السنة . وفي ليلة الثلاثاء التاسعة والعشرين من
شهر رجب من هذه السنة توفي مصطفى أفندى زاده قاضى الشام ،
وصار ولده نائبا عنه بمكانه .

(١) الأوصاف جمع (صنف) بمعنى طائفة من طوائف الحرف ، وتنظم المشتغلين
بالحرفة والقنفوات والإشراقات (أى الصبيان) تحت زعامة شيخ الطائفة ، وتنظم
الطائفة الشئون المتصلة بالحرفة والمشتغلين بها ، ومن ذلك الترقى في سلك الحرفة
وتحديد الأسعار ومستوى العمل والعلاقة بين الطائفة والحكومة . وكانت كل طائفة
تربط نفسها بولى معين أو طريقة صوفية خاصة وتسام في إحياء حفلاتها الدينية .
وقد عظم نفوذ الأوصاف عندما اندمجت في الانكشارية ، حتى أصبح هذا الأوجاق
لا يكاد ينتظم — في القرن الثامن عشر — إلا أهل الحرف ، وقد وصف التزيمى
(ج ٣ ص ٣٥٠) تسلط الانكشارية على الحرف والصنائع ، ومنها الجزيرة ، حتى
« كان الرجل لا يقدر أن يطبخ في بيته إلا نوع الطعام الذى يأمره به لحامه » .

انظر أيضا : Gibb and Bowen , vol 1. part 1. p. 281 & seq.

وفي نهار الجمعة في الثاني^(١) والعشرين من شهر شعبان من هذه السنة قدم محمد آغا بن فروخ^(٢) بمنصب دفترية الشام، مكان فتحي أفندي الفلاقنسي، وأقام في داره المشهورة بهم.

وفي خلال هذه الأيام زاد الهم على الناس، واشتد بهم وقوف الحال مع شدة الغلاء، والحبز بستة مصارى كما قدمنا، حتى صار رأس الكرنب الذى قدر النارجمة بمصريتين، والباقي هلى هذا المنوال. فالأمر لله الملك المتعال.

وفي خلال هذه الأيام من هذه السنة جاء مقرر طرابلس الشام إلى حضرة سعد الدين باشا، وكان مع أخيه فى الدورة، فرجع مع أخيه إلى دمشق، وأقام قليلا، وسار طالبا منصبه، ووقفه الله.

وفي هذه السنة كان ثبوت رمضان ليلة الاثنين، والعيد الأربعاء والصوم تمام.

(١) الثامن — فى النسخة التيمورية .

(٢) بنو فروخ أسرة ناهية تولى كثير من أفرادها إمارة الحاج فى القرن السابع عشر . قبل أن تضاف إلى والى دمشق . وكان آخر من تولى هذا المنصب منهم عساف باشا وقد توفى سنة ١٠٨١ (١٦٧٠ — ١٦٧١ م) . وقد تولى محمد آغا بن فروخ دفترية دمشق بعد مصرع فتحي أفندي وظل بالمنصب ثلاثين سنة متوالية . وقد نوه المرادى (ج ٤ ص ٣٨) بحسن خلقه واستقامته ، حتى إنه بعد أن أمضى تلك السنوات الطويلة فى منصبه طلب إعتفائه منه ومحاسبته ، فأرسلت الدولة أحد الروزنامجية « فعملت له الدولة الحساب على مراده » ، وقد توفى سنة ١١٩٠ (١٧٧٦ م) .

وفي نهار الجمعة بعد الصلاة في سبعة عشر شوال من هذه السنة خرج حضرة والى الشام وأمير الحاج أسعد باشا العظم قاصدا الحج الشريف، والحاج خرج يوم عشرين. ولما سافر حضرة الباشا ترك المسلم بها وهو موسى كنجية مكانه في الشام. فجاءه الخبر بأن الزرباوات — وهم الأشقياء المطرودون^(١) — مرادهم بأن يأتوا إلى الشام على حين غفلة من أمهه، ويقتلوا جماعة من الذين تسيبوا في طردهم، فاضطرب [١٩ ب] المسلم المذكور، وأرسل استجلب عبد الله الترك آغة الدالاتية المطرود وقوى شوكته وكثر جماعته. وصار محمود آغا آفة (الدالاتية)^(٢) التفكجية^(٣) يدور ويطوف ليلا خارج دمشق، والدالاتية تحوم حول البلد، وقد أفلتوا الخلق وزاد النكد، ولا زال هذا الحال مدة فية (الباشا و)^(٤) الحاج.

سنة ١١٦٠

ثم دخلت سنة ستين ومائة وألف، وكان غرة محرمها^(٥) نهار الخميس. وفي نهار الاثنين خامس محرم الحرام من هذه السنة الموافق

(١) انظر فيما سبق ص ٥ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٦٢ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٣) تفكجية تحريف عربي للكلمة التركية « تفنكجيان » ومفرده تفنكجور .

وهو الجندي المسلح بالبندقية ، وكان لهم أوجاق خاص .

(٤) ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٥) يوافق ١٣ يناير (كانون ثان) ١٧٤٧

لأولى كانون الثاني^(١) زادت المياه بسبب سيل عظيم ، ودخوله للشام
كلن نصف الليل ، (فحصل طوفان لم يسمع له نظير من قديم
الزمان)^(٢) ، هجم الماء من نصف الليل إلى الشام ، وأغرق جميع
ما كان في طريقه من الدكاكين ، وأتلف أموالاً كثيرة لا تعدّ
ولا تحصى ، حتى صار المرجة كالبحر ، ومع ذلك الماء يخطف الطير ،
وله خرير ودوى وهدير . وقد غطت هذه الزيادة حجر تاريخ
القلعة ، ومرت في الأسواق والدور ، وأخرجت شيئاً غير محصور .
وقد صارت تحت القلعة وفي المناخ بالارتفاع طول قامة الإنسان .

قال المؤرخ البديري : وقد دخلت إلى قهوة المناخية بعد انصراف
الماء فوجدت الماء في أعلا مساطبها أعلا من ذراع ، وقد شاب من
هولها الكبير والصغير . وقد غرق بها أناس غير محصورين ، مع
ما أتلفت من البهائم والأموال . وقد أضرت بجميع ما مرت عليه
وانهدمت أما كن كثيرة لا تحصى وتركتها (بلاقع)^(٣) . نسأله تعالى
اللطيف في المقدور آمين .

وفي خامس صفر كان قدوم الحاج الشريف ، وقد أخبرت
الحجاج بأن هذه السنة من أجل السنين وأحسنها ، وجميعهم شاكرون

(١) ٥ من المحرم ١١٦٠ . يوافق ١٧ يناير (كانون ثان) ١٧٤٧ لا أوله .

(٢) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من النسخة التيمورية أيضاً .

وداعون لحضرة أسعد باشا بالدوام ، من كثرة ما حصل لهم في الطريق من الراحة والخير والإنعام من حضرة الباشا لعموم الحجاج ، فجزاه الله أحسن الجزاء آمين .

وقدم مع أسعد باشا من الحجاز في هذه السنة با كبير باشا والى جدة ، وأقام في دار فتحى أفندى المتقدم نحو شهرين في الشام ، ثم سار قاصداً حماة ، ولم يعلم ما سبب مجيئه . وعاد أيضاً مع الركب الشامى شيخ الإسلام وأقام مدة في الشام ، وسار طالباً لإسلام بول . وكان رجلاً كبير السن وقوراً ، ما حرك ساكناً في الشام مدة إقامته .

وبعد قدوم الحج قدمت خزنة مصر^(١) إلى الشام ، وقد تأخرت عن ميعادها . وقد شدد الطلب حضرة أسعد باشا بعد مجيئه من الحج على [١٢٠] الزرب الأشقياء ، فقبضوا على أمين ابن الحديد^(٢) وعلى عبده بن حمزة عنبر ، فأمر بقتلهاما فقتلا شر قتلة . وقد زادت الدالاتية الاعتداء والجور ، وخرّبوا البلاد والقرى ، فكثرت الشكاية منهم إلى والى الشام أسعد باشا ، فكتب للدولة عليهم في شأنهم ، فجاء مرسوم بإبادتهم ، فأمر منادياً أن ينادى كل من أقام من الدالاتية في الشام أكثر من ثلاثة أيام من أهل الفساد

(١) انظر فيما سبق ص ٢٤

(٢) الحداد — في النسخة التيمورية .

والعتاد فدمه مهدور ، ثم بعد أيام ظهرت الدالانية ولم تم القضية ،
والحكم لله عالم الخفية .

وفي يوم الأربعاء جاء خبر بأن عرب عنزة نهبت حرب الرشا ،
وأن الأكراد الذين كانوا مع حرب عنزة أخذوا جميع ما نهبوه وسلبوه
من مال وجمال وغنم ونساء . وكانت الغنم كثيرة لا يحصى عددها
إلا الله ، وأن الواقعة كانت مهولة ، وأنه قتل من الفريقين خلق كثير .
والمساعد للعرب حضرة أسعد باشا (على ما قيل) ^(١) . فجاءوا بالأغنام
إلى الشام . وقد كان أهل الشام في فلاء اللحم وأكل الذرة والشعير
لهم سنين ، فبيع رطل اللحم في هذه السنة بسبعة مصاري وعائبة إلى
العشرة . مع علم الناس أنه سلب حرام ، فمنهم من ترك أكله وهم أقل
من القليل ، والباقي وهم عموم الناس لم يبالوا . فإنا لله وإنا
إليه راجعون .

قال المؤرخ البديري رحمه الله : وكان الجراد مفرزا من العام
الماضي في الشام وأراضيها ، فلما جاء فصل الربيع صار يظهر شيئاً فشيئاً
إلى أن ظهر مظهراً شديداً ، وبدأ يزحف مثل النمل والذر ، فبدأ يأكل
الزروع ويلتلف النبات ، فوعدت الناس في كرب عظيم . فنجّه حضرة أسعد

باشا حفظه الله على الفلاحين عموماً بأن تجمعه وتأتى به . وقد فرض على الأراضى الخمس^(١) كل أرض قنطارين ، وكذلك القرى والضياع ، كل ضيعة شيئاً معلوماً يجمعونه . فجىء به أحمالاً وأمر به أن يدفن ، فدفن منه بعض في مفارة عند مقبرة البرامكة وردد عليه ، ثم صاروا يحفرون حفائر في قبور النصارى واليهود ويضعونه فيها . ثم لم يزل يكثر وينتشر ، فأمر حضرة أسعد باشا أتابه الله بأن تعاد الفريضة على كل قرية من قرى دمشق ، مائتا قنطار ، وأن من لم يأت بالمطلوب فعليه جزاء كذا ، وأمر أيضاً حفظه الله بعض المأمورين أن تضبط عليهم ، وأن يضعوه في جبل الصالحية في آبار ومغائر .

قال المؤرخ [البدرى] : وبلغنى أنه في ثلاثة أيام وضعوا في الصالحية (ألف وسبعائة قنطار [٢٠ ب] من الجراد ، عدا ما وضع في المغائر والآبار في غير الصالحية)^(٢) .

وفي يوم الاثنين سلخ ربيع الثانى من هذه السنة جاء خبر إلى دمشق الشام بأن الطير المسمى بالسمرمر قد جاء ومرّ على قرية

(١) الأراضى بوعان : الأراضى العشر وهى التى يجبى منها العشر [أى ١٠ ٪ من غلتها] وهى التى لا يبذل فى زراعتها مال أو جهد كبير ، والأراضى الخمس وهى التى يحتاج إرواؤها إلى جهد كاستخدام الروافع أو السدود ، ويجبى منها ٥ ٪ فقط من غلتها .

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة التيمورية .

عدرا وضمير، وأتلف من الجراد شيئاً كثيراً . ففرحت أهل البلاد سيما أهل الشام . فخرجت أهل الصالحة ومعهم المشايخ والتغالبية^(١) والنساء والرجال والأطفال بالبكاء والعويل والتضرع إلى الله تعالى بدفع هذا البلاء ورفع الغلاء، ثم زينت أهل دمشق فرحاً بوصول السمرة أحسن زينة .

وفي هذه الأيام شاع خبر بدمشق بأن في الشام امرأة يقال لها السماوية، تمسك الأولاد بالاحتياط والرجال أيضاً، لأجل أن تخرج السمّ منهم؛ فخافت الناس وكثر الفزع، وصارت الناس توصي بعضهم بعضاً منها. وبعد مدة أيام وقعت ضجة بين الناس، فقيل ما الخبر، قالوا قبضوا على السماوية، وإذا هي امرأة عجوز قبضت عليها العامة، وخلفها الأولاد والرجال كالجراد، وهم يضربونها ضرباً وجيماً، وذهبوا بها لعند القاضى، فسألها عن حالها ومن أين أنت. فقالت: والله ياسيدى أنا امرأة فقيرة الحال ولى أولاد وعيال، وهذا القول عنى زور وبهتان. قال فأمر القاضى بتفتيشها ونفتيش بيتها، ففتشوها فإذا معها لعب يلعب بها الأولاد والأطفال، وفي جيبها طواقى كدار وصغار، ثم ذهبوا وفتشوا بيتها، فلم يجدوا فيه غير متاع عتيق وقطعة من الحصير، ثم شهد جيرانها بأنها امرأة فقيرة الحال، ولها زمان

(١) التغالبة جماعة ممن يحضرون الاحتفالات الدينية ويدقون الطبول وهيللون.

قاطنة في هذا المكان ، ولم نعلم لها سوء حال ، ثم أطافوها فذهبت
لحال سيئها .

ثم في تلك الأيام كثير الجراد وأضرّ بالعباد ، وكان الناس
لم يجمعوا منه شيء [كذا] ، وهذا كله مع ازدياد الفجور والفسق
والغرور والغلاء والشور . فخرج الشيخ إبراهيم الجباوي^(١) ومعه
التغالبية بالأعلام والطبول ، وقصدوا زيارة السيدة زينب ، واستغاثوا
عندها بكشف البلاء عن العباد ، ورجعوا آخر النهار ، ثم داروا حول
مدينة دمشق ، ومرّوا أمام باب السرايا وعملوا دوسة^(٢) . وحصار حال

(١) هو شيخ الطائفة السعدية أو بنى سعد الدين أو الجباوية بدمشق . وهم
قوم من المتصوفة ، اشتهرت طريقتهم في بعض البلاد العربية والعثمانية ، وينسبون
إلى صاحبها سعد الدين الجباوي ، نسبة إلى جبا [بين حوران ودمشق] وكان في صدر
شبابه شقياً قاطماً للطريق ثم صلح حاله وتصوف وأنشأ بدمشق الطريقة التي عرفت
باسمها ومات سنة ٧٠٠ هـ أو ٧٣٦ هـ وكانت لهم زاوية بمحلة القبيبات بدمشق
وكانوا يعدّون فرعا من الطريقة الرفاعية . ومنهم من كان يأكل الأفاعى حية . وقد
اعتادوا إقامة (الدوسة) في الاحتفالات بالموالد أو عند اشتداد الكرب طلباً لرفع
البلاء عن الناس . [دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية مجلد ١١ ص ٤٢٠ -
٤٢٢ . مادة « السعدية » كتبها مرجليوث والمجبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن
الحادى عشر ج ١ ص ٣٢ ، ج ٢ ص ٢٠٨] . وكان الشيخ إبراهيم الجباوي
من أكابرهم ، عرفت عنه كرامات كثيرة وكثر أتباعه ومريدوه ، وجمع ثروة كبيرة
إذ كان متولياً نظارة المسجد الأموى ، وكان موضع احترام الحكام والأعيان . وكان
الناس يتبركون به ويخرجون لزيارته في زاويته بالقبيبات .

(٢) الدوسة احتفال كان يقيمه رجال الطريقة السعدية في مولد النبي وبعض
الأولياء ، فكان عدد من رجال هذه الطريقة يذطحون أرضاً على وجوههم ثم يمرّ =

عظيم وبكاء (شديد)^(١) ، وشملت قناديل الرجال أصحاب [كذا] ،
وهم يدعون بهلاك الجراد ورفع البلاء . وبعد يومين جاءت أهل الميدان
بطبول وأعلام وحال وصريخ ، وقصدوا جامع المصلى بالدعاء برفع
الجراد وهلاكه^(٢) . ويقولون : يامن له المراد في كل ما أراد ،
بالمصطفى الحبيب فرّج عن البلاد [١٢١] فلم يفد ذلك . وكيف يفيد
ذلك وأكثر النساء قد باحت ، وبنات الهوى ونهم [كذا] الحاضنات
دائرات ايلا ونهاراً بالأزقة والأسواق ، ومعهم الدالانية والفساق ،

= شيخ الطريقة فوقهم ممتطيا جواده يقوده اثنان من أتباعه، فيدوسهم واحدا بعد آخر
ولا يصيب أحدا بضر ، وهذه كرامة من كرامات الطريقة وشيخها . [دائرة المعارف
الاسلامية . الترجمة العربية . المجلد ٩ مادة (دوسة) كتبها مكدونالد
D. B. Macdonald] وقد وصف الرحالة لين الاحتفال بالدوسة الذي أقامه
رجال الطريقة السعدية بالقاهرة في يوم الاحتفال بمولد النبي ورسم شكلا له .
Lane : An Account of the Manners & Customs of the Modern
Egyptians. 1860. p.p. 451—454.

وقد أبطلت الدوسة في مصر في سنة ١٨٨١ بقرار من الحكومة استنادا إلى
فتوى أصدرها مفتي الديار المصرية في ذلك الوقت . وكتب الشيخ محمد عبده في الوقائع
المصرية مثنياً على قرار الحكومة لإلغاء « هذه المادة المخالفة لأحكام الشريعة ونواميس
الطبيعة الانسانية » . [العدد ١٠٣٨ في ١٦ ربيع الآخر ١٢٩٨ ، العدد ١٠٧٨
في ٤ جمادى الأول ١٢٩٨ (٣ ابريل ١٨٨١) انظر : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ
محمد عبده للسيد محمد رشيد رضا ج ٢ ص ١٣٦ — ١٤٢ .

وواضح من رواية البديري هنا أن الدوسة كانت تقام أيضا كلما اشتد الكرب
بالناس ، كما حدث في تلك السنة من هجوم الجراد وانتشار الفسق واشتداد الغلاء .

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) جاءت هذه العبارة في النسخة التيمورية : برفع البلا وهلاك الجراد

ولا أحد يشككم بقيل وقال ، ولا أمر بمعروف ولا نهى عن المنكر ،
والصالح في قمّ وكرب ، والفاجر الطالح منقلب في لذيد النعم ،
اللهم فرّج آمين .

وفي يوم الخميس ثامن جمادى الأولى من هذه السنة أمر حضرة
أسعد باشا على الانكشارية [في] الشام والزعماء والسباهية وكل قرية
عشرة أنفار بالمسير إلى جبل الدروز^(١) ، وأمر أن تعمّر في البقاع
أفران لأجل خبز الخبز . وبلغنا أنه جاءه فرمان بأن يكون معه
باشة صيدآ وباشة طرابلس لمساعدته ، وأمر المتأولة بأن تساعد على
حربهم . وكان الزمن في شهر أيار^(٢) ، والزروع في الأرض بائنة ،
ما حصد منها شيء ، فخافت الخلق من تلك الأحوال ، والغلاء واقع
بالشام ، ورطل الخبز من سبعة إلى ثمان مصارى .

وفي ليلة الخميس خامس عشر جمادى الأولى من هذه السنة قتل
أسعد باشا العظم السيد صالح بن إبراهيم بيك السوقية . فسألنا عن
السبب ، فقيل إن أباه اشتكى لباشا أن ولده صالح تكلم مع أبيه
بكلام فاحش ، وأراد أن يتوّسه^(٣) ، فأرسل حضرة الباشا وأمر

(١) ذكر الأمير حيدر الشهابي في تاريخه نبأ الحرب بين أسعد باشا والدروز
بقيادة الأمير ملحم الشهابي في وقائع سنتي ١١٦١ و ١١٦٢ (١٧٤٨ و ١٧٤٩) ، وجعل
سببها تارة حق أسعد باشا للصداقة التي قامت بين الأمير ملحم وسعد الدين باشا أخى
أسعد باشا (ج ١ ص ٣٩) كما جعل سببها في مكان آخر انكسار بعض الممال السلطاني المرتب
على الأمير ملحم [ص ٣٧] ونوّه الأمير حيدر بهزيمة أسعد باشا وجند الشام [ص ٣٨] .
(٢) شهر مايو .
(٣) أى يقتله .

أن يؤتى بولده مهانا ، وعند المساء أمر بخلقته لمحقق ورعى ،
والأمر لله .

وفي يوم الجمعة بعد الصلاة برز حضرة أسعد باشا إلى المرجة
وأمر بأن تعرض عليه عسكر الشام من الأناكشارية والزعما ، ثم
رحل ، وبعد ثلاث أيام من رحيله تبعته أوجاقات الشام . ولما وصل
إلى البقاع خرب بعض قرى للدروز وحرقت ونهب وقتل ، ثم أغار
هناك على عرب يقال لهم الفريخات ، وهاوشوه^(١) مدة أيام ، ثم نجوا
بطرشهم^(٢) والعيال ، وتركوا الخيام والمال ، وذلك بعد ماقتلوا
جماعة من عسكر الباشا وجرحوا . وبلغنا أنهم كانوا طائعين . وأرسل
يطرح بقرهم على الضيع والأصناف ، وعمل عملاً يؤدي إلى
الخلاص ، ثم نزل في البقاع وأمر بمحصد زرع الدروز ، فحصد رامقل^(٣)
البقاع . والغلاء متزايد ، والجراد في أرض الشام زايد ، لكن الله
ملجمه رحمة بخلقه .

وفي يوم الخميس ثامن جمادى الثانية قبل قدوم مربعاية الصيف^(٤)
بخمسة أيام صار رعد وبرق مخوف ، وأرمت السماء بمطر كأفواه
القرب ، وقبل ذلك بأيام صار رعد كثير من غير مطر . فهذه الأحوال
عبرة لمن اعتبر .

(١) أي ناوشوه . (٢) الطرش هي الأغنام في اصطلاح اللبنانيين .
(٣) أي زروع البقاع . (٤) أنظر فيما سبق ص ٤٠ .

وقد بلغني عن حضرة [٢١ ب] أسعد باشا حينما كان بجبل الدروز أنه جاءتة شكايته من أهل قتيل سني على رجل درزي ، أنه كان مشاركاً لرجل تركاني على نحو خمسمائة رأس غنم ، وأن الدرزي اقتال شريكه التركاني فقتله ، فأمر حضرة الباشا أن يفتش على الدرزي ، فقبض عليه وأمر بقتله ، فقتل ، واستلب الغنم التي عنده وأرسلها إلى الشام ، وبيعت طرحاً على لحامة^(١) الشام ، كل رأس بثمانية غروش ، والذين اشتكوا ما أعطاهم درهما ولا ديناراً ، ولله الأمر .

وفي هذه الأيام ورد إلى دمشق الشام ثلاثة يهود من مدينة حلب ، ولهم مهارة في ضرب الآلات بأحسن النغمات ، فصاروا يشتغلون في قهاوى الشام ، ويسمعهم الخاص العام .

وفي منتصف جمادى الثانية بلغني أن بعض عسكر أسعد باشا - قيل هم المغاربة - تحرش بالدروز ، وذلك حينما كان الباشا وعساكره مخيمين ببلادهم ، وأطلقوا عليهم الرصاص ، ووقعت المناوشة بالقتال ، نهض حضرة الباشا على قدميه ، وكان جالساً على الغداء ، وأخذ يديه رمح [كذا] وقبل تدرّع^(٢) ، وطالب أمام عسكره القتال ، وأخذ بين يديه أنكشارية الشام ، وكان عليهم محمد آغا بن

(١) لحامة القصابون في اصطلاح أهل الشام .

(٢) أي ليس الدرع .

عبدالله (آغا^(١)) كمش أغلى . فصاح الأغا على جماعته وطلب الغارة وحده ،
وتبعه الباشا وبقية العسكر ، (وجرّوا المدافع)^(٢) وجدّوا الغارة
طالبين فم الجبل ، والرصاص منهم وعليهم مثل المطر ، فسكان أول
من انهزم عسكر الدالاتية أهل الكبر والجزوتية^(٣) . ولم يصب أحد
ولله الحمد من عسكر أوجاق الشام سوى رجل من أنكشارية بملك .
سم إن حضرة أسعد باشا عنّف عسكر الدالاتية بعد غضب منه شديد ،
وقال لهم : تبتاً لكم من أعوان ، ولن آخذكم من أنصار ، تأخذون الملائم
والمال وتهربون من الحرب والقتال ، والمتطوعون يقاتلون لله
ورسوله ، ويتسابقون للحرب ، مع ما قد فعلت معهم من الفعال من
قتل وسلب وخراب ديار^(٤) ، ولكن سوف أهرق لهم هذا الأمر
وأزيل عنهم الشرّ والقهر . ثم إنه دعا أوجاق الشام وأوعدهم بالإحسان
والإكرام . ثم بقى [كذا] الحرب في اشتعال بقية ذلك النهار ، ثم أخذ

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) هذه العبارة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٣) في هذه الواقعة تأييد لما ذكره الأمر خيدر أحمد الشهابي وثقلناه
[حاشية ١ ص ٩٣] عن هزيمة أسعد باشا وجنده أمام الدروز .

(٤) يشير الباشا إلى أنكشارية الشام وما كان منه من قتالهم وتشديت زعمائهم
مستعيناً بالدالاتية عليهم ، والآن انهزم الدالاتية أمام الدروز ، بينما صمد الانكشارية
في القتال ، لهذا دعاهم الباشا إليه ووعدهم « بالإحسان والإكرام » .

حضرة الباشا المدافع إلى الجبل^(١)، وحلف الأيمان المعظمة أنه لا يرجع عن الجبل، حتى يرمى كل من فيه بالهلاك والتلف، ويجمعهم [١٢٢] أحاديث. ثم كتب إلى حمص وحماة والمعرّة والشام بأن يجرّدوا له الرجال الأجلاد، وطلب من كل قرية خمسة عشر نفرا، وعمل هلى أهلها كل واحد أجرته نصف غرش، وأرسل فرض عليهم بمعض أنفار، وأكثر عليهم من فرائض الأموال. وشدّد الأمر على الناس حتى ضيق منهم الأنفاس، وزاد عن القياس. وكان قد قتل من أهل الجبل أربعة أنفار من كبارهم مع من قتل ذلك النهار، ومع ذلك فقد طلبوا الصلح ووزنوا له المال، فأبى إلا القتل والسلب. وكان قبل الواقعة بأيام أمر حضرة الباشا بأن تحصد الغلال التي للدروز وغيرهم وأمر بضبطه، وكلها جمعوا شيئا نهبوه، وقد كانت بركات كثيرة، لأن إقبال هذا العام شيء كثير ما سمع بمثله، وغالبه اندرس تحت الأقدام. وكان رطل الخبز بدمشق بستة مصارى. فلما جاء القمح الجديد باعوه بخمسة مصارى، وبعد يومين نادوا على الرطل بثلاثة مصارى. وقالوا: يارعية قد أنعم عليكم رب البرية، رطل الخبز بثلاثة مصارى. وثانى يوم اشتغل البرطيل والرشوة للتسلم موسى كينية وغيره من أهل الظلم، فخالا سمعوا مناديا ينادى لا أحد يبيع رطل الخبز بأقل من

(١) جبل الدروز، أو جبل لبنان.

أربعة مصارى . وقبيل كان ذلك من شيخ الطحانة ، وكان يلقب
بالتخان ، عامله الله بما يستحقه آمين . وكانت الحركة المتقدمة التي
أزعجت الباشا سببها من الله ، والجزاء من جنسها العمل ، لأنه حضرة
الباشا قد أخذ يد التخان المذكور ، وهو شيخ الطحانة ، وقد أمره
الباشا أن يبيع قمحه ^(١) على سعر الغرارة بخمسة وثلاثين قرشاً .
ثم بعد مسير الباشا وهو يوم الحركة كان قد نزل سعر القمح ،
فصار ثمن الغرارة خمسة وعشرين قرشاً ، فلم يقدر أحد أن يبيع بهذا
السعر إلا خفية . وقد ضاق الأمر على الفقراء والمساكين . وكان كل من
تحرك من العامة ربطوه بحبل طويل ، وجرّوه إما إلى العذاب وإما إلى
القتل وسلب المال والعرض . والأمر لله العلي الكبير .

قال المؤرخ [البديرى] : وقد بلغنى عن أسعد باشا وهو نازل
إلى جبل الدروز بلغه بأن ضيعة من ضيع البقاع إلى الدروز ، فأمر
عسكره بنهبها وسلبها ، فلما وصلوا إليهم تلقّتهم أهلها بالبشر والفرح
والسكون ، وهم عمّا يراد بهم غافلون ، ثم [٢٢ ب] أنزلوهم وذبحوا
لحم وضيّفوهم ، فزّلوا وأكلوا واكتفوا ، ثم قاموا وجرّدوا عليهم
السيوف ، فصاحوا عليهم لانفعلوا أنتم أصدقاؤنا ونعم الضيوف .
فلم يسمعوا بل قتلوا منهم جماعة وجرّحوا ، فطلبوا الهزيمة حالاً وفرّوا

(١) أى قمح الباشا الذى سبقت الإشارة إلى أنه جلبه من ضياعه بحجة
ليباع في دمشق .

من وجوههم، فنهبوا متاعهم ومصانعهم وأموالهم ثم طلبوا النساء فانهزم من بين أيديهم، ودخلوا بعض البساتين هناك، وكانوا يزيدون على ثلاثمائة امرأة وبنات أبكار، فهجم عليهم [كذا] ذلك العسكر، ومسك كل واحد منهم واحدة، وهم يضطرخون بالبكاء والعيويل، فلم يجدن مساعدا حتى فعلوا بهن المنكر. وهذا نقله لى من اطلع على حقيقة هذا الخبر. وحرقوا القرية بعد ما نهبوا جميع ما فيها، وترك أهلها بالويل والتنكيل. وحسبنا الله ونعم الوكيل. وكان ذلك قبل الواقعة، وقيل هى سبب الفتنة.

ولما جمع حضرة أسعد باشا الجموع وملأت البرارى والربوع، فكان من جملة من قدم لعند الباشا محمد باشا باشة صيدا، وكان رجلا كبير السن، قد جرب الدهر وأهله. فلما أقامه أسعد باشا بالعز والإكرام وشكى إليه ما فعلته الفرقة الدرزية من الغدر والقتال، وسأله المعونة على هذا الحال. فلامه محمد باشا على ذلك، وأمره بالكف عن قتالهم، وقال له: هذا أمر يعود علينا وعليك بالتلف، ولا ترضى الدولة به لأنهم [أى رجال الدولة] يريدون العمار للبلاد ويكرهون الجور والفساد، قادرون على إرسال عشر وزر [أى] بيوم واحد، ولا يقدر أن يعمروا فى عشر سنين قرية إذا خربت من هذه القرايا، ولأجل خاطرى أيضاً صالحهم، وخذ ما لك عليهم من [المال] المعلوم وأترك أولادهم، وكان أولاد أمراءهم قد حبسهم أسعد

باشا في النلمة ، ولهم أكثر من ستين ، وهم صغار غير بالغين .
ثم شدد عليه بذلك^(١) . فأجابته لذلك حضرة أسعد باشا ، لكن ظاهراً
لاباطنا ، لأن مقصود الباشا المذكور تدميرهم عن بكرة أبيهم ،
وهذا من قبيل المستحيل .

فقال له حضرة أسعد باشا : أنت إذن دبر هذا الأمر برأيك .
فقال : دعنا نشرط عليهم ما تريد من الشروط . فخلف له أنه لا يشرط
عليهم شرطاً ولا يأخذ مالا ولا يفعل معهم شيئاً . ثم ودع محمد باشا
باشة صيدا بعد ما عظه واحترمه ، [٢٣] وأضمر خلاف ما أظهره .
وبلغني أنه بالوقت أرسل خبراً إلى الدولة العلية يطلب
لأخيه مصطفي بك الوزاوة بصيدا ، حتى يفعل بالجبل ما أراد^(٢) ،

(١) أشار المؤرخ اللبناني الأمير حيدر الشهابي إلى توسط باشا صيدا « مصطفى
باشا القواس بين الأمير ملحم الشهابي زعيم الدروز وأسعد باشا العظم . أما عن
أسر أبناء الأمراء الشهابيين بقلعة دمشق فلم يذكر المؤرخ اللبناني إلا حجز الأمير
علي بن الأمير ملحم لدى والي صيدا ثم عودته على أثر دفع أيه المال الذي اتفق عليه
[ج ١ ص ٤١ - ٤٢] أما الشدياق فقد أشار إلى القتال بين سليمان باشا ثم أسعد
باشا العظم وبين الأمير ملحم الشهابي ، وقال إن ملحم كان قد وضع أخاه رهينة عند
سليمان باشا في دمشق ، وقال إن الحق قد بلغ من أسعد باشا العظم على الأمير ملحم
أنه إذا جاء منه كتاب وضع يده على اسمه حتى لا يراه . [أخبار الأعيان في جبل
لبنان ص ٣٦٩ - ٣٧١]

(٢) كان باشا الشام [دمشق] يهجمه أن يكون على باشوية صيدا رجل يوافق
سياسته ، فإن إدارة جبل الدروز [لبنان] كانت تابعة لنظم باشا صيدا ، وقد
أنشئت هذه الباشوية خصيصاً للإشراف على شؤون الجبل في سنة ١٦٦٠ ، على أن =

ويشفي منهم الفؤاد . وقيل إن باشة صيدا أرسل يطلب من أهل الجبل إلى أسعد باشا جملة من المال ، فخافوا له أن لا يعطوه ولا عمال ، ولكن إذا أرسل أولادنا أرسلنا له أربعين كيسا ، الذي [كذا] هي علينا معتادة ، وإلادعه يفعل ما أراد ، فوالله إن حرك ساكنا لنهدمّ عليه البلاد ، فنحن ما الذي فعلنا حتى يقابلنا بهذه الأمور ، أما كفاه أنه أهرق دماءنا وأباح ما لنا ونساءنا ، وقد أعدم لنا أكثر من مائتي كيسا من الخنطة والحبوب .

هذا وأسعد باشا قد فرق ما جمع ، وهيونه من غيظه تدمع ، وبقية الأمور تحت الأوهام . وقد عادت الأوجاقات السباهية والانكشارية إلى الشام ، ولم تنتظم الأمور والأحوال ، والحكم لله الملك المتعال .

وفي شهر رجب من هذه السنة ، وهي سنة ستين ومائة وألف وقع حرب بين بني صخر وعرب عنزة في بلاد حوران بسبب استيلاء أغنام بعض القبائل . وفي هذا الشهر أيضا وصل خبر إلى دمشق بأن

= باشا الشام كان له أيضا إشراف على الجبل والدروز ، بحكم أن أمراءهم [من بني شهاب] كانوا يحكمون أحيانا بعض الجهات الداخلية في باشوية الشام كسهل القاع ، وقد كان ولا يزال أهم مصدر لتكوين لبنان بالقمح ، وكان الأمراء يدفعون لباشا الشام مبلغا من المال كل سنة مقابل حكمهم هذه المنطقة ؛ وقد ذكر البديري هنا أنه أربعون كيسا

الدروز نزلوا من الجبل ونهبوا (وسلبوا)^(١) ، وحرقوا ثمانية عشر قرية من بلاد البقاع ، وحاصروا بعلبك وضيقوا عليها الحصار .

وفي يوم الأربعاء ثامن رجب ورد من صيدا عبد الله باشا ابن الكبرلى ، وكان يجيئه من جهة إسلابول ، وشاع عنه أنه يريد الحج ونزل بدار أبو شنب .

وفي يوم الاثنين من هذا الشهر توفى الشيخ عبد الرحيم بن الاسطبولية رحمه الله . وبهذا النهار ضربت مدافع ، فسألت عن السبب ، فقيل : إن صيدا جاءت إلى موسى كيخية متسلم دمشق من قبل أسعد باشا . وكان هذا الرجل أولا كيخية عند إسماعيل باشا ابن العظم . وجاء مع القججي فرمان بأن تشدد الرجال لقتال الدروز ، وأن يضيقوا عليهم وأن يدمروهم عن بكرة أبيهم .

وفي يوم الاثنين سابع شعبان من هذه السنة أمر حضرة أسعد باشا الدالاتية والأطلية^(٢) بأن تركب وتغير على أرض البقاع ومن فيها من الدروز ، فيقتلوا ويأسروا وينهبوا ويفعلوا ما أرادوا . ثم بلغنى أنهم أغاروا على جماعة من الدروز وهم على حين غفلة ، فقتلوا منهم ومن مشايخهم ، وقبضوا على الباقيين منهم ، ونهبوا الأموال

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) لهاها [الأطلية] أى الجند المنتمون إلى أרט ، وقد عاد البديرى [فى أواخر حوادث سنة ١١٦٦] فذكر [الأطلية] .

والدواب والغنم [٢٣ ب] والنساء والأولاد ، وجاءوا برؤسهم إلى دمشق . فكان يوم يجيئهم يوماً تقشعر منه الجلود مع الجلال . فنسأله تعالى أن يصلح الأحوال ، ويرحم أهل الشام ويرخص لهم الأسعار .

وفي يوم الخميس هاشم شعبان عمل الشيخ إبراهيم الجباوى متولى جامع الاموى فرح عرس إلى ابن ابنه ، وأمر أن تزين الأسواق بالقناديل والشمع ، وأمر أن تشعل منائر الجامع الاموى فشمعات ، وهذا شيء ما سمعناه أنه [سبق]^(١) لغيره .

وفي ليلة السبت مات الشيخ الولي معتقد أهل الشام الشيخ عمران بن الشيخ إبراهيم إمام دار السعادة . كان رحمه الله من أرباب الأحوال ، وكان له ستة أصابع في يده اليمنى ، وكان يكتب خطأً حسناً بيده اليسرى ويقلد كل خط ، وكان حسن الصوت بقراءة القرآن . ودفن بباب الصغير بجوار سيدنا بلال رضى الله عنه .

وفي هذا العام جاءنا الخبر بوفاة أحمد باشا بن حسن باشا وإلى بغداد^(٢) . وقيل إن سبب موته أن الدولة أرسلت له فروة مسمومة ، فلبسها

(١) هذه الكلمة ساقطة في النسخة الظاهرية .

(٢) تولى أحمد باشا باشوية بغداد عقب وفاة أبيه في سنة ١٧٢٣ وقد تجددت في عهده الحرب مع إيران ، وقد أكثر من المالك ، حتى أصبح لهم سلطان قوى ، وخلفوه في ولاية بغداد ، حتى كانت نهاية آخر الباشوات منهم وهو داود باشا سنة ١٨٣١ .

غذب السم في بدنه ، فات رحمه الله . كان رحمه الله شجاعا مقداما مدبراً
للأمور أطاعته العباد ودانت له البلاد ، وقد دفع عن بغداد كل جبار
ولقد قصد طمها سب الخارجي^(١) ومعه همكر جرار ، وحاصر بغداد
أشهر آلم يقدر على فتحها فرجع ذليلاً صاعراً ، وطلب بلاد الهند
والتر ، فسلط عليه ولده فقتله ودمره ، وتولى ولده مكانه ، ولم يخرج
على الدولة وكان اسمه دبوس . ولما توفى أحمد باشا والى بغداد أرسلت
الدولة إلى بغداد والياً كور محمد باشا^(٢) ، وكان صدراً أسبق . فلما
استقر ببغداد ، طلبت منه الإنكشارية العلايف أى المعاشات . فقال
لهم علايفكم عندى . قالوا لا ، فقد كان أحمد باشا الذى كان قبلك
يعطينا إياها من ماله ، ولما تأتى له من الدولة يأخذها . قال لهم : أنا
لا أفعل . قالوا لا بد من ذلك وشددوا عليه بالكلام ، وكانوا مثل
البحر الزخار . فقال إن كان ولا بد من ذلك فأرسلوا إلى من أكابركم
من كل بلك ثلاثة رجال ، حتى يستلموا المال ففعلوا ، ولما حصلوا عنده
أمر بقتلهم ورمى جثثهم . فلما رأوا إلى ذلك أسرعوا إلى القلعة ورموا
عليه بالمدافع والبارود ، حتى هدموا سرايته ، وقتلوا آفة جماعته .
تفرج الباشا من سرداب تحت الأرض ينفذ من خارج البلد وفرَّ
هارباً إلى بلاد العجم . ثم كاتب أهل بغداد إلى الدولة العلية بأن

(١) هو نادر شاه إيران ، وقد دعاه الخارجي لأنه من الشيعة .

(٢) الصحيح أن الباشا الذى خلف أحمد باشا والى بغداد وثار عليه الإنكشارية
هو الحاج أحمد باشا الذى كان والياً على ديار بكر ، وكان صدراً أعظم .

يرسلوا واليا لبغداد عليهم سّموه لها ، كان عند مخدومه أحمد باشا المتقدم ، وكان فيه [١٢٤] استعداد تام ، فأرسلوه لهم ، وقد رضوا به ^(١) .

وفي سابع وعشرين من شعبان قدم أسعد باشا من الدورة ، وكان دخوله قبيل المغرب ، وجاءت معه مغاربة كثيرة .

وفي هذه السنة صار ثبوت رمضان الأربعاء ، وضربت المدافع ليأتها في الساعة الخامسة ، وبعض الأئمة صلى التراويح تلك الليلة . وقد صارت غرارة القمح بعشرين قرشاً ، والله يميزنا على هذا الغلاء ، الذى هو رطل الخبز بخمسة مصارى ، والأرز ياحدى عشرة مصرية ، والباذنجان بأربع مصارى .

وفي ثامن رمضان جاء من إصطنبول شيخ الإسلام يقصد الحج إلى بيت الله الحرام ، وخرجت ملاقاته أعيان ^(٢) الشام ، ومكث اثنا عشر يوماً ، وتوفي لرحمة الله تعالى وصار قبره بالشام ، ودفن بباب الصغير قبلى سيدنا بلال ، رضى الله تعالى عنه .

وفي يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شهر رمضان نية أسعد باشا

(١) هو سليمان باشا المعروف بأبى ليلة ، وقد ظل على ولاية بغداد اثنتى عشرة سنة وهو أول الباشوات من الماليك .

(٢) فى النسخة الظاهرية : أهل الشام .

بأن يكون الريال بقرشين إلا نكث، وكان أولاً بقرش ونصف وأربع مصارى . وكان عيد الفطر في هذه السنة نهار الجمعة .

وفي يوم السبت سادس عشر شهر شوال خرج المحمل الشريف صحبة أمير الحاج أسعد باشا العظم حفظه الله ، وأقام نائباً عنه بدمشق متسلماً موسى كيخية المتقدم ذكره . وقد جاء خط شريف بعد خروج الباشا إلى الحج ياخراج أولاد الدروز من القلعة ، فأخرجهم المتسلم ، وصار في الجبل فرح عظيم . ولو كان أسعد باشا في الشام لما أخرجهم ، لأنه طالما جاءتة أوامر ياخراجهم فلم يخرجهم . وفي هذه السنة المطر قليل والغلاء كثير ، وكان غالب قوت أهل الشام خبز الذرة والشعير ، والفقراء ما لهم من دون الله معين ولا نصير .

سنة ١٦١١

ثم دخلت سنة إحدى وستين بعد المائة والألف ، وكان أولها محرم الثلاثاء^(١) . وقد خربت القرى من جور الدالاتية ، ومن أعمالهم التي هي غير مرضية .

قال المؤرخ [البديري] : وفي محرم توفي شيخنا ومحبنا الشيخ محمد المصري الأزهرى الملقب بأبي السرور ، ودفن بمرج الدحداح

(١) يوافق ٢ يناير (كانون ثان) ١٧٤٨ .

قريباً من النهر بقبر مبلط بشاهدين . كان رحمه الله تعالى عالماً فاضلاً دينياً . ومن مناقبه أنه ما اجتمع به أحد إلا وحصل له سرور وفرح ، ولو لم يتكلم ، وهذا أكبر دليل على صلاح طويته .

وفي نهار السبت سادس وعشرين محرم جاء جو قسدار الحج ، وبشّر بأن هذه السنة لا نظير لها في الرخص والرخاء . وفي خامس صفر جاء كتّاب الحج وأخبر [٢٤ ب] أن الحج متأخر من كثرة الثلج والمطر . وفي ليلة الثلاثاء من صفر الخير دخل الحاج ليلاً ، وثاني يوم (الأحد)^(١) دخل أمير الحاج أسعد باشا وأخوه سعد الدين باشا أمير طرابلس الشام . وقد حصل للحجاج في هذه السنة كل خير ، ولم يروا مكدرأ سوى سيل جاءهم وهم في بدر ، فأتلف وأغرق ، وفي محلة العلاء نزل^(٢) ثلج ومطر وبرد ، وصار للحج مشقة ، لكن بها لطف عظيم . وفي غيبة الحاج جاء تقرير لإبقاء لأسعد باشا في الشام .

وفي يوم الخميس سابع عشر صفر أجازنا الشيخ أحمد بأن نقرأ كل يوم عقب صلاة الصبح بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يا عزيز سبعة وثمانين مرة ، وأخبر أن خواصها عظيم ، وأن يدهو للمرء بعدها بما أحب ، فإنها تجاب دعوته .

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة التيمورية .

(٢) الملا محلة على طريق الحاج الشامي ، جنوب دمشق ، ثم أنشئت بها محطة

لسكة حديد الحجاز .

وفي اثنين وعشرين صفر الخير وردت خزنة مصر إلى دمشق
والغلاء مشتد في دمشق ، حتى صار رطل اللحم بثلاثين مصرية ، ورطل
الأرز باثني عشر مصرية ، والخبز رطله بخمسة مصارى وبسته وبسبعة
وكل من يبيع برأيه .

وفي آخر ربيع الأول من هذه السنة نادى حاكم الشام أسعد باشا
على الملبوس كل تسعة بمصرية ، والمصارى الفضة كل ستة
وثلاثين بقرش^(١) .

وفي يوم الأحد ثاني ربيع الثاني قتل محمد آغا بن الزرخلي ، وهو
كاتب العرب في طرابلس ، وكان مع سعد الدين باشا حاكم طرابلس في
الجردة ، فلما رجع ووصل إلى الشام أمر أسعد باشا أن يرفع للقلعة ،
وبعد أيام أمر بقتله ، فقتل ، ولم يعلم ذنبه .

وفي نهار الثلاثاء آخر جمادى النازية من هذه السنة وقعت فتنة
بين الأشراف وللة بقول^(٢) . وسبب ذلك أن رجلاً شريفاً اشترى من

(١) واضح أن أسعد باشا بقراره هذا قد هبط بقيمة العملة ، فإن القرش كان
٤٠ مصرية (بارة) فجعله ٣٦ ، وكانت المصرية ١٠ فلوس فجعلها ٩ .

(٢) كان للأشراف (أو السادة) اعتبار كبير في البلاد الإسلامية وكانوا يتمتعون
في الدولة العثمانية بامتيازات كثيرة ، حتى إن تقيب الأشراف في الآستانة لا يتقدمه
إلا شيخ الإسلام .

رجل شريف طابنجة وأراد أن يجرّبها ، فأنى إلى الخندق ليجرّبها ، فلما ضربها سمع صوتها آغة القبقول ، وكان نائماً ، فاستيقظ مرعوباً ، وقال اتئوني بمن يضرب بهذه البارودة ، فجاءت أعوانه وقبضت عليه وعلى جماعة كانوا معه ، وأخذوهم إلى أعاتهم ، فأمر أن يضرب كل واحد منهم ثلاثمائة سوط ، فضربوا ضرباً وجيعاً وتركوا كالأموات ، ثم وضعوا شاشاتهم في لباسهم فبلغ نقيب الأشراف ما فعل بهم ؛ فأرسل وأنى بهم إلى داره ، وفي اليوم الثانى قامت الأشراف على [١٢٥] قدم وساق ، وهجمت على القبقول وتقاتلوا ، فقتل من الأشراف ثلاثة^(١) ،

= وقد زخر تاريخ دمشق وحلب في العصر العثماني بآبناء النزاع بين الأشراف والجنود ، فقد كان الأشراف يعترزون بنسبهم الشريف ، وكانوا يكوّنون طبقة لها احترامها ، أما الجنود فقد دأبوا على الفتنة وكانوا يهزأون بالأشراف ، حتى أنهم في حلب « كانوا يدخلون رأس الكلب في بطيخة خضراء فارغة ويرسلونه في الأسواق والشوارع ووراء واحد منهم ينادى بقوله : تنحوا عن طريق السيد » (لأن السادة كانوا يلبسون عمائم خضراء) [العزى ج ٣ ص ٣٥٠] وصارت القبقول تقول : (في رواية البديرى) إن قتلة الشريف قيمتها أخشابية (أفجة) فضة وذكر جب وبون (Vol. I. part. II. P. 93-94, 101) أن الإنكشارية في دمشق وحلب كان كثير منهم من أرباب الحرف وكانوا يكوّنون جزءاً من القوات العسكرية ، وكانوا دائماً في نزاع مع الإنكشارية المحلية . ولكن من الواضح — كما تدل على ذلك روايات ذلك العصر ومنها ما كتبه البديرى — أنهم كانوا يكوّنون جزءاً من الإنكشارية المحلية وكانوا في نزاع مستمر مع انكشارية الدولة أو القيقول .

(١) ثلاثمائة في النسخة الظاهرية ، وهو أمر غير معقول .

وجرح كثيرون وسكرت البلد كلها . وفي اليوم الثالث صار ديوان عند أسعد باشا حاكم الشام ، واجتمعت فيه الأعيان كالمفتى والنيب والعداء ، ثم انقضى الديوان ، وحكموا على القبول بأن يعطوا دية الشهداء الأشراف لورثتهم . ثم أمر الباشا بأن تفتح الأسواق ويقصد الرزاق . وكان يوم الواقعة اثنان من الأشراف الأول يقال له السيد حسن شيخ شباب باب المصلى ، والثانى السيد محمد بن الدهان من السنانية كان قد كرا بعصاهما وهجما على القبول ، وردّوهم إلى القاعة خاسئين . وبعد يومين وهو نهار السبت بعد العصر بينما كان السيد محمد بن الدهان ماراً فى القنوات ، وإذا بشخص من جماعة القبول ضربه ظبئجة ، فجاءت فى بطنه . فقامت الأشراف وأهل البلد ، وهجمت على أسعد باشا وأخبرته بالخبر ، فقال لهم : إن مات قلت غريمه ، وإلا فأنا أدبره . فمات المضروب بعد الظهر ، فذهبت الأشراف إلى الباشا ، فأمر بإحضار الشهود لأجل الحكم على القاتل ، فذهبوا للشهود ، فلم يرض أن يشهد أحد على القاتل ، وقالوا من يشهد ليقتل ، ويكون خصمه نحواً من خمسة آلاف بطل شقى . وحاصله ما أثبتوا الدهوى ، وتركوا دم الأشراف يروح هدراً . والأمر لله العلى الكبير .

وهؤلاء القبول قد جاء فيهم أمر سلطانى وخط شريف بإبطلهم من الشام ، وأن من استخدمهم أو ردّهم ملعون بن ملعون^(١) . فالحاكم

(١) انظر ما سبق عن إخراج القبول من الشام فى عهد ولاية عثمان باشا المحصل ، ثم إعادتهم فى عهد أسعد باشا ليستعين بهم على الإنكشارية المحلية .

وقتشذ تيقن أن البلد لا تصلح إلا بهم ، فأقرهم وأبقام . وبعدها صارت
تقول القبقول : إن قتلة الشريف قيمتها أخشاية فضة^(١) . والحكم لله
والغيرة لله ولرسوله .

وفي (ثاني)^(٢) يوم اجمعه عمل أسعد باشا ديواناً ، وجمع فيه علماء
الشام وأعيانها ، وقال لهم : أنا الليلة مسافر على الدورة ، فانسبوا
البلد ولا تتركوا أحداً يتعدى على أحد . فقالوا يا أفندينا نحن أناس
منا علماء ومنا فقراء ومنا ما يسون ، وصنعتنا مطالعة الكتب وقراءتها .
فقال لهم : هذا إقراركم ، وكيف وأنتم الأعيان ، فقالوا : حاشا لله
إنما أعيان الشام القبقول^(٣) . فقال لهم : هذا إقراركم ، وقد تحققتم
بأن أعيانها والمحافظون لها القبقول . فعند ذلك أرسل [٢٥ ب] خلف
رؤساء القبقول وسلم البلد لهم . وكان ذلك منه دهاء . ثم سافر وترك
الناس تنقلب في فرش القهر والسكدر .

وقد كان رجل من الأشراف من جملة من كان أيام فتنتهم قد فتح

(١) أخشاية تحريف للكلمة التركية أقجة وهى عملة فضية صغيرة ، وكانت
حتى أواخر القرن السابع عشر العملة التركية الشائعة التى تستخدم فى الحسابات
الرسمية ، وقد هبطت قيمتها كثيراً ، فسكت عملة فضية جديدة منها البارة وكانت
تساوى ٤ ثم ٣ أقجات [Gibb and Bowen , II. p.51 - 54.] .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من النسخة التيمورية .

(٣) هذه العبارات فيها بعض الاضطراب فى النسخين الظاهرية والتيمورية .

دكانه بعد أن هدأت الأمور ، فبينما هو يفتح دكانه إذ قبضت عليه جماعة من القبول ورفعوه إلى القلعة : بعد أن شرّوا وثاقه وثقلوه بالقيود ، حتى كأنه من اليهود أو من قوم عاد وثمود ، ثم فتشوا على غيره ليقرنوه ، فهربت غالب الأشراف . فانظروا يا مسلمين إلى هذا الإنصاف ، وقولوا يا خفي الألطاف نجنا منا نخاف .

وفي تلك الأيام ازداد الفساد وظلمت العباد وكثرت بنات الهوى في الأسواق في الليل والنهار . وما انفق في حكم أسعد باشا في هذه الأيام أن واحدة من بنات الهوى عشقت غلاما من الأتراك . ففرض ، فذرت على نفسها إن عوفى من مرضه لتقرأن له مولدا عند الشيخ أرسلان . وبعد أيام عوفى من مرضه ، فجمعت شابات البلد وهن المومسات ، ومشين في أسواق الشام ، وهن حاملات الشموع والقناديل والمباخر ، وهن يعنين ويصفقن بالكفوف ويدقن بالدفوف ، والناس وقوف صفوف تنفرج عليهن ، وهن مكشوفات الوجوه سادلات الشعور ، ومائم ناكر لهذا المنتكر ، والصالحون يرفعون أصواتهم ويقولون الله أكبر .

وما وقع في شهر رجب المبارك من هذه السنة أن رجلاً زوج ابنه وعمل وليمة عرس ، وعند المساء أخذ الدريس بعراضة^(١) وشمع

(١) العراضة هي الموكب أو الزفة .

وطبول ، فخرجت عليهم أعوان المسلم موسى كينجية ، وكان رأس^(١) أعوان الحاكم محمود بشة البغدادى ، وكان مدعواً فى الوثيمة ، فلما توسطوا السوق بالعراضة كان أول من بطش بهم ، فتهازبت الخاق كلهم فهذا طار قاووقه ، وهذا ترك بابوجه ، والآخر أخذت جبهته . وفى ثانى يوم أمر الحاكم بالقبض على أبى الغلام ورفع له للقلعة ، وقد طلب منه مالاً عظيماً ، والأمر لله العلى الكبير .

وفى هذه الأيام ذبح رجل فى فراشه بقرية زبدین . وفى يوم السبت سابع عشر رجب ذبح رجل شريف فى حارة باب السلام فى داره . وما وجد عنده أحد . وكان قبل ذلك بأيام ضرب عمٌ هذا القاتل رجل فى الدرويشية بطبنجة فى رقبته ، فذبحته ومات لوقته . قال المؤرخ : وقد رأيت بهينى وهو مرمى فى [١٢٦] الطريق ، ولم يثبتوا على القاتل شيئاً .

وفى نهار الثلاثاء تاسع عشر رجب دخل مغربى إلى بعض البساتين يريد فساداً ، فكلّمه صاحب البستان فى الحسى ، فسبّه المغربى وشتمه شتماً بليغاً ، وكان صاحب البستان شجاعاً ، فقام إلى المغربى وخلصه عدته وكتّفه ، ثم خاف من غائلة هذا الأمر ، فخل كإياه ، وأعطاه عدته واعتذر إليه ، فما كان من المغربى إلا أن غلب عليه لؤمه ، فأخذ بارودته وضربه رصاصاً ، فقتله حالا : فجاء أخو صاحب

(١) فى النسخة التيمورية : رئيس .

البستان فضرب المغربي بطبيعة جاءت في يده . فأراد المغربي الحرب ،
فوقع الصباح من الرجال والنساء ، لجاء غلام فضرب المغربي بنبوت
فرماه إلى الأرض ، فكشفوه وإلى الحاكم أخذوه ، فأقر لدى الحاكم
بالقتل ، وفي ثاني يوم خنقوه .

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من رجب ضرب مغربي
حماته قتلها . وبعد ثلاثة أيام قتل نصرانيا في الشاغور . وهذا المغربي
بوّاب مصطفى بيك بن العظم ، أخو أسعد باشا باشة الشام . (وفي التاسع
والعشرين من رجب هذه السنة كسفت الشمس حتى أظلمت الشام)^(١) .
ورأت الناس النجوم كما تراها في الليل ، ومكثت مكسوفة إحدى
وعشرين درجة ، وصلت الناس [صلاة] الكسوف في الجامع
الأموي . (وكان الإمام بالاس الشيخ أحمد المنيني أحد خطباء الجامع
الأموي)^(٢) . وبلغني أنه في وقت الكسوف شعل قنديل جارنا الولي
صاحب الكرامات الشيخ عزّ الدين أبو حمرة ، ومقامه بجامعة المعروف به
في باب السريجة)^(٣) .

وفي تلك الأيام غارت العرب على جمال كثيرة في قرية القدم ،
وأخذت ولم يرجع منها شيء . كما وأنه في هذه الأيام غارت الدروز
على قرية الزبداني وغيرها ، وأخذوا منها كثيراً من المواشي والأمتعة
وغير ذلك .

(١) العبارات بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) العبارات بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية

(٣) انظر فيما سبق ص ٤١ .

وفي ليلة الجمعة رابع عشر من شعبان من هذه السنة محف القمر خسوفاً بليغاً ، حتى لم يظهر منه شيء ، وكان ذلك في الساعة السابعة من الليل .

وفي يوم الثلاثاء خامس والعشرين من شهر شعبان قدم إلى دمشق السيد أبو بكر منلاخندكار قاصداً الحج إلى بيت الله الحرام ، وهو من أول من قدم من الحجاج البعيدين . وفي ليلة الاثنين عشرة^(١) شهر رمضان المبارك قدم حضرة والى الشام [٢٦ ب] وحاكمها الوزير الخطير أسعد باشا العظم من الدورة ، وهو في غاية الصحة ، ولم يحصل منه ولا أدنى مكدر . وفي يوم الحادى والعشرين من شهر رمضان قتل رجل في سوق ساروجا ، وقبضوا على قاتله . وفي يوم الاثنين ثالث والعشرين من شهر رمضان وجد رجل مشنوق في قصر السرايا في حارة السيا ، الذى فيها إقيم^(٢) حمام الملكة ، وتقى معلقاً قبيل العصر ، ولم يتم قتله . فأمر الباشا بدفنه ، وذهب هدرأ . وفي الخامس والعشرين وجد قتيل في تربة باب الصغير عند قبر يزيد ، ولم يعلم قاتله . وفي هذه السنة صننا رمضان ثلاثين يوماً ، وكان عيد النظر الثلاثاء .

وفي يوم الأربعاء سادس عشر شوال جاء الحج الحلبى ، وبأن

(١) في النسخة التيمورية : غرة

(٢) للسكان الذى يحتوى على القمامة التى تستعمل وقوداً للحمام .

يوم سابع عشر خرج موكب المحمل الشريف صحبة أميره وأمير الشام الحاج أحمد باشا، وفي تاسع عشر تبعه الركب الشامي.

وفي ليلة الاثنين قبل نصف الليل أقبل أحمد بشه بن القاطنجي وحاشيته وعبد الله بن حزه وجماعته وكحل خليل وعنبر يشه وأحمد بشه دقاق، ومعهم جماعة من الدرور الذين كانوا هاربين، ومعهم ستين رجلاً من الدرور من جماعة ابن تلحوق^(١). ونزلوا في حارة الميدان، وحرقوا بوابة بيت التباي، ودخلوا داره بالتراريد والشوباش^(٢)، ونهبوا كل ما فيه من أمتعة وغيرها، ولم يروا أحداً من الرجال، ولم يقرّبوا الحرّيم، ونهبوا حارة ابن حنّة وشعير، ونهبوا دار الحاج إسماعيل بن زعير، وكان

(١) كمرّ بنا فيما سبق (ص ٦٨) التجاء القاطنجي وجماعته عند بني تلحوق، وهم من شيوخ دروز لبنان. وابن تلحوق الذي ذكره البديري هنا هو الشيخ شاهين بن الشيخ محمد تلحوق. وقد أشار إلى هذه الفترة ووقائيل كرامة في تاريخه الذي نشره المطران باسيلوس قطان باسم «مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسورية ١٧٢٥ - ١٨٠٠» ص ١١، والأمير حيدر النهابي ج ١ ص ٣٩ - ٤٠. وكان أول من شيخ بن تلحوق الأمير حيدر النهابي، شيخهم على الغرب الأعلى وخطب زعيمهم بالأخ العزيز، لأنهم أعانوه في معركة عين دارا (سنة ١٧١١) وبهم وبسواهم من القيسية انصر على الخنية. انظر في نسب بني تلحوق وأخبارهم: الشدياق أخبار الأعيان في جبل لبنان. طبعة سنة ١٩٥٤ ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٩.

(٢) يقصم بالصياح والحناف. وكلمة شوباش مما يستعمل في سورية ومصر في الأفراح. أما التروايد فقد تكون تحريفاً للكلمة (تراريد) ويقصد بها أنه أثناء مظاهرات الفرح والابتهاج يقول أحد الأشخاص مقطعاً فيرده جمهور التظاهرين. وقد تكون من الأوراد جمع ورد.

شيخ الجمالة ، ولم يقربوا الحرير ، وكان صاحب الدار في الحج . ونهبوا دار عبد الفتاح آغا باش شاريش ، لانه كان عليهم أكبر عوانى ، وبعد هروبهم كان يؤذى أهلهم ، ثم قبضوا على ولده ، وقالوا : إن لم نعلمنا بأبيك قتلناك ، وإن دللتنا عليه فإليك الأمان ، فن خوفه أخرجه لهم وهو مخبأ في قايط ، فقتلوه وقتلوا معه رجلا من حاشية السرايا كان ماراً عليهم وهم يقتلوه .

ولما بلغ موسى كخيبة متسلم الشام فعلمهم أرسل خلف الوالى والمفتى والفاضى ، وأمرهم أن يأخذوا معهم العسجق ، ونادوا عليهم خوارج ، ومن كان يحب الله ورسوله والسلطان يخرج [١٢٧] لمقاتلتهم . فخرج المتسلم موسى كخيبة ومعه القبول والدالانية والتفكجية ، ولما قربوا من سوق السويقة نادوا عليهم وطابروهم ، وكانوا نازلين في قهوة الميدان ، ثم لما وصلوا إلى باب المصلى هجموا عليهم من كافة أقطار الميدان ، وقتلوا منهم جماعة وجرحوا كثيرين ، وقرسوا فرس المسلم وفرس المفتى ورجعوا خائبين ، وثانى يوم سار إليهم الشيخ إبراهيم الجبوى^(١) . فنعنا الله به ، فتلقوه وقبلوا يديه : وقال لهم : يا أولادى ما مرادكم ؟ قالوا : يخرج لنا محابيس الدرود^(٢) ويجيئنا لأجلهم . فقال

(١) انظر فيما سبق ص ٩١ .

(٢) سبق للدواف أن ذكر في حوادث سنة ١١٦٠ أن متسلم الشام أطلق سراح أسرى من الدرود أثناء غيبة الباشا في الحج .

لهم: غدا أردّ لكم الجواب. فأقاموا ذلك النهار بلا قتال. وثاني يوم جاء إليهم الشيخ إبراهيم، وقال لهم: يا أولادى، اصبروا حتى يأتى الباشا أو يرسل له حتى نرى جوابه.

قال [البدرى]: وقد جاء صبيحة ذلك اليوم رجل من الأتراك ومنعه نفر من الدالاتية، وقد كانوا فى صيدا، فأرسل حضرة أسعد باشا يطلبهم ليخدهوا عند تسلمه فى الشام. وهؤلاء كانوا أول من ضرب بالسيف، ونهب وسلب فى حركة الزرب فى الشام، وكان قائدهم يسمى عبد الله الترك^(١).

ويوم الأربعاء صارت مقتلة عظيمة، ذهب فيها نحو من خمسين قتيلا، كانوا من جماعة المتسلم والقبقول، وواحد من الدرروز خرج وقتل غلامين. وصارت أهل الشام تبيت وتصبح فى أشأم حال. ثم أرسل المتسلم وأتى بخمسين خيالا من بنى صخر، وأرسل للقري والفلاحين. حتى صار عنده عسكر عظيم.

وبنلك الأيام لم تبطل طول الليل والنهار ضرب البندق والمدافع، وفتحوا [كذا] عسكر الباشا دكاكين باب الجابية^(٢) ونهبوا وأكلوا وشربوا وهدموا المصاطب وعلوها متاريس. وفى يوم الخميس بكرّوا للقتال، وزحفوا إلى جهة السويقة، ومعهم

(١) انظر فيما سبق ص ٨٥.

(٢) انظر فيما سبق ص ٦٦ حاشية ٣.

الفلة والمعاصرة^(١) وحرقوا الدور والقصور، وبعد الظهر ضيقوا على الزرب وهم الأشقياء ، وحاصروهم وضربوا عليهم المدافع فولوا الأدبار ، فتبعوهم وقطعوا أربع رؤوس منهم ، ومن جملتهم رأس موسى جرجي ، وكان محسوباً من الزرب . وهو من جملة من هرب ، وما قتل حتى حمل على عسكر المسلم أربع مرات ، والرصاص نازل [٢٧ ب] عليه مثل المطر فأصابته رصاصة ، فوقع فقطعوا رأسه وجاءوا به إلى السرايا وأما كور عثمان فإنه كان يتأمل خلف المتاريس ، بلا سلاح بل بالأحجار ، حتى أصابته رصاصة دخلت من يمين رأسه وخرجت من الشمال . فوقع وحلوه أصحابه ورجعوا مكسورين خائبين . فهجمت العساكر على الميدان ، ولم يبق فيها مكان إلا ودخلوه . وأذن لهم المسلم بالنهب والسلب من السويقة إلى آخر الميدان ، فنهبوا وقتلوا ، فلم يبق دار ولا دكان إلا نهبوا وهدموها ، فسلبوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا الحریم وفضحوا نساءهم ، ودام ذلك إلى وقت العصر .

ثم جاءت جماعة من الزرب ، ومعهم فرقة من الدروز وجماعة من أهل الميدان (فردّوهم عن بقية الميدان ، ثم لما علت هذه الجماعة الذين ردّوهم أنهم لا طاقة لهم بتلك الجموع فرّوا هاربين بالليل ، ومعهم جماعة من أهل الميدان)^(٢) . ولما طلع النهار نادى الحاكم بالأمان . وأن تفتح

(١) لعلها : للمعاصرة .

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة الظاهرية .

الأسواق ولا أحد ينهب ، وكل من ينهب أو يأخذ شيئاً فروجه وماله يسلب . ثم طلع آفة القبقول على الميدان ، وخرجت الناس لتنظر ما جرى بها .

قال المؤرخ أحمد البديري : وأنا سرت مع من سار ، فوجدنا ما قاعاً نصفاً : والقنلى بها مطروحة والأبواب مكسرة والدكاكين مخربة وجدرانها مهتمة . والحاصل حالها حال تقشعر منه الأبدان وتشيب منه الأطفال . قال تعالى : وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ، ويعرفون كثير .

وأصبح نهار الجمعة ، وأهل القيديات وما بقي من دور الميدان وباب المصلى والسويقة ينقلون أمتعتهم وما بقي منها إلى داخل المدينة والقنوات وباب السريجة ، ووقع الإرجاف والخوف والهيم والغم في دمشق الشام ، وقد خافت الأكابر والعوام ، حتى أصحاب الدكاكين صاروا ينقلون ما عندهم ويضعونها داخل البيوت . وكانت الدور التي انتهت في تلك الواقعة ألفاً وتسعمائة دار . وأما الدكاكين فلا تحصى بالعدد ولا بالحساب . وصارت القبقول يأخذون الناس ويأتون بهم إلى الحاكم ويقولون له : هذا كان يقايل^(١) مع الزرب ، وهذا مع الدرور ، وهذا وهذا ، فيقلهم المسلم من غير شرع ولا إثبات . وصار كل منهم يقصد من

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

أعدائه أخذ النارات . وأما بيت القبياني فإنه وقع التذية من المسلم أن من أخذ منه شيئاً من العامة يأتي به ، فصارت العوام تأتي بكل ما أخذته من قمح ومناخ [٢٨] ودرهم ، حتى إنهم جاءوا بأكياس المال مخومة . قال المؤرخ : وهكذا تكون الحظرظ . وقد تشددت الأمور على أهل الشام وصاروا يسهرون بالليل والنهار ، والناس في هم وغم وغلاء . وفي كل وقت يقولون جاءت الدرور ، فتهرب الناس ويخلى الدكاكين ، وفي كل وقت يصير فزعة وتسكير دكاكين ، حتى انتقلت غالب الدور التي كانت خارج المدينة إلى داخلها وإلى القلعة .

وفي يوم الخميس دخل سعد الدين باشا (أخو أسعد باشا)^(١) العظم ، ومعه عسكر كالبحر الزخار ، وبلغه جميع ما صار ، فغضب على المسلم ، وأضمر له التكدير .

وفي هذه الواقعة توفي الولي المجذوب الشيخ إبراهيم الملقب بالكيمي وكان رجلاً مباركا ، وأبوه رجل من الصلحاء من محلة القبيات . وكان في غالب أوقاته يندق على يديه ويميل إلى ورائه وإلى قدمه ، وينادي بأعلا صوته : ولك^(٢) كيسي ياغراص ، وتارة يبكي ويقول ، بدى امرأة (حتى . . .)^(٣) ويقول له الناس : أى شيء لك في المرأة ،

(١) ما بين القوسين ساقط من النسخة الظاهرية .

(٢) (ولك) أو (لك) كلمة عامية شامية ، يقصد بها الدعاء أو النداء .

(٣) كلمة قبيحة رفعها ، والكلمتان ساقطتان من النسخة التيمورية .

فقال المرأة خبزة، وله وقائع وكرامات. ومن كراماته التي نقلوها عنه واشتهرت أنه رأى يوماً من الأيام رجلاً يبيع علب لبن، فصاح على صاحب اللبن وقال بدّي علبه، وصار يبكي ويدقُّ يديه، فاجتمعت الناس وأخرجوا له علبه، فقال الشيخ وهو يبكي لا أريد إلا هذه، وأشار إلى واحدة من علب اللبن، فأخرجوها له، فأخذها بيده وأفرغها على الأرض، وإذا قد نزل منها حية، فتركها وذهب. وله كرامات غيرها كثيرة. وسبب موته أنه أصابه قوأس في رجله، فصار يبكي وينادي يا أباي يا غواص، قرصتني زلقطة^(١)، ومات بعد أيام، رحمه الله تعالى.

وفي يوم الثلاثاء سادس ذى الحجة أرسل موسى كنجية متسلم دمشق الشام يرفقين دالاتية ومعهم بعض من جماعتهم، فجماعوا له ياسماعيل آغا بن الشاويش بالجنزير، وكان مقيماً في بعض القرى صوباًصيا^(٢)، ورفعه إلى القلعة. وكذلك جابر اله بأخيه سليمان آغا ابن الحملي وبأحمد آغا ابن عساكر فأوقفوهم، وذكر المتسلم أنهم كانوا مساعدين للدروز والزرب.

وفي يوم السبت كانت وقعة عيد الأضحى في دمشق الشام.

(١) نخلة برية اسمها شديد.

(٢) وجاءت في النسخة التيمورية: صوباًصيا، وكلتاها تحريف «صوباشي» وهو رئيس لمعدن الجند في القرى والأقاليم المحافظة على الأمن.

ذلك العام . وقد كانت سنة كثيرة الأموال والألام ، فقد صار فيها
جسدى كثير [٢٨ ب] حتى أفنى وأمات أولادا كثيرة
فسبحان الباقي بعد فناء خلقه .

سنة ١١٦٢

ثم دخلت سنة اثنين وستين ومائة بعد الألف ، وكانت غرة
محرم^(١) يوم السبت . والمرجو من الله تبارك وتعالى أن تكون
سنة مباركة علينا وعلى جميع إخواننا المسلمين . والآب الناس
في شدة وحصر زائد من كثرة الغلاء والشدائد . ولكن استبشرت
الناس بالخير بكثرة الأمطار التي هطلت بأول هذا العام . وقد عمل
لهذه السنة تاريخاً حسناً وفالاً مستحسناً أديب الشام الشيخ
عبد الرحمن^(٢) ، وأدرجه ضمن هذين البيتين . فقال :

عام جديد نرتجى من ربنا فيه مزيد الخير والنعماء
فعماء يغنيها بوسع فضله إذ عمنا أرخت هام فناء

وفي يوم الاثنين تلى محرم هذه السنة توفي شيخنا محدث الديار
الشامية ، بل خاتمة المحدثين ، من افتخرت به دمشق على سائر الدنيا

(١) يوافق ٢٢ ديسمبر (كانون أول) ١٧٤٨ .

(٢) هو أديب الشام وشاعرها في ذلك العصر عبد الرحمن البهلول

انظر ترجمته ص ٩ حاشية رقم (١) .

الشيخ إسماعيل العجلوني^(١) المدرس تحت قبة النسر بجامع بني أمية .
ولم يق أحد من أهل الشام من كبير أو صغير إلا حضر جنازته .
ودُفن بتربة الشيخ أرسلان ، رضى الله عنه . وعوض الإسلام خيراً .

وفي تلك الأيام توفى إبراهيم آغا آفة القبة قول المنفصل عن منصبه
أشهرأ ، وكان ديناً متواضعاً . ملازماً لصلاة الجماعة في الجامع الأموى .
رحمه الله تعالى .

وفي السابع والعشرين من المحرم أقبل جو قدار^(٢) الحج ،
وبعد ثلاثة أيام جاء كتاب الحج^(٣) . وفي ليلة الخميس دخل الحج
الشريف خامس يوم من صفر الخير .

وفي ليلة الجمعة توفى الشاب اللطيف ذو القدر المنيف والأصل
الشريف سلالة السادة السعدية^(٤) والبضعة الصديقية الشيخ بكرى
ابن الشيخ مصطفى بن سعد الدين ، لأن أباه من بيت سعد الدين ، وأمه
من بيت البكرى ، رحمه الله وعوضه الجنة آمين .

(١) في النسخة التيمورية : العجلانى . وهو أحد أعلام العلماء الدمشقيين
وخاصة في الفقه والحديث ، ظل يشغل وظيفة التدريس بالجامع الأموى إحدى
وأربعين سنة ، وكان يقرض الشعر وأكثره في مدح النضاة والفتين ، وقد ترجم له
المرادى وذكر طائفة من كتبه [سلك الدرج ١ ص ٢٥٩ — ٢٧٢] .

(٢) انظر ص ٦ حاشية رقم (١) .

(٣) انظر ص ٧ حاشية رقم (١) .

(٤) انظر ص ٩١ حاشية رقم (١) .

وفي أوائل شهر صفر وقع بيت في حارة العقبية على جماعة قتل
منهم سبعة ، ونجار رجل وزوجته ، واسمه سعيد بن الشاكوش . وفي
هاشر ربيع الأول صار برد شديد مؤلم ، وصار يباع الفهم على
الفروش^(١) ، يحملونه على رؤوسهم ، كل رطل بخمسة مصرية ،
ويدوروا به في الأسواق والحارات ، وكان ذلك قبل دخول الحسوم
بأيام . واستمر إلى أن دخلت الحسوم .

وفي سابع عشر ربيع الأول قدم جو قدارية^(٢) من إصطبول
ودخلوا على [٢٩ | أمير الحاج ووالى الشام الحاج أسعد باشا العظم ،
وأظهر أنه جاءته بشارة من الجناب العالى ، فأمر بعمل نارية التى
تسمى شنك . فتراكضت القبول والعسكر نحو السرايا ، فظنت
أهل دمشق أن حادثة وقعت ، فسكّرت البلد ، فأخبروا الباشا بذلك ،
فقال : اضربوا مدانها واعملوا شنكاً آخر ، ففعلوا . فهدأت الناس ،
وفتحت دكاكينهم . وفي تلك الأيام سكر بعض الأتراك من القبول
وجرح ثلاثة أشخاص من أهل البلد ، وبعد أيام ماتوا من أثر
جراحاتهم ، ولم تقام لهم دعوة .

وقد كثر الغلاء وزاد البلاء ، فالتجز رطاله بست مصرية

(١) جمع فرش ، ويطلق فى الشام على الوعاء الخشبى الذى تباع فوقه بعض
الأشياء ، وهو قريب مما يسمى فى مصر بالطبيلة .
(٢) فى النسخة الظاهرية : جو قدار .

وهو الدون، والوسط بثمانية مصارى، والملح بانثا عشر (كذا) مصرية .
وأوقية السمن بسبع مصارى ، وأوقية الزيت بمصريتين ، واللحم
رطله بست وثلاثين مصرية . وبنات الهوى دأرات بالليل والنهار ،
والناس فى كرب عظيم .

وفى شهر ربيع الأول وصل خبر لدمشق بأنه صار
فى طرابلس الشام غرقة أعظم من التى صارت بدمشق
المتقدم ذكرها . وذلك بأن نهر طرابلس زاد كثيراً وطاف على
أهلها حتى أغرق أكثر من خمسمائة إنسان، ما عدا الدوابّ والأنعام
والأموال ، نعوذ بالله من غضب الجبار . وفى تلك الأيام أغارت
أعدوان الظاهر عمر شيخ طبرية على جمال سائرة من الشام ، ونهبوا
أهلها وأخذوا مالها . وسبب ذلك أن فى بلاده وأرضه عرب وتركمان ،
وكان قد أمر أسعد باشا أن يغيروا عليهم، فغاروا عليهم ونهبوهم ، وأخذوا
مالهم وأغنمامهم، وقتلوا منهم جماعة، فأتوا بأغنمامهم، ففرقها الباشا على القرى
ولحامة الشام . والذى كان يساوى قرش طرحه غضباً بخمسة قروش وهكذا .
وفى هذا الشهر صار رطل الخبز من ثمانية مصارى إلى اثني عشر مصرية ،
والمعروك^(١) بسبعة عشر مصرية ، ورطل الثوم بأربعة وعشرين
مصرية ، وغرارة القمح باثنين وخمسين فرشاً ، وغرارة الذرة بثمانية
وأربعين ، والبيض كل اثنين بمصرية ، ورطل الأرز بخمسة عشر

(١) المعروك كعك يعجن فى السمن ويعنون فى الشام صنعه . وخبامة فى

مصرية ، ورطل الفحم بستة مصرية . وكل شئ زاد عن حده ،
والحسب لله في عبده .

وفي شهر ربيع الثاني قتل أسعد باشا ثلاثة أنفار من المناولة ،
وقتل البطحيش [٢٩ ب] من جماعة الزوب الأشقياء الفارين
أيام الواقعة .

وفي يوم الاثنين رابع جمادى الثانية من هذه السنة دخل قاغى
الشام السيد محمد أفندى بشمةجى زاده . قال المؤرخ (البديرى) :
وبلغنى أن حامد أفندى بن العمادى مفتى دمشق الشام كان قد خزّن
القمح مثل الاكابر والأعيان الذين لا يخافون الرحيم الرحمن ، وأن
الكيالة جاءوا إليه وقالوا : نبيع الحنطة كل غرارة بخمسين قرشاً ، فقال
لهم : مهلا فلعل الثمن يزيد . فإذا كان مفتى المسلمين ما عنده شفقة على
خاق الله فلا تعتب على غيره .

وفي هذه الأيام عملوا ديوان (كذا) ، وأخبروا أسعد باشا
بكثرة المنكرات واجتماع النساء بنات الهوى فى الأزقة والأسواق ،
وأهم ينامون على الدكاكين وفى الأفران والقهاوى . وقال (١) : دعنا
نعمل لهم طريقاً إما بترجيلهم أو بوضعهم بمكان لا يتجاوزونه ، أو نتبصر
فى أمرهم . فقال : إنى لا أفعل شيئاً من هذه الأحوال ، ولا أدهم

(١) سحتها : وقالوا .

يدعون عليّ في الليل والنهار ، ثم انفضّ المجلس ، ولم يحصل (من) اجتماعهم فائدة .

وفي تلك الأيام زاد الغلاء في بلاد الشام ، فبلغنا أن رطل الخبز في طرابلس بعشرة مصارى ، وفي غزة والرملة بخمسة وعشرين مصرية ، وفي الشام ليس واقف على سعر ، وقد زاد الغلاء^(١) والبلاء والقهر .

قال المؤرخ [البديرى] : وفي هذه الأيام اشترى أسعد باشا والى دمشق الشام أملاكا كثيرة من دور وبساتين وطواحين وغير ذلك ، وهذا تيل بنائه لداره وقيساريته . وفي ثامن جمادى الثانية من هذه السنة نزل الشعير الجديد ، فباعوا خبز شعير رطله بأربع مصارى (والأبيض بستة)^(٢) . ثم ثاني يوم خرج المنادى بأن يباع الخبز الحطة بأربع مصارى والأبيض بستة مصارى . ولم تحصل للفقراء نتيجة ، فكل يوم بسعر جديد ، والله يفعل ما يريد .

وفي يوم الخميس ثاني شهر جمادى الأولى توفي العالم الفاضل الشيخ عبد الوهاب الدالاتى رحمه الله .

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) هذه العبارة ساقطة من النسخة الظاهرية .

وفي يوم الأربعاء حادى عشر جمادى الثانية نزل القمح الجديد ، وبيعت غرارة القمح بخمسة وأربعين قرشا ، وكانت قبل نزوله باثنين وخمسين ، فصاحت العامة واستغاثت ، ونهبوا بعض الأفران ، ثم صاروا ينادوا فى الأسواق رطل الخبز بثلاثة مصارى وبأربعة مصارى ، فباعت أهل [١٣٠] دمشق جميعاً بذلك النمن ، وفرحت أهل البلد كثيراً ، فزينت البلد . وكان حضرة الوالى أسعد باشا فى جنينة أبيه فى مسجد الأقطاب قد عمل سيرانا^(١) ومعه أكابر الشام ، فلما بلغه هذا الخبر غضب غضباً شديداً ، وأمر الحاج محمود تفكجى باشى أن يأخذ أعوانه الفساق ويدور فى البلد والأسواق ، وأن يذبه على الخبازين أن لا يبيعوا رطل الخبز إلا بستة مصارى والأسود بأربعة ، وكل من خالف يأكل عاقبة ، والحذر ثم الحذر . فرجعوا للنهيج الأول ، واسود الخبز وتغير ، والله أكبر وأغبر . وفى سادس عشر من جمادى الأولى صارت غرارة القمح بستة وعشرين قرشاً ، فبيع رطل الخبز بثلاثة مصارى ، وبدت نزول الشدة بإذن الله تعالى .

وفى تلك الأيام وصل خبر إلى دمشق بأن عبد الله آغا بن حمزة وكمال خليل ، وهما من رؤوس الزر باوات المنتهزمين من دمشق قبض عليهم الظاهر عمر حاكم قلعة طبرية ، وقطع رؤسهم وأرسلهم

(١) السيران — فى تمبير أهل الشام — الزهبة فى الخلا .

إلى صيدا ، وحاكم صيدا أرسلهم إلى الدولة ، وأرسل يطلب فرمان شريف [كذا] بأن أسعد باشا حاكم الشام لا يمر في سفره بالدورة على أرض طبرية .

وفي يوم الاثنين غرة رجب الفرد من هذه السنة نادى أسعد باشا حاكم الشام وأن^(١) كل من شرب بها شق وصلب ، ثم أمر برفعها ، فرفعت من سائر قهاوى الشام وأسواقها . قال المؤرخ [البدري] : وقد صار شربها في الشام من أعظم المصائب ، فصار يشربها الرجال والنساء حتى البنات ، جزاه الله خيرا .

وفي ثالث رجب نادى الخبازة والسوقية بأن رطل الخبز بأربع مصارى والخاص بخمسة مصارى ، والذي خلط ذرة أو شعيرا بمصريتين ؛ فن كثره فرح أهل الشام سيما الفقراء صاروا يبكون ويتعجبون سرورا ، حيث فرّج الله عنهم . وقد زينت غالب أسواق الشام . وفي ذلك اليوم بيعت غرارة القمح الجيد والشعير بثمانية قروش ، وفرج الله عن عباده بمنه وكرمه .

وفي يوم الجمعة ثانی شعبان المبارك دخل خليل آغا وأحمد آغا أولاد ابن الدرزی ، وواجهوا متسلم دسحق ، فلقاهم أحسن ملتقى

(١) يبدو أن المخطوط في نسخته تنقصه هنا عبارة ترجح أنها تتضمن منع التوالى شرب القهوة أو الدخان .

وكان معهم يردى^(١) من أسعد باشا، حيث واجهوه بواسطة الشيخ
إبراهيم السعدي الجبأوى، نفعنا الله به وبأجداده، وكانوا هازبين
عند العرب، فأعطاهم الأمان، لما طاع أن ليس لهم ذنب [٣٠ ب]
بتلك الأعمال :

وكانت هلة رمضان هذه السنة، وقبل رمضان بيومين خرج
قاضي الشام السيد محمد أفندي بشمقى زاده، خرج إلى الصالحية
مع حربته، ثم رجع في وقت العصر من الصالحية وحربه معه، وهو
شاهر السلاح بيده طبنجة، وفي رجله الواحد بابوجة والثانية حافية
بلا بابوج، وقد جرح من جماعته شخصا. ولم يزل على هذه الحالة
حتى وصل إلى المحكمة، ثم تبين أنه كان سكرانا. قال المؤرخ :
قد فُحصت عن سبب نزول القاضي بهذه الكيفية، فتبين الأمر بخلاف
ما ذكرنا من كونه كان سكرانا، وإنما هو من حدة مزاج وقع منه.
والسبب في ذلك أنه كانت له سرية، وكان مغرما بها، حتى طلق
زوجته لأجلها، فأرادت زوجته أن تنسك عيشته، فيوماً من الأيام
جاء بعض ضيوف لجاريته التي يحبها، فأرادت أن تضع أمام الضيوف
طعام ودجاج [كذا] وغيره من الذي هيأه القاضي للغذاء في الصالحية،
ففتها زوجة القاضي، وكانت غير سخية، فلما جاء القاضي عرفته
جاريته بذلك، وأنها لم تضع أمام ضيوف طعاما ولا غيره، ثم صارت

(١) وصحتها: (يورولدى) بمعنى الأمر السامى .

تبكى ، وكان القاضى يحبها فوق العادة ، فقام على زوجته فطلقها ، لما قيل إن ذلك كان سبب طلاقها ، وقام على خدامه فجرد عليهم السلاح ، وأمر الحریم بالنزول ، وطالب هو المركوب ، فأبطوا ، ثم وجد فرقة فنزل بها إلى الجسر ، ثم ركب ونزل للحكمة على تلك الحالة ، فأظهرت أعداؤه أنه سكر والامر بخلافه . ثم ما كفى زوجته التى طلقها هذا الفعل ، حتى اشتكت عليه إلى الدولة العلية ، فبجاء الأمر بفرمان عزله وبغية إلى جزيرة قبرص وبضبط ماله جميعه لزوجته ، فباعوا جميع متروكاته ، وأخذوا جميع ما عنده من المال ، فبلغ ثمانية أكياس ، فأعطوهم إلى زوجته المطلقة . وكان ذلك بأمر من الدولة ، ثم تأسفت عليه غالب الناس ، غير الذين لهم أغراض : لما كان عليه القاضى المذكور من الاستقامة والقناة والتواضع والسخاء الكثير ، حتى إنه فى شهر رمضان كان يأكل قطار من السمن ومن الأرز مثل ذلك ، ومن اللحم كذلك ، حتى إنه على الأكل يوجد عنده فى رمضان نحو ثلاثين ما عدا الفقراء . ولما كان لا يأكل الرشوة ولا يميل فى دعوى مالت أهل الشام عليه مع زوجته ، حتى سعوا بعزله كما هى عادتهم قديما .

وفى يوم الأحد متصف شوال جاءت [١٣١] خزنة مصر إلى الشام . ويوم الاثنين سادس عشر شوال خرج المحمل الشريف بأمره الحاج أسعد باشا بن إسماعيل باشا العظم ، وقد كانت هذه هى الحجة

السابعة لحضرة أسعد باشا المذكور . وقد كان أبوه إسماعيل باشا^(١) حج^٥ ستة . وهذه الحجة بهذه السنة هي السابعة لأسعد باشا . وثاني يوم خروج المحمل شق المتسلم اثنان [كذا] من الأشقياء اللصوص ، لهم وقوعات كثيرة ، ثبت أخيراً أنهما نزلا داراً ليلاً ، فسرقا جميع ما فيها من غان الثمن ، وادم أحدهما شيخ التكية .

وبعد خروج الحاج الشامى بأربعة أيام خرج السيد يونس شريك أسعد باشا بقافلة عظيمة ومعه جماعة كثيرة ، ولحقوا الباشا والحاج إلى المزيب .

وفي هذه السنة جدد أسعد باشا في مدرسة أبيه إسماعيل باشا التي في سوق الخياطين الحجرات الفوقانية ، وجعل في قلبها جامعاً وخطبة ، ورتب أجزاء [من القرآن] وشوربة وزيتاً وغير ذلك . جزاه الله خيراً .

وفي ناسع ذى القعدة سافر القاضي المتقدم ذكره لصيدا ، يريد قبرص بنية النبي لها ، وخرجت بعض الأكابر لتوديعه . وفي خامس عشر ذى القعدة جرت جرسوا ثلاثة أشخاص ودورهم في كل البلد مسخمين الوجوه راكبين على حمير بالمقلوب . فسألنا عن السبب ، فقيل إنهم

(١) إسماعيل باشا العظم هو أول ولاية دمشق من آل العظم ، تولى علمه سنة

يُسكُون الفلوس الرملية^(١) ، وهي عُش . فكان أحدم كردى
والثانى داغستانى .

وفى ذلك اليوم أمر الحاكم بأن يخرجوا بنات الهوى ، وهم
الشامكات ، من البلد إلى خارج البلد ، وأظهر نه يريد أن ينفين
إلى بلاد أخرى ، ونبه على مشايخ الحارات أن من وجد فى حارته
ذو شبهة لا يلومن إلا نفسه ، ثم نادى إن النساء لا يسبلن
على وجوهن مناديل ، إلا حرم الباشا ونساء موسى كخيبة . ثم شرع
أعوان الحاكم بالتفتيش وشددوا ، فانفجرت بعض الكربة ، ثم
مابقى هذا التشديد غير جملة أيام ، إلا وقد رأينا البنات المذكورات
يمشين كعادتهن فى الأزقة والأسواق وأزيد ، ورجعن إلى البلد
ورتب الحاكم عليهن (فى كل شهر على كل واحدة عشرة غروش
وجمل عليهم) شوباصيا^(٢) ، بل قطع من الناس وساب
وأنه المستعان .

وفى يوم الثلاثاء دخل سعد الدين باشا أخو أمعد باشا بن العظم
إلى الشام بوكب عظيم ، (لأنه سر دار الجردة وأميرها [٣١ ب]
وقد سار بها فى السنة الماضية)^(٣) .

(١) هى الفلوس الزيفة التى سُكّت بطريقة الصب فى قوالب رملية ، وذلك لأن
الفلوس الصحيحة كانت تضرب ضرباً ضمن قالبين من فولاذ فى معامل السكة التابعة للدولة

(٢) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية . انظر عن الصوياشى

ص ١٢٢ حاشية رقم ٢ .

(٣) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية .

سنة ١١٦٣

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة وألف ، وكان غرة محرم^(١) يوم الخميس . والبرد كثير والغلاء باقى لم يزل . وظل الخبز بخمسة مصارى ، ورطل الأرز باثنتى عشر مصرية ، ورطل اللحم بأربعة وعشرين مصرية ، ورطل الفجج بثلاثة مصارى ، ورطل الدبس بثمان مصارى ، وأوقية السمن بخمسة مصارى . والجليد الذى صار فى هذه السنة ما سمعنا مثله . نسأله تعالى اللطف .

وفى منتصف محرم من هذه السنة توفى العالم العامل الشيخ محمد الديرى^(٢) وكان يدرس بالجامع الاموى رحمه الله تعالى . وبعده بيومين توفى الشيخ العالم الزاهد منلا^(٣) عباس الكردى خليفة شيخه منلا إلياس الكردى^(٤) ، وفى مكانه بجامع العداس رحمه الله ودفن بسفح جبل قاسيون . وفى ثامن وعشرين من المحرم توفى الشيخ عيسى إمام صلاة الأولى بجامع بنى أمية فى محراب السادة الشافعية .

(١) يوافق ١١ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٧٤٩ .

(٢) ترجم له المرادى بإيجاز فى سلك الدرر ٠٠٠ ج ٤ ص ٣٠ .

(٣) كان يطلق على العالم من الأكراد لقب (منلا) .

(٤) الملا (أو الملا) إلياس من كبار متصوفة الأكراد ، كان له صيت ذائع

وأمن الناس بكراماته وهابه الحكام على تعفّف منه ، مات سنة ١١٣٨ بعد أن تجاوز المائة عام ، ورثاه الشيخ عبد الغنى النابلسى وكثير من أدباء عصره :

انظر : المرادى ج ١ ص ٢٧١ — ٢٧٣ ، للقار ص ٦٢ .

كان رحمه الله رجلاً صالحاً حسن القراءة حسن الصوت، يلبس دائماً ثياباً بيضا، وعمامته من صوف أبيض. وكانت جنازته حافلة لم يتخلف عنها إلا القليل، ودفن بآبئة البرامكة قبلى المرجة، رحمه الله.

وفى ذلك اليوم كسفت الشمس، وبقيت مكسوفة نحو ثلاث ساعات، وصلى الناس صلاة الكسوف بجامع الأموى.

وكان دخول الحاج الشريف تلك السنة نهار الأربعاء خامس صفر. وثانى يوم الخميس دخل أمير الحاج أسعد باشا بموكب المحمل الشريف. وهذه السنة السابعة من حجائه المتواليات. وقد ذكرت الحاج أن هذه السنة من أيمن السنين وأحسنها وأرخصها ذهاباً وإياباً. ودخل حضرة سعد الدين ناشا مع أخيه أسعد باشا وهما فى غاية الصحة.

وفى خمسة وعشرين محرم شفق متسلم الشام موسى كيجية خمسة أنفار من الدروز الأشقياء. وفى تلك الأيام مات قاضى مكة ودفن بباب الصغير. ويوم الأحد ثالث وعشرين صفر توفى الوالى الزاهد الشيخ محمد بن عبد الهادى العمرى، وصلوا عليه فى الأموى، ودفن فى مرج الدحداح. وكانت جنازة غاصّة بالرجال والنساء، رحمه الله. وفى الخامس والعشرين من صفر شفق الباشا ثلاثة رجال، جاءوا بهم

أهل دوما^(١) إلى الوالى أسعد باشا، وأخبروه أنهم وجدوا معهم خرج
[كذا] فيه متاع لقفطجى^(٢) السلطان، فأمر بصلابهم . وفى يوم السبت
سليخ [١٣٢] صفر سافر سعد الدين باشا لمحل مأموريته التى هى
طرابلس . وفى تلك الايام توفى الشيخ مصطفى الكردي الذى كان
قاطناً بمدرسة سليمان باشا ابن العظم ، وكان فقيهاً فاضلاً دينياً ، ودفن
فى سفح قاسيون رحمه الله . وبهذه الايام أيضاً توفى نجيب أفندى
السفر جلانى ، وكان من صدور أكابر دمشق ، وصار له مشهد عظيم
ودفن بمقبرة باب الصغير . وتوفى أيضاً بتلك الايام فى أوائل ربيع
الأول من هذه السنة توفى الشيخ الصالح العالم الشيخ مصطفى بن الشيخ
شعيب من محلة باب السريجة ، وصار له مشهد عظيم بالاعلام ،
وخرجت بجنائزه جميع مشايخ الطرق ، ودفن بباب الصغير ،
رحمه الله .

وفى تلك الايام توفى، أيضاً الوالى الزاهد . من غابت عليه الجذبة
الإلهية، السيد الشيخ مصطفى بن الشيخ مراد، وكانت الدولة والقبول فى
الشام وإسلامبول إلى ابن أخيه السيد على أفندى ، وخرجت جميع
الأعيان بجنائزه ودفن بباب الصغير رحمه الله . وفى ليلة الاثنين توفى
الولى الكامل ذو الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة ، من قد

(١) قرية فى ضواحي دمشق .

(٢) قد تكون تحريفاً لكلمة قفطنجى أى حامل قفطان السلطان أو خلعتة .

خلع العذار وتسأوى عنده الليل والنهار ، وشرب من خمر شراب الجبار ، وأعطى درجة القبول عند الكبار والصغار الشيخ محمد جبرى ، وقد كان أحياناً يغيب وأحياناً يحضر ، وأحياناً يسكر ، وقد كان له جماعة وتلامذة ، وكان فى درجة الشيخ أحمد النحلاوى ، وقد كان يتردد عليه أيام حياته ، ولما توفى النحلاوى لازمه جماعة من فقراء الشيخ صاروا يدوروا معه ويأتوا معه أين ما بات . وكانت وفاته ياب السريجة ، وصار له مشهد عظيم .

وفى منتصف سعد الذابج^(١) جاء الثلج يومان وليلتان بلا انقطاع ولم يعقبه مطر ، وبقي على الأساطيح وفى الأزقة أكثر من عشرين يوماً ، حتى صار رطل الفجم بنصف قرش وبثلث ، ورطل الخبز من أربعة مصارى إلى ثمانية ، وأوقية السمن بخمسة مصارى ، ورطل اللحم بثلاثين مصرية . والحاصل كل شئ غالى ، والحلق فى تعب بال .

وفى تلك الأيام قتل قبولى رجلاً شريفاً بعد المشاء ، فاشتكت والدة القتيل للوزير أسعد باشا ولازمته ، فأمر بإحضاره فقبضوا عليه بعد ما هرب ، فأمر الوزير بخنقه ، فخنق بالقلعة .

(١) يقسمون - فى سورية - خمسينة الشتاء ، وهى الخمسون يوماً التى تتلو مرمانية الشتاء ، إلى أربعة سمود ، كل منها مائة اثنى عشر يوماً ونصف يوم ، وهى : سعد الذابج ، وسعد باع ، وسعد السمود ، وسعد الحبايا .

وفى [٣٢ ب] تلك الأيام توفى الشاعر الأديب والفاضل
البيب من لم ينسج في زمنه شاعر على منواله الشيخ عبد الرحمن
البهلول^(١) رحمه الله تعالى ، ودفن بباب الصغير قبالة بيوت
النحانة^(٢) من جهة الشاغور . وهذا البهلول صاحب القبول هو
صاحب القصيدة التي مدح بها الأستاذ الشيخ عبد الغنى النابلسي
المخوية على أكثر من مائة تاريخ في كل شطر منها تاريخ^(٣) . ولما قدم
القصيدة لأستاذه المددوح ورأى حضرة الشيخ أنها فريدة
في بابها بهذا النسق المدهش العجيب قال له : لقد استخرنا الله
تعالى يا شيخ عبد الرحمن وعملائك شيخ الأدب في الشام .

ونهار الاثنين خامس عشر ربيع الأول وقع سقف السوق
الضيق خلف الجامع الأموي الذي فيه القهوة . وكان وقوعه بعد
صلاة الخنفي^(٤) . وكان تحته جماعة مات منهم أربعة أشخاص
وهشم جماعة .

-
- (١) انظر موجز ترجمته في ص ٩ الحاشية رقم [١] من هذا الكتاب نقلا عن
ترجمته المطولة في سلك الدرر للرداى ج ٢ ص ٣١٠ - ٣١٧ .
- (٢) لا يزال حى النحانة موجودا في الشاغور .
- (٣) تجد هذه القصيدة في تاريخ الأمراء الشهابيين للأمر حيدر أحمد الشهابي
ج ١ ص ٢٢ - ٢٨ وتتألف من مائة بيت وثمانية أبيات .
- (٤) في المسجد الأموي أربعة أئمة للصلاة يتوالون في أداء كل فريضة ، والقصد
هنا صلاة الإمام الخنفي .

قال المؤرخ أحمد البديري : وفي يوم الخميس ثامن عشر ربيع
الأول خرجنا إلى سيران بناحية الشرف المطال على المرجة مع بعض
أحبابنا . وكان الوقت في مبادئ خروج الزهر ، وجلسنا مطالين
على المرجة والتكئة السليمية ، وإذا بالنساء أكثر من الرجال
جالسين على شفير النهر ، وهم على أكل وشرب ، وشرب قهوة وتبن^(١) .
كما تفعل الرجال ، وهذا شئ ما سمعنا بأنه وقع نظيره حتى شاهدناه
ولا حرج ولا قوة إلا بالله . قال المؤرخ : ثم لم ينزل في سرور
وانبساط ، حتى أنشدت هذا المواليا فقلت :

مضى لنا يوم مثله ماسبق ياخال

في مرجة الشام ما تشوفون . ووضع خال

ملا خميس^(٢) . مضى ما صادفه أرزال

في ثامن عشر ربيع الآخر راح البرد

ياهل الأدب أرخوه الضيق عنكم زال

(١) الطباق .

(٢) (مِلا) كلمة شامية عامية مركبة من [من إلاً] إذا أراد أحدهم أن
يدى عجباً أو ازدراءه أحياناً من شئ لم يجد له مثيلاً يقول : مِلا ففكرة ، أو
ملا سيران . والبديري هنا يقصد أنه لم يجد خميساً كذلك الخميس الذي خرج فيه
للزفة ولم يعادف فيه أرذالا .

وفي ذلك اليوم وقع رجل مमारى من سطح سوق الخياطين ومات لوقته . وثانى يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الآخر من الشيخ محمد بن جقيجه في العمارة وحامل بيده قرنيط إذ سقط على الأرض بلا روح ، وحمل لداره ميتاً ، رحمه الله .

وفي تلك الأيام أخذ أسعد باشا دار معاوية رضى الله عنه ^(١) ، وأخذ ما حولها من الخانات والدور والدكاكين وهدمهم (كذا) وشرع [١٣٣] فى عمارة داره السرايا المشهورة ^(٢) التى هى قبلى الجامع الأموى ، وجدّ واجتهد فى عمارتها ليلا ونهارا ، وقطع لها من جملة الخشب ألف خشبة ، وذلك ما عدا الذى أرسلوه له أكابر البلد والأعيان من الأخشاب وغيرها ، ورسم على حمامات البلد أن لا يباع قصر مل لأحد ، بل يرسل لعمارة السرايا ، واشتات بها غالب معلى البلد ونجارها ، وكذلك الدهانين ، بل قل أن يوجد معلم متقن أو نجار أو دهان كذلك إلا والجميع مشغولون بها ، وجلب لها البلاط من غالب بيوت المدينة ، أينما وجد بلاط أو رخام وغير ذلك ، مثل هواميد وفساقي يرسل فيعلمهم ويرسل القليل من منهم .

(١) رحمه الله فى النسخة التيمورية .

(٢) انظر فى وصف تلك الدار التى افتن أسعد باشا فى تشييدها بحثا للدكتور صلاح المنجد فى مجلة الأديب عدد أيلول ١٩٤٦ ، Palais Azem : Ecochard ، de Damas . وقد نقل المرحوم الأستاذ محمد كرد على عن البديرى (وقد دعاه ابن بدير) وصفه للقصر . [انظر خطط الشام . الجزء الخامس ص ٣٠٤ - ٣٠٥] - ولا يزال هذا القصر من أبداع الآثار الإسلامية بدمشق .

وكان في قرب ربة البرامكة قصر يقال له الزهرابية، قيل هو من عمارة الملك الظاهر وهو على ظهر بانياس^(١) مطل على المرجة، وكان مكان منزله عظيم تهدم غالبه. وفي قربه مدفن وعليه قبة من حجر ورأس القبة مقلوع، وفيه وهدة قيل إنه كان في رأسها^(٢) خبية قديماً فأخذت. قال المؤرخ: وما بلغني عن سبب أخذها أنه كان مكتوباً على باب جدار القبة هذا المواليا:

دارى زمانك وصحبتك ثم داريتها
وتجنتب الناس عاليها وواطيتها
وان سألوك عن عيوب الناس غطيتها

العقل في الراس قاضيتها زوالها

وكان كل من يقرؤه يتخيّل شيئاً، إلى أن جاء صاحب النصيب ليلاً وصعد إلى أعلا القبة وحفرها وأخذ ما فيها، ولم تزل بلا رأس إلى زماننا هذا، إلى أن أخبروا حضرة الوزير أسعد باشا العظم صاحب العمارة عن هذه القبة وعن المدفن الذى بجوارها، وأن الأراذل والأشقياء يجتمعون عندها هناك ليلاً ونهاراً على فسق وفساد وغير ذلك، فأمر بهدمها حالاً ونقل حجارتها إلى داره.

(١) أحد أنهار دمشق السبعة.

(٢) وعاء عميق من غفار.

وفي تلك الأيام بلغ حضرة الوزير أسعد باشا أن في دار ابن
كيوان^(١) طاحونة قديمة ، يقال لها طاحون الرهبان ، قد تهدمت ولم
يبق منها سوى [نهر بانياس]^(٢) رسوم أسفلها ، وأنها مركبة على
بانياس ، فخالاً أمر حضرة الباشا بقطع نهر بانياس [٣٣ ب]
وأن يخرجوا جميع ما فيها من أعمدة وأحجار وينقلوهم إلى الدار .
فاشتغلت الفعالة والحجارة والبساتنة ، واستقاموا يقامون الأحجار
وينقلونها إلى دار الباشا اثنا عشر يوماً ، والنهر مقطوع عن أصحابه .

وفي يوم الخميس سادس وعشرين ربيع الثاني من هذه السنة
عمل حسن أفندي السفرجلاني وليمة لحضرة أسعد باشا وإلى الشام
بالصالحية في قاعة ابن قريق . وكانت ضيافة عظيمة ، قيل تكلف
عليه نحو إحدى عشر مائة غرش . فنظر حضرة الباشا إلى سروات
شاهقات في داره ، فطالب من صاحبهم على أغا بن قريق قطعهم لأجل
عمارة داره ، وعرض أسعد باشا صاحب العمارة عليه شيئاً من المال ،
فأبى أن يأخذ من ثمنهم شيئاً ، وقطع له ثلاث سروات ليس لهم
نظائر في الشام ولا في غيرها . ونقل من قرية بصرى أحجاراً
وأعمدة من الرخام شيئاً كثيراً ، وأخذ من مدرسة الملك الناصر

(١) وردت هكذا في النسخة الظاهرية وفي النسخة التيمورية [وادي كيوان]
وزجح أنها [دار ابن كيوان] وكيوان كان من رؤساء الجند المشهورين في دمشق
في القرن السابع عشر .

(٢) هذه زيادة في النسخة الظاهرية ولا يستقيم المعنى بها .

أنتى فى الصالحية أعمدة غلاظاً جبيهم محملين على هربات تجمر بالبقر .
وهدم سوق الزنوظية الذى فوق حارة الهارة ، وكان كله أقيية معقودة ،
فأمر بفكه ونقله إلى داره المشار إليها . ونقل إليها أيضاً أعمدة من
جامع يلغا ، وأنه مهما سمع بيلاط بديع أو أعمدة أو أحجار من أى
محل كان يأتى بها شراء وغير شراء .

قال المؤرخ أحمد البديرى عفا الله عنه : وفى تلك الأيام قتل ابن
خطاب الدالانى فى سوق البزورية وقت ^(١) أذان العشاء ، جاء ضرب
سلاح على رأسه : أخذ نصف رقبته مع رأسه ، فوقع قتيلاً كأنه ما كان .
هذا وزير الشام مشغول فى عمارة داره ، ولم يلتفت إلى رعاياه وأنصاره
ويقول : اتتوى بحجارة المرمر والرخام والسرو ، وتفتنوا بالبناء
والنقوش والتحلية بالذهب والفضة ، وجاب عواميد الرخام على
العجلات والبقر من بصرى ، وخرب سوق مسجد الأقباص ، واستجاب
جميع ما فيه من أحجار وأخشاب ، وكل ما سمع بقطعة أو تحفة من
رخام أو قيشانى أو غيرها يرسل فىأتى بها إن رضى صاحبها أو أبى .
وإذا أراد الفقير أن يعمر أو يرمم لم يجد معمارياً ولا نجاراً ولا خشباً
ولا مسباراً ولا تراباً ولا قصرمل ولا أحجار ، وهذا مع غلاء
الاسعار وحلول الأكدار . وقد أخذ حضرة اليشا قدراً وافياً من

(١) جاء مكانها كلمة [محل] فى النسخة الظاهرية .

[١٣٤] ماء القنوات ، فأوصل إلى السرايا حتى تقطعت السبل ومياه
غالب الجوامع والحمامات ، وبقي مدة مقطوعاً حتى عن غالب البيوت .

وفي تلك الأيام عمل هلى أفندى المرادى ضيافة لحضرة أسعد باشا
في قرية ببيلة في طريق قبر الست ، وكانت ضيافة حافلة
في الغداء والعشاء .

وفي تلك الأيام أيضاً أمر حضرة الوزير أسعد باشا العظم متولى
الجامع الأموى الشيخ اراهيم الجبارى السعدى بأن يصلح أحوال
الجامع المذكور ويتفقد مصالحه . فخالوا باشروا بترميم المثانة الغربية .
وأزالوا ما فيها من الأحجار العاطلة ، وأزالوا ما به من الحصر
والطنافس العتق ، وفرشوه فرشاً جديداً بهمة حضرة الباشا .

وفي يوم الاثنين سادس جمادى الأولى خرج الحاج أسعد باشا
وعمل سيراناً في أرض الغوطة ، ودمه أكابر دمشق وأعيانها .

وفي يوم الجمعة عاشر يوم من جمادى الأولى والناس في صلاة
الجمعة ، أتى رجل نفسه من قاعة دمشق إلى جهة قهوة المناخية ، فتمكثرت
يديه [كذا] ورجليه ، وسبب حبسه أنه أتهم باقتضاض بنت .

وفي تلك الأيام بشر آذار الرومى ثار ريح شديد عاصف
ما سمع بمثله ، تزلزلت فيه أقطار الشام ، حتى ظن الناس أن القيامة قد
(١٠٢ - دمشق) .

قامت ، وأعقبه برد ومطر شديد متراسل إلى آخر الليل وفي تلك الأيام جاء رجل من الأتراك إلى دمشق ، ومعه صحن من نحاس يضمه على عود ويفتله عليه ، ويحذفه إلى أعلا قامتين ، ويتلقاه على العود وهو يفتل ، وينقله من إصبع إلى أصبع وهو دائر يفتل ، ويلم فلوساً من المتفرجين . ثم صارت أولاد الشام تفعل كفعله ، فتعجب من ذلك وذكر أنه دار بلاداً كثيرة في الدنيا ، وما قدر أحد أن يفعل كفعله ، ثم سافر ولم ير بعد . وأغرب من ذلك أنه جاء رجل أيضاً من أبناء الترك قبل الذي ذكرناه^(١) يصفق بأصابعه ، يضرب بالواحدة على الأخرى ، ويدق برجله على الأرض دقا محكماً ، ويعنى بالتركي والعربي ، فتجتمع عليه الخلق ويمطونه فلوساً . فصارت أولاد الشام الصغار تفعل كفعله وأحسن . وذكر أنه دار في الدنيا مدناً كثيرة فلم يتعلم هذه الصنعة سوى أولاد دمشق ، واندھش من ذكائهم^(٢) .

وفي جمادى الآخرة قُتل رجل في محلة العقبية ، فسألت عن السبب ، فقيل إنه رجل [٣٤ ب] يشتغل بالفرن ، فضى إلى فرنه آخر الليل وسكر ياب داره وترك زوجته نائمة ، فلما وصل إلى فرنه واستقر برهة ، جاءه نذير ، وأخبره أنه رأى رجالاً دخلوا داره ، فجاء يعدو بالحال ، فوجد السكره ، مفتوحة ، فجنس الباب فوجده مدربسا ، فصاح على

(١) ذكره : في النسخة الظاهرية .

(٢) بذكائهم : في النسخة الظاهرية .

زوجته فأجابته ، فقال لها من عندك ، فصاحت : واعرضاه من يكون
عندي ، فقال لها افتحي الباب ، فتعلت بعدم قدرتها على فتح الباب ،
فصاح بشدة ، وإذا قد فتح الباب وخرج منه رجال ، فضربه أحدهم
بطبخة جاءت في صدره فقتلته حالا ، فلما طلع النهار أخبروا
حضرة وزير الشام أسعد باشا ، فأحضر المرأة بين يديه ، وسألها
فأنكرت فأمر بحبسها ، فحبست وذهب دم زوجها هدرا .

وفي تلك الأيام أيضا جىء لحضرة الوزير أسعد باشا بامرأة قتلت
زوجها ، فسألها عن السبب ، فقالت له إنه تزوج هلى ، فلما كانت ليلى نام
وتركني ، فقممت وقطعت ذكره ، وقلت لالى ولا لها ، فمات من ذلك .
فضحك حضرة الوزير ، ولم يفعل بها شيئا سوى أنه أمر بحبسها .

وفي اليوم الحادى والعشرين من جمادى الثانية من هذه السنة
ذهب والى الشام أسعد باشا الى الدورة ، ومتسلبه موسى آغا كنجية .
فثنى يوم من ذهاب الباشا شفق متسلبه المذكور اثنين ، قيل إنهم متاوله
كانا يقطعان الطريق ، ثم نادى أن لا أحد بعد صلاة العشاء يخرج
لابضوء ولا بلا ضوء . وهذا شىء ما سبق قط . ثم صار بنفسه
يدور بالليل ، وكان من الجبايرة . وبهذه السنة ثبت أول رجب السبت
وليلة نصف شعبان كانت ليلة الاثنين ، وأول رمضان كان الثلاثاء .

وفي سادس عشر رمضان دخل ركب الصرة أميني^(١)؛ ودخلت أيضا خزانة مصر إلى الشام . وفي الحادى والعشرين منه دخلت البطنجية . وفي ليلة الرابعة والعشرين بعد صلاة التراويح قتل كردى يقال له كرا مصطفى فى الحدرا^(٢)، ولم يُعلم غرعه، فآتهموا فيه رجلاً بغدادياً، فتسلحت الأكراد، ونزلت حتى وصلت إلى الدرويشية وباب الجابية لعلمهم بضادفون أحدا من البغادة ليقنلوه فلم يجدوا، وكانت الخلائق فى الدرويشية صفوفاً وألوفاً، فمهموم الأكراد تفرقوا وهربوا، ودخل الخرف والرعب فى قلوب الناس، وإلى [١٣٥] الله المصير .

وبعد ثلاثة أيام حضر الباشا من الدورة^(٣)، وكان دخوله مع أذان المغرب .

وفى سلخ رمضان يوم الوقفة قتل الأكراد اثنين من البغادة لاخذ نار القنيل الكردى الذى قدمنا ذكره، فتسلحت البغادة والموصلية وساعدتهم التفكجية والتقبول، وطالبوا خان الأكراد، فرمى الأكراد عليهم طلقاً من الرصاص، فقتلوا جماعة وجرحوا، فرجعوا على الأكراد، ونهبوا بعض قهواتهم، وأرادوا أن يعملوا جمهورية [كذا] ويقيموا فتنة فى البلد، فهامهم حضرة الوزير حفظه الله عن ذلك،

(١) أى أمين الصرة، وهو الذى يسافر بالأموال المخصصة للحرمين .

(٢) فى النسخة التيمورية: قره مصطفى فى الحداد .

(٣) هذه العبارة مضطربة فى النسخة الظاهرية .

بقيت الأمور مطوية . وكان عيد الفطر يوم الأربعاء ، وقد صمنا
رمضان تماما ، بعد ما كنا صمناه أعواما ناقصا . وبعد أيام رحلت
خزنة مصر إلى إصطنبول .

وفي سابع عشر شوال رحل أمير الحاج بالمحمل الشريف
والموكب المنيف الحاج أسعد باشا العظم . وهذه السنة هي الثامنة
من حجاته المتوالية . وثاني يوم جاء الحاج الحلبي . وفي الحادي
والعشرين من شوال رحل الحاج الشامي والحلبي من الشام .
وبعد خمسة أيام جاء حاج من العجم ، وتبع الحاج إلى المزيرب من
جهة اللجاة ، ورحل الحاج من المزيرب يوم السابع والعشرين
من شهر شوال .

وبعد رحيل الباشا نادى المتسلم على الفلوس الرملية^(١) كل إحدى
وعشرين فلساً بمصرية ، وأطلق البغدادي الذي آثم بقتل القرا
مصطفى الكردي ، وكانوا قد رفعوه للقلعة ، وبعد إطلاقه بأيام
سكر وعربد وضرب حمارين فقتلتهما ، فاخبتات البلدة ، وأرسل
المتسلم في طلبه ، فهرب ولم يظهر له أثر ، ولا وقفوا له على خبر ،
فقبضوا على مملوك له فخنقوه .

(١) مرّ بنا [ص ١٣٤] أن الفلوس الرملية كانت تتبر عملة زائفة وقد عوقب مزيفوها
ويدو أن هذه العملة (الزيفة) قد انتشرت في ذلك الوقت لدرجة أن الحكومة
سكّرتها، فحلت ٢١ فلساً منها يساوي مصرية ، بينما ٩٠ من الفلوس (الصحيحة) تساوي
مصرية . انظر فيما سبق ص ١٠٨ .

وقبل خروج حضرة أسعد باشا إلى الحاج الشريف بثلاثة أيام
انتهت عمارة دار الباشا ، التي هي للحريم ، وفرشت بأحسن
المفروشات ، ونقل حرمة إليها :

وفي تلك الأيام حصات وقعة عظيمه بين الدروز والمناولة ،
ومع المناولة أيضاً أولاد الضاهر عمر حاكم طبرية^(١) ، وقتل من
الفريقين ، وحصر واقتل الدروز ، فكانوا أمحوا من تسعمائة قتيل ، وهي
فتنة كبيرة^(٢) . وفي يوم السبت خامس ذى القعدة^(٣) ضربت مدافع
فسألنا عن الخبر ، فقبل جاء من الساطنة مقرر إبقاء [٣٥ ب] أسعد
باشا العظم والى الشام .

قال المؤرخ البديري : وفي ليلة الأربعاء لعشرين مضت من
شهر ذى القعدة من هذه السنة تُوفى الشيخ إسماعيل^(٤) بن شيخنا ،

(١) كان أمير المناولة وكبيرهم في ذلك الوقت ناصيف النصار (من بيت علي
الصغير) وبلادهم بلاد بشارة بين الشوف وصفد . وكانت العلاقات في أول الأمر
عدائية بين المناولة والشيخ ظاهر ، وبعد أن انتصر عليهم وانزع منهم بعض بلادهم
عقدت بينهم محالفة مشتركة موجبة ضد باشا الشام . [الصباغ ص ٣٩ - ٤١]

(٢) يرجع إلى تاريخ الأمير حيدر الشهابي ج ١ ص ٤١ إلا أنه أخطأ
فذكر سليمان باشا مكان أسعد باشا .

(٣) في النسخة الظاهرية : خامس عشر ذى القعدة .

(٤) ترجمه له الرادى ترجمة مختصرة : سلك الدرر ج ١ ص ٣٥٦

وأستاذنا الشيخ عبد الغنى النابلسي ، مات عن ثلاثين ولدا من بنيه وأولاد بنيه ، وعمر سبعة وسبعين سنة ، لأن مولده سنة خمس وثمانين بعد الألف (ووالده الأستاذ مولده سنة خمسين بعد الألف ووفاته سنة ثلاث وأربعين ومائة بعد الألف) ^(١) فيكون عمر الأستاذ والده ثلاثا وتسعين سنة ، وكانت وفاته بالصالحية ودُفن بداره فيها . وأما ولده الشيخ إسماعيل هذا فكانت وفاته في دارهم التي في العبرانية قبلي الجامع الأموي ، وُحِّل نعشه للصالحية ، ودُفن في دار أبيه بجانب ولده الشيخ طاهر ، رحمهم الله تعالى ونفعنا بركاتهم أجمعين .

سنة ١١٦٤

ثم دخلت سنة أربعة وستين ومائة وألف . كانت هلة المحرم ^(٢) نهار الثلاثاء ، جعلها الله سنة خير وبركة علينا وعلى المسلمين .

وفي ستة وعشرين من المحرم جاء جو قدار الحج الشريف ، وبُشر عن الحج بكل خير من كثرة الرخص والمياه وغير ذلك والله الحمد . غير أن الغلاء لم يفارق الشام ، فقد دخلت هذه السنة ورطل الخبز بخسة وبسته مصارى . ورطل الأرز بعشرة مصارى ، ورطل اللحم بثمانية وعشرين مصرية ، ورطل الدبس بتسع مصارى ، وأوقية السمن بستة

(١) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية .

(٢) توافق ٣٠ نوفمبر (تشرين ثان) سنة ١٧٥٠ .

مصارى ، والعملة مغشوشة ، والفلوس غير منقوشة ، والنساء بأحت
والرجال ساحت ، والحدود طاحت ، والأكابر مشغولة ومرودة
الرجال مغلولة ، إلى آخر ما قال المؤرخ .

وفي تلك الأيام جاءوا بأربع رؤوس من العرب قطاع الطريق ،
أتى بهم عيسى بنه الحبش ، أحد الزربابوات الهاريين ، ففُعي عنه
لأجل ذلك .

وفي تاسع وعشرين محرم جاء كَتَّاب الحج ، وذكر أن هذه
السنة هي أرمح وأجود السنين في أيام الحاج أسعد باشا والى الشام
حفظه الله . غير أنهم جاءهم سيل عظيم في عسفان أوقفهم أياما ، ثم
أمر الباشا بأن يمدوا في المسير حتى ترك من العشرة اثنين ، هكذا
ذكر لي بعض الحجاج . ودخل الحاج يوم الأربعاء ثاني صفر .
وثاني يوم الخميس دخل المحمل الشريف ، وأسعد باشا [١٣٦] وأخوه
سعد الدين باشا سردار الجردة بالموكب العظيم . وثامن (صفر)
دخل قاضي الشام عبد الله أفندي سعيد زاده ليلاً وعليه جلالة وهيبة
ولم يتكلم يقال وقيل . وبلغنا أن عثمان باشا المحصل حاكم جدة مات
ودفن بها .

وفي تلك الأيام من هذه السنة جاء منصب حلب إلى سعد الدين

باشا أخو أسعد باشا، فتحوّل من طرابلس بعياله وذهب من دمشق إلى حلب، وقد أشاعوا أن سلفه حاكم حلب^(١) كان ظلماً غاشماً، وقد خرب قرايا كثيرة، وعمر عمائر كثيرة، أخذ غالب مصارفها من أهل حلب، وبني بها جامعاً يدهش الأبصار.

وبعد مجيء الحاج أسعد باشا من الحج الشريف وجدنا داره قد تمت عمارتها، فلما دخلها زاد فرحاً وابتهاجا وسروراً، فذبح الذبائح وأعطى المنائح، وأقام بها بلدة هيش، وبلغه مجيء تقريره في الشام، فازداد شكراً مولى الأتام. غير أن أهل الشام في أكدار من غلاء الأسعار، وبخل التجار وانفساد الأحرار وضعف الصغار، وعدم زحمة الكبار، والحكم لله الواحد القهار. فاقصد صار رطل اللحم الشامى بقرش، ورطل السمن بقرش ونصف، (ورطل لحم الجاموس بأربعة وعشرين مصرية، والسمنك مثل ذلك^(٢))، ورطل لحم الجمل بثمانية عشر (مصرية)^(٣)، وأوقية الرز بمصرية، وأوقية الدبس بمصرية، والبيض بمصرية، والعسل الأوقية بشاهية. ورطل الخبز بستة مصارى، والناس في أسوأ الأحوال.

وفي تلك الأيام وقع بيت بباب السريحة على امرأة وصبي صغير

(١) هو إسماعيل باشا عثمان باشا زاده. وقد نقل إلى طرابلس مكان سعد الدين باشا العظيم [الغزى نهر الذهب في تاريخ حلب ج ٣ ص ٣٩٩].

(٢) العبارات بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية.

وفي تلك الأيام أيضا قتل كردى زوجته فى مخلة سوق ساروجا .
وسبب ذلك أنه كان حاجاً ، ولما جا وجدها متغيرة فى أحوالها ،
ثم تبين أنها عابت فى غيبته ، وكانت ذو [كذا] حسن وجمال
فذهبها ولم يبال بأحد . وفى تلك الأيام أيضا قتل رجل ابنته فى محلة
سوق ساروجا ، وهى ابنة أربع سنين ، فبلغ حضرة أسعد باشا أمرها
وأن تلك البنت أمها مطلقة وخالتها^(١) امرأة أبيها غير محبة لها ، فندست
لأبيها عليها بعض كلام ، وكان أبوها من الحق والجنون على جانب
عظيم ، فضربها بالعصا ضرباً مؤلماً ، ثم [٣٦ ب] ربطها بشجرة
بداره وبقيت طول الليل مربوطة إلى الصباح ، فجاء ليحلها فوجدها
قد ماتت ، وكانت ليلة ذات برد شديد ، فأحضره أسعد باشا وأمر
أن يضرب ضرباً شديداً ، فضرب ثم وضع بالحديد بعد ما أخذ منه
أموالا كثيرة . وفى يوم الأربعاء ثامن صفر الحير من هذه السنة
تُوفى الشيخ محمد أبو قيص الكردى شيخ مدرسة المرادية : وسمى
بأبى قيص لكونه إذا لبس قميصا لا ينزعه حتى يتقطع ، وهذا غاية
فى الزهد ، وقد كان صائماً متهجداً ، خرجت فى جنازته الأكاير
والأعيان لاعتقادهم فى صلاحه ، ودفن فى تربة مرج الدحداح ، ولما
فُتحت حجرته وجدوا عنده عشرين ثوبا من الكتان جدداً وخمسة
عشر نصف مقطوع وسبعة قناطير حطب وعشرة أرطال أرز وقدرة

(١) فى النسخة الظاهرية : وأمها . والمعنى لا يستقيم .

سمن وقدره عسل ، وغير ذلك من الموزن . ووجدوا قدرة [بها] أربع
ريال ومثلها بمصارى ، وفيها ذهب وأمتعة وحوائح ويدرأويتين
ملأتين قصان ، ووجدوا مقدار مائة كتاب قد روم بثمان عظيم . فانظر
إلى (زهد) ^(١) مثل هذا ، فقد ذهب الصالح بالطالح .

وفي يوم الجمعة عاشر صفر توفى الشيخ إبراهيم إمام القشماشية ^(٢) ،
وكان فقيها صالحاً ، ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله . وفي يوم
الجمعة اثنين وعشرين من ربيع الأول توفى العالم التحرير الشيخ أحمد
الحرسى أمين الفتوى فى بيت العمادى رحمه الله .

وفى تلك الأيام باع رجل جرّة زيت إلى رجل آخر ، فقبض
ثمها بعد ما وزنها ؛ ثم حملها إلى دار الرجل ، وقال : أبق عندك هذه
الجرّة ، فبعد ساعة آتيتك وأفرغها لك ، قال : لا بأس بل أنا أفرغها ، وأنى
وقت جئت تجد الجرّة ، ثم ذهب صاحب الزيت ، وبعد ساعة فرغها
المشترى ، فوجد بها أربع أواقٍ من الزيت والباقي ماء صافياً ، فطلب
الرجل فلم يجده .

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) ذكرها المرحوم الأستاذ كرد على فى مدارس دمشق وكتبها [القشماشية] . كانت
تقع داخل باب النصر ودار السعادة أنشأها نائب الشام قچاس الإسحاق الجركسى
التوفى سنة ١٨٩٣ ، وقال إنها « اليوم » عامرة فى الجملة [خطط الشام ج ٦ ص ٩٥]
إلا أن الأستاذ أبو الفرج العشى محافظ المتحف الوطنى بدمشق كتب إلى أنها زالت
تماماً منذ نحو ١٥ سنة .

وفي يوم السبت سلخ ربيع الأول قتل قبئولى رجلا من الأشراف فى مأذنة الشحم^(١) ، ضربه بمخجر فى صدره أخرجه من ظهره ، وترك الخنجر مغروزا فيه ، حتى أخرجه قاضى كشف [عليه] ، ثم ألقوا القبض على القاتل ، وقامت الأشراف ، وثبت عليه القتل فحبسه فى القلعة ، وفى تلك الليلة خنقوه .

وفى يوم الأربعاء غرة جمادى الأولى توفى الشيخ محمد بن الشيخ شعيب [١٣٧] الشهير بالشيخ جينه القاطن بحارة باب السريجة . كان رحمه الله ضحوك السن لطيفاً على غاية من الصلاح ، ودُفن بباب الصغير رحمه الله تعالى . وفى ثامن جمادى الأولى اغتيل رجل شقى من الصالحة يعرف بالفستقى ، كان كما قيل داهية دهماء ومصيبة عطاء ، شجاع يرد مائة شجاع بعصا ، سارق ما سمع بمثله بين اللصوص المشتهرين بالحيل ، فمن حيله وشطارته اتى ما سمع بنظيرها أنه متى وضع يده على أعلى حائط فتمتى علق ظهره به صار بأعلاه ، والمدهش أن يكون ظهره للحائط ، وإذا وضع فى أى مكان وعلق عليه الباب وقفل . خرج منه مهما كان ، وهذا كله ولم يجاوز العشرين سنة من عمره ، ثم لأنه بغى على أهل الصالحة خصوصا وعلى غيرهم فأعياهم أمره ، فجعلوا لشخص جعلاهلى قتله . فأغتاله بعد ما عمل معه صحبة . وقتله وراح وكأنه ما كان .

(١) أحد مساجد دمشق المشهورة .

وفي يوم الثلاثاء جاء خبرٌ إلى دمشق بأن ليلة الاثنين قُتل حاكم
بمليك الأمير حسين ، وقد كان خارجاً من الجامع ، فاغتاله ثلاثة
أشخاص ، ورموه بثلاث بنادق ورفروا هارين وحمل إلى داره .
وفي اليوم الثاني توفي ، وقد قيل بأن القاتلين له إخوته ، حيث أن له
من الإخوة سبعة ، والله أعلم .

وفي تلك الأيام فرض والى الشام أسعد باشا على الزعماء
والأكابر والتجار بأن يأتوا له من مدينة حماة بقمح ، ويكون أجرته
منهم ، فذهب بعضهم وأنى بقمح كثير ، فبيعت الغرارة ياحدى وثلاثين
غرشاً ، ولم تستفد غير وجوده ، وأما الغلاء فإنه باق بجميع
الأصناف كما قدّمنا تسعيره .

وفي ليلة السبت توفي موسى كيخية أسعد باشا والى الشام^(١)
ودفن بباب الصغير قريباً من قلعة الشاغور ، وصار له مشهد عظيم .

(١) نشك في وفاة موسى كيخية [أو كتحدا أى نائب] أسعد باشا العظم في
تلك السنة [١١٦٤ = ١٧٥١] فقد استمر في منصب الكتخدائية بدمشق حتى
بعد نقل أسعد باشا من دمشق ، وسيعود البديرى نفسه الى التحدث عنه في حوادث
السنوات التالية . وذكر القارى [وزراء دمشق ص ٧٩ — ٨٠] أن موسى باشا
كيخية أسعد باشا تولى في سنة ١١٧١ (١٧٥٨) قيادة الجردة ، فخرجت عليه جموع
العرب في أرض معان وقاتلوه قتالا شديداً ، وأصيب بجرح قاتل حمل الى دمشق
ودفن بها ، وكذلك نهب العرب قافلة الحج وكان يقودها والى الشام حسين باشا مكي .
وتتفق رواية ميخائيل بريك الدمشقي مع هذه الرواية .

كان رحمه الله هضم النفس ، طلب علما في أول أمره . هنده شفقة وراثة ويحب المسألة ومصالحة الخصوم ، حتى صارت الشام وما حولها حتى من العربان طوع يده ، وخلف ثلاثة من الولد أحدهم صار حاكم القدس ، والثاني حاكم غزة ، والثالث صغير من امرأته الشامية ، واستقام في الكخوتية^(١) من حكم سليمان باشا إلى سابع سنة من حكم ابن أخيه أسعد باشا .

وفي يوم الاثنين ثلثي وعشرين من [٣٧ ب] جمادى الثانية قُتل اثنان من رعيان التركان في أرض الغوطة في المحفرة ، أحدهما عاش ، فستل عن فعل بهما ذلك ، فأخبر أن بعض المغاربة ظن أن معها مال ، فبعدهما أوقعوا بهما ذلك الحال ، وجدوا مع أحدهما ربع ريال ، والثاني قليلا من الفلوس ، فرجعوا غاسرين الدنيا والآخرة .

وفي تلك الأيام كبر أسعد باشا داره الجديدة الذي ما صار نظيرها ولا عمل مثلها ولا وجد في الكون لها مثل . وبينما التجارين [كذا] يرفعون السقائل لأجل رفع الطوان^(٢) وقع ثمانية أنفار من التجارين فتهشموا ، ولم يقتل والله الحمد منهم أحد ، فأمر حضرة الباشا بأن يرسلوا إلى بيوتهم ، وأعطى كل واحد منهم نصف ذهب . وفي ذلك العام

(١) الكخوتية : في النسخة التيمورية .

(٢) الطوان هو السقف المزخرف من الخشب أو القماش السميك ليغطي أعمدة السقف أو الناظر غير المستحبة منه .

اشترى أسعد باشا والى الشام من الصالحية ومن أرض العنابة ومن غيرها أراضى وبساتين ، واشترى كذلك سوق الدق^(١) وما حوله من الدكاكين ، ومراده أن يعملهم قيسارية ليس لها نظير في قيسارية الشام .

وفي يوم الجمعة توفى بقية السلف الصالح معتقد أهل الشام على الإطلاق الشيخ عبد اللطيف بن عبد الهامدي ، وقرى . نسه عند إقامة الصلاة عليه في مقصورة الجامع الأموي ، فوجد بينه وبين سيدنا عمر بن الخطاب ثلاثون جداً . وصار له مشهد عظيم ودفن بمقبرة مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى .

وفي يوم الاثنين سلخ جمادى الثانية دخلت أرطاة القبول يتمش إبيكى^(٢) ، فخرجت لالتقاها كل من لف برمه مع مائتين تفكجي وجماعة من الدالاتية ، كل ذلك بأمر الباشا ، ودخلت بعراضة أى موكب ولا موكب الحج الشريف ، وخرجت الناس للفرجة رجالا ونساء كبارا وصغارا ، وزينوا لهم حارة العارة بالقناديل والمشاعل ، ودخلوا بكبر وجبر وعتو ، نسأله تعالى العافية .

وفي تلك الأيام أرسلت الدولة العلية تطلب من حضرة أسعد باشا منافع النوق وشرش جنزيل . فخالا حضرة الباشا استجلب من عرب

(١) أحد أسواق دمشق . والدق هو البقايا للتفحمة من زور الزيتون والشمش المحروقة في الأفران .

(٢) أى الأورطة الثانية والسبعون .

الجبلة^(١) ثلاثة نوق لم يأكلوا إلا حليب أمهم ، فذبحوا [كذا]
واستخرجت مناخهم ، وأرسلهم حضرة أسعد باشا مع شمرش الجنزبيل
مع ثلاث نياق حبالى حاملات يصحبهم ثلاثة طواشية .

وفي تلك الأيام وصل خبر إلى [٣٨] دمشق الشام بأن سعد الدين باشا
الذى هو أخو أسعد باشا جاراً على أهل حلب ، فغلى الأسعار^(٢) ،
وطلب منهم مائتى كيس غرش ، لكونه توجهت عليه سردارية جردة
الحاج ، فأبوا أن يعطوه ، ووقع جدال عظيم ، وبطلت صلاة الجمعة
وقتل منهم جماعة . وثانى يوم كان رطل الخبز بعشرة مصارى ، فنادى
عليه بأربع مصارى ، واللحم كان بثلاثين الرطل ، نادى عليه باثنى
عشر مصرية ، فأرسلت أعيان حلب عرض إلى الدولة العلية
بما جرى . ولم ندر ماذا يكون بعده .

وفي أوائل شعبان من هذه السنة وصل خبر إلى دمشق بأن ابن
الحرفوش حاكم بعلبك المتوالى الرافضى المشهور قبض على المفتى
وعلى أخيه وأحرقهم بالنار ، وهدم دارهم وقطع كرومهم . وقد كانت
هذه العائلة الخينية الحرفشية لعننا الله قبل أعوام قتلت أيضاً الشيخ
يحيى مفتى بعلبك المشهور بالعلم والكرم .

(١) انظر فيما سبق ص ٣٣ .

(٢) أشار التزى [نهر الذهب فى تاريخ حلب ج ٣ ص ٢٩٩ — ٣٠٠] إلى
اشتداد الغلاء فى حلب فى تلك السنة « لا حق نار الناس فى يوم الجمعة وتمطلت الصلاة
والآذان وطلمت النسوة إلى الكآذن » .

وفي تلك الأيام شق رجل نفسه في جامع يلبغا بشجرة فيه ليلا ، فأصبح الناس فوجدوه مشنوقا ، ولم يعلم السبب . وفي تلك الأيام وقع باب بستان علي رجل في الصالحية يقال له السيد إبراهيم الحلواني من حارة السويقة ، فحملوه إلى داره ، ومات في اليوم الثاني .

وكان أول رمضان هذه السنة نهار السبت ، أثبت في الساعة السادسة ليلا . ونهار الاثنين ثالث رمضان قُتل آفة القبول في القلعة بعد العصر ، والذي قتله أحد جماعته بتدبير من أحد الآغنين المعزولين ، لأن بدمشق ثلاثة أغارات للقبول ، أحدها [كذا] الموظف المقتول والاثنان المعزولين تبرحا عليه حسدا ، فاغتالاه وذهب دمه هدرا . وقتل أيضاً محمد بشه بن شمس في وادي القرن ولم يعلم قاتله . وسادس رمضان دخل الصرة أميني إلى الشام . وكان العيد الاثنين والصوم تماما .

وفي هذه السنة جاءت حجاج كثيرون من العجم . وهم على ما نقلوا ألف وستمئة عجمي ، ما عدا البغادة والعرب ، وصار جبر خاطر لعموم الناس في البيع والشراء . وجاء مع العجم ربيات ذهب كل واحدة بثلاثة عشر غرشا ولؤلؤ كبير وصغير وأحجار ومعادن . وشال وغير ذلك . وخرج المحمل يوم الخميس ثامن عشر شوال ، وخرج الحاج يوم الجمعة بعد المناداة مرارا بأن لا يبات أحد من
(١١٢ - دمشق)

الحجاج [إلا خارج باب الله^(١)]. [٣٨ ب] وخرج المتسلم والبلطجية بعد العصر وأناس بالليل والباقي ضحوة السبت . وهذا شيء ما سبق على ما نعلم .

وفي شوال هذه الأيام صار حرٌّ شديد لا يطلق ، حتى نشفت الأعين والآبار ، فقد غارت قناة بيت راس التي هي قريبة من بيلة في طريق قبر الست ونشفت واندرست ، حتى كأنها لم تكن . وعلى أثر جفاف الأعين وقلة المياه جاء زيادة ماء ، حتى صارت الماء مثل الطحينة . ونهار الأربعاء ثامن ذى القعدة جرس رجل ، قيل إنه يدق الزغل من المعاملة^(٢) . وركب حمارا بالمقلوب وسخيم وجهه بالسواد ، وآلة العمل على صدره ، وداروا به البلد كلها . ومع هذا فالغلاء واصل لحدّه : فرطل اللحم بستة وعشرين مصرية ، والأرز بعشرة مصرية ، والخبز بخمسة مصرية ، إلى آخر ما قدمنا .

وفي منتصف ذى القعدة ورَدَ حاكم حلب سعد الدين باشا أخو أسعد باشا ابن العظم إلى دمشق ، سردارا إلى جردة الحاج ، ورحل بها نهار الخميس غرة ذو الحجة .

(١) أحد أبواب دمشق الذي يخرج منه الحاج وهو في الجنوب الأقصى من الميدان . وفي النسخة التيمورية : خارج البلد .
(٢) أى يزيف العملة .

سنة ١١٦٥

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة وألف نهار السبت^(١) ،
فاستبشرت الناس بقدومها ، حيث ليلة الملة هطل مطر غزير وفرحوا
وزرعوا وفلحوا ، وبدت ترخص الأسعار ، غير أنه ما فيه من يفتش
على الخلق بالرخمة والراقفة من الحكام والوجوه ، والخزّانة كثيرون
والأكابر ساكنون والحكام يأكلون ، فإن الله وإننا إليه راجعون ،
وانظر غلاء الأسفار : فقد أقبلت هذه السنة بخيراتها وبركاتها ،
ورطل الخبز بأربع مصرية ، والدبس أربع أرطال إلا ثلث بقرش ،
ورطل السمن بقرش ونصف ، ورطل البصل بأربع مصرية ، ورطل
الثوم بسبعة مصرية ، ورطل الفهم بأربع مصرية ، وعلى هذا
نقس . فالأغنياء منعمون والفقراء صابرون .

قال المؤرخ عفى الله عنه : وفي يوم الاثنين عاشر المحرم من هذه
السنة ورد فرمان من الدولة العلية بأن حضرة خليل أفندي البكرى^(٢)
صار قاضياً في دمشق الشام ، وسجلوا الفرمان ، وجلس مكانه ولده
أسعد أفندي البكرى إلى مجيء أبيه كما يأتي .

(١) أولها ٢٠ نوفمبر [تشرين ثان] ١٧٥١ .

(٢) من أسرة البكرى الصديقى الشهيرة بمصر والشام ، وقد أنجبت عددا كبيرا
من العلماء ممن تصدروا للتدريس أو الإفتاء أو القضاء ، وترجم لثلاثة منهم المحبى فى
« خلاصة الأثر » والمرادى فى « سلك الدرر » . انظر ترجمة خليل أفندي قاضى
الشام (بين سنتى ١٠٩٨ ، ١١٧٣) فى سلك الدرر ج ٢ ص ٨٣ - ٩٧ .

ونهار الأحد ثانی وعشرين محرم ورد جو قدار الحج الشريف
يبشر عن الحاج بكل خير ، وأن الحاج وقف بعرفات يوم الجمعة .
وهذه السنة التاسعة من حجج حضرة أسعد باشا المتواليات . وهذا
ما سبق لغيره ، والحمد لله الذى أعطاه [١٣٩] . وفى ثانی يوم دخلت
خزنة مصر إلى دمشق . قال المؤرخ : ومعبانسينا شيخ السعدية^(١) فى
الديار المصرية الشيخ يحيى أفندى الجباوى ، أخو الشيخ إبراهيم الجباوى
الشاغورى من أبيه . وفى يوم الثلاثاء غرة صفر الخير كان دخول
ركب الحاج الشامى إلى دمشق ، ولم يروا أدنى مكدر كما أخبروا ، غير
أنهم جاءهم فى هدية برد كبير كل بردة وزنها ستون درهما ، ولم يحصل
منه أذى .

وفى تلك الأيام بلغنا أن أهل مصر طردوا كل غريب ، والذى
يجدون به دنوبهم ما له وعذبوه أشد التعذيب^(٢) . وفى أوائل ربيع
الأول دخل خليل أفندى البكرى قاضياً لدمشق الشام ، ففرحت
ناس وغمت ناس ، وظنوا أن معه أمور من تغير وتبديل وتفتيش ،
فلم يقع شئ من ذلك . وفى ليلة الأربعاء سادس عشر ربيع الأول

(١) انظر فيما سبق ص ٩١

(٢) رجعنا إلى تاريخ الجبرتى فى حوادث تلك السنة أو ما حولها فلم نجد إشارة
إلى طرد المصريين (الغرباء) من بلادهم . وربما عنى البدرى ما بلغه من عزم الأقباط
على الخروج إلى بيت المقدس للحج فى موكب (على مثال قافلة الحج) وغضب العامة
فى القاهرة وقيامهم على النصارى وإيذائهم [الجبرتى ج ١ ص ١٩٥] .

توفي العالم الجليل شيخ الشافعية في دمشق الشام ، بل شيخ شيوخ الفضلاء من علمائها الأعلام ، شيخنا وأستاذنا الشيخ علي كزبر ، وصلينا عليه صلاة الظهر في جامع الأموي ، ودفن بتربة باب الصغير من قبل أوس^(١) بن أوس الثقفي . وقبل وفاته عمل وصية ، ومن جملة ما أوصى بخمسين قرشاً لتعمير القبور الذي حول قبره ، فكانت منه كرامة ، لأن ساعة دفنه تهدمت قبور كثيرة من نزاحم الخناق المحتاطين بجنائزته . رحمه الله تعالى ، وأعاد علينا من بركاته . وفي ليلة الثلاثاء سلخ ربيع الأول وجد السيد محمد بن السيد أحمد خادم سيدي أبي الدرداء مذبوحة بداره التي داخل القلعة ، وكان له عبد ومملوك فلم ير لها أثر ، قبل قتلاه ، والله أعلم ، وذهب كأنه ما كان .

وفي تلك الأيام توفي حسن أفندي بن حمزة نقيب الأشراف سابقاً ، وحضر الصلاة عليه حضرة والينا حاكم الشام أسعد باشا العظم وقاضيا خليل أفندي البكري الصديق ومفتيا حامد أفندي العمادي ونقيها الحالى (محمد)^(٢) أفندي العجلاني وعلى أفندي المرادي وأكابر الشام وخلق كثير ، ودفن بمقبرة مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى .

وفي اليوم الثاني توفي العالم الجليل إمام المحرابين الذين للشافعية

(١) أوس في النسخة الظاهرية .

(٢) الاسم ساقط من النسخة الظاهرية .

الشيخ هلى المصرى^(١) وهو الذى جلب ماء السممر ، وكان يجب قضاء الحوائج لعباد الله ، ودفن بمقبرة مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى .
 وفى غرة جمادى الثانى توفى حسن جلبنى بن السفرجلانى ، وكان من الصدور فى الشام . وبهذا النهار مات ثلاث مشايخ حرف فى الشام : الشيخ عبد القادر شيخ الحلوانية ، وشيخ الحلاقين الأسطة محمد البوشى ، وشيخ القواقجية الأسطة محمد . وفى يوم الخميس ثالث جمادى الثانية نزل برد بدمشق ، وزنت واحدة فجاءت سبعون درهما .

وهذه السنة كثيرة الأمطار والخيرات والبركات ، وقد نبتت حبة الحنطة اثنى وعشرين قصلة سنبلة ، حتى نقل لى بعضهم أن حبة قمح نبتت فوق سطح بيته ، فوجدها بعد شتلها اثنى وعشرين قصلة أى سنبلة ، ومع ذلك فكل شىء غالى : فرطل السمن بأيام كثرته عشرة أواق بقرش ، والديس ثلاث أرطال بقرش ، والبصل خمسة أرطال بقرش . وكل شىء على أسعار ما قدمناه ، والحكم لله .

(١) ترجم له المرادى فى سلك الدرر [ج ٣ ص ٢١٣ - ٢١٥] . ولكنه ذكر تاريخ وفاته سنة ١١٦٣ لا ١١٦٥ التى ذكرها البدرى هنا . وقد اشتغل بالتدريس وعرف بالصلاح والتقوى حتى أن أهل الشام اختاروه هو وزميل له يدعى الشيخ عبد الرحمن الكفرسوسى ليجملا إليهم ماء السممر ليقاوموا بطيره الجراد ، إذ كانوا يمتقدون من شرطه أن يكون حامله من أهل الصلاح . [انظر فيما سبق ص ٧٣ ، ٨٩ ، ٩٠] .

وفي هذه المدة عمرَ حضرة الحاج أسعد باشا بن العظم والى الشام طريق الميدان من باب المصلى إلى باب الله ، ولم يظلم أحداً بذلك ولا أخذ من أحد شيئاً .

وفي أوائل شهر رجب قدم الأمير ابن الظاهر عمر حاكم طبريا وعكة ، فتلقاه حضرة أسعد باشا بواسطة موسى كيخية^(١) وخلق عليه وأكرمه وطيب خاطره من جهة أبيه ، لأنه كان بينه وبين أبيه الظاهر عمر أمور ، فأصلح الباشا بينهما^(٢) .

وفي تلك الأيام عمرَ خليل أفندي البكرى القاضى المتقدم ذكره المأذنة التى فوق المارستان . وبهذه الأيام جاء قبحى^(٣) من الدولة العلية بطلب السيد محمد أفندي المرادى^(٤) ليشتمل بين يدى حضرة السلطان الأعظم ، وأن يُجلب مكرماً ، وأن يعطيه أربعين كيساً . فأعطى المبلغ المذكور وحمل بتخت روام^(٥) ، وقدمت له أعيان الشام

(١) هذا كما يثبت خطأ ما ذكره البدرى عن وفاة موسى كيخية فى حوادث السنة السابقة .

(٢) تحدث صاحب سيرة ظاهر العمر عن النزاع بين ظاهر من ناحية وأخيه سعد وأكبر أبنائه عثمان من ناحية أخرى ، ولكنه لم يشر إلى وساطة أسعد باشا العظم [الصباغ ص ٦٧ وما بعدها] .

(٣) قبحى : فى النسخة التيمورية .

(٤) هو جدُّ المؤرخ المعروف محمد خليل المرادى صاحب «سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر» . كان من كبار العلماء والتصوفة ، وقد بلغ من زهده أنه نزل عن =

(٥) تختروان .

وأكبرها الهدايا العظام من الدواب والأموال والملابس الفاخرة ،
وخرجت إلى وداعه الأعيان مع حضرة والى الشام الحاج أسعد
باشا العظم ، وكان خروجه من دمشق نهار الاثنين تاسع رجب
الفرد من هذه السنة .

وبهذه الأيام توفى أحد أفدى ديوان أفدى^(١) الباشا ، وهو الذى
عمر القصر فى حائط الاحدية فى سوق الأروام ، فمات عن غير ولد
ولا وارث . قيل بلغت تركته سبعمائة كيس أكثرها من النقود الذهب ،
فأخدم حضرة الباشا ، والله يفعل ما يشاء . وفى تلك الأيام تعطلت مياه
نحارة الشاغور ، ففرض على أصحابها أموال كثيرة ، فاشتكوا لحضرة
أسعد باشا والى الشام حفظه الله ، فأمر أن لا يأخذوا من أحد [٤٠]
شيئا ، بل أمر أن يدفع من خزنته خمسة عشر مائة غرش لعمل الماء
وإجراء السيل .

قال المؤرخ البديرى عفى الله تعالى عنه : خرجت لزيارة السيدة
زينب ومعى ولدى مصطفى ، نتلو كلام الله فى طريقنا ، إلى أن وصلنا إلى الست
ودخلنا مزارها ، وتفرجنا على العمارة التى عمرها الحاج أسعد باشا العظم

= الثروة التى ورثها عن أبيه وتفرغ للمبادة ولبس الحشن من الثياب ، وذاعت شهرته
حتى أرسل السلطان محمود فى طلبه وبالغ فى إكرامه ، حتى عهد إليه بأن يحج نيابة
عنه . وقد توفى بدمشق فى ١١٦٩ (١٧٥٥ - ٥٦) [سلك الدرر ج ٤ ص ١١٤
- ١١٦] .

(١) ديوان أفدى أى أفدى الديوان ، وهو كبير أفديته أى كتابه .

بها في هذه السنة ، فعمل بها داخل الحرم قصرين وإيوان ومشارك
ومنافع ، وغير ذلك مما خلد له الذكر بها ، ووجدنا حضرة ابن عم
الباشا مصطفى بيك حفظه الله قد زخرف حيطانها وسقوفها وحسن
بنيانها ، وشرع في عمارة الحمام في هذا العام ونحن هناك . فجزاها الله
تعالى على هذا العمل الخيري أحسن الجزاء ، آمين .

وفي أول ليلة شهر شعبان سافر حضرة الحاج أسعد باشا إلى
الدورة . وثاني ليلة من سفره قُتلت امرأة في أول الليل بين حارة
السويقة وحارة قبر عائكة ولم يتحقق قاتلها . وقد ثبت رمضان
الخير ، ونائب السياسة^(١) موسى كيجية ، وقاضي البلد خليل أفندي
البكري ، وأسعار الخبز وغيره كما ترى : فرطل الخبز بثلاث مصارى
وبأربعة وبخمسة ، وغرارة الفمخ يائى عشر قرش ، ورطل اللحم
بعشرين مصرية ، ورطل الرز بعشرة مصارى ، والسمن الأوقية
بأربع مصارى ونصف في أيام موسمه . والدبس ثلاث أرطال وثلاث
بقرش ، والوقية بمصرية وقطعة ، ورطل البصل بثمانية مصارى ، والثوم
بسته مصارى ، والحطاب الرطل بمصرية ، والسنديان قنطاره بمائة
مصرية وعشرة مصارى . ولا أحد يسأل ولا كبير يتكلم ، والفساد
كثير والمولى خبير .

(١) يقصد نائب الباشا أو وكيله . وقد سبق للبديرى أن ذكر خطأ - وفاة

وبهذا الشهر في جامع الأموي جلس رجل يعدّ ذهباً معه ، فجاء رجل وخطفهم أمام مئات^(١) من الناس ، وأسرع في الجري ، فصاح صاحبهم ، فأدركه بعض أعوان السياسة ، فأعطاه شيئاً من الذهب فتركه . وبهذا الشهر أيضاً رجل حمل ولده وعلى رأسه شيء من الدناير ، فنبهه لص حتى دخل حامل الولد زقاقاً ، فخطف الدناير والطايقه وذهب . وفي ليلة السبت عاشر رمضان بعد ما سكر بواب حرم الأموي الأبواب نام ، فجاء المؤذنون وطرقوا باب الجامع ، فقام ليفتح لهم فوجد ثيابه مفقودة ، فأهلهم بذلك ، فدخلوا وسكروا وقتلوا الحرم جميعه ، فلم يجدوا أحداً ، والأغرب أن جميع الأبواب مسكرة . ثم ذهبوا لجمه الضريح ، فوجدوا ثمانية قناديل من فضة مفقودة وقنديل واحد من ذهب ، ولم يعلم لهم غريم .

وفي سابع [٤٠ ب] رمضان المبارك جاء ركب الصرة أميني من إصطنبول . وفي يوم الخميس في نصف رمضان دخل حضرة الوزير أسعد باشا إلى الشام حين كان غالباً في الدورة ، وهو والحمد لله في غاية الصحة والسلامة . وفي يوم السبت سابع عشر رمضان جاءت البلطجية^(٢) من إسلامبول ومعها اثنان وعشرون تحت أروام^(٣)

(١) مائة : في النسخة الظاهرية .

(٢) أي الرسل .

(٣) في النسخة التيمورية : تحت روام وهي التي يطلق عليها تختروان .

ومعها أيضاً ابن الوزير الأعظم المنفصل عن الوزارة في هذه السنة
ومعه الملايكة وطواشي كبير ، وأخبروا أن الدولة العلية متضعضة .

وفي يوم الجمعة كان عيد الفطر ، وصار في ذلك اليوم هزة
عظيمة ، وهي فتنة صارت بين المغاربة وأولاد الشاغور ، وسكنت
ولله الحمد من غير قتل أحد . ونهار الاثنين رابع عيد الفطر غرق
شاب في نقب الربوة وما ظهر له أثر . وفي ليلة الخميس خامس^(١)
شوال قُتل إبراهيم آغا (بن قوسر)^(٢) ، قُوس في داره التي في قبر
عائكة ، ولم يُعلم قاتله .

ونهار الأحد سابع عشر شوال رحل أسعد باشا العظم حفظه
الله بموكب المحمل الشريف . وكانت السنة العاشرة من حجاته
المتواليات بالركب الشامي أميراً ولد دمشق الشام وزيراً . وبذلك اليوم
[جاء] الركب الحلبي ، وقبله بيومين جاءت قافلة العجم ، وهي قليلة
بالنسبة للعام الذي قبله ، وقد نزلوا في الخراب والسويقة . وفي تاسع
عشر شوال سار ركب الحج الشامي من دمشق بالسلامة قاصداً بيت
الله الحرام . وبعد أيام نادى حضرة محمد آغا المتسلم على اللحم الرطل
بثمانية عشر مصرية ، وسم^(٣) جماعة من اللحامة ، وام يقبل رشوة

(١) في النسخة التيجورية : سابع .

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة الظاهرية .

(٣) المقصود بالتسمير دق بمض أعضاء المذنب في لوح من خشب بواسطة
مسامير غلاظ ؛ وقد يطاف به على هذه الصورة ليتهر به في المدينة .

ولا برطيلًا، وعدل في حكمه وفتنه الله تعالى، حتى صارت الفقراء تدعو له جهارًا. وبعد مدة سمر جميع البضائع وشدّد، وصار يأخذ بيد كل من يشتكي له، جزاه الله خيرا. وفي ذلك العام خزن الفهم، ففتش المتسلم وسمر، فلم يفد ذلك شيئا، ولم يصل أحد للفهم إلا من كان قويا مثل القيقولي والدالقي، ولم يجد المتسلم له بهذا الخصوص مساعدا [كذا].

سنة ١١٦٦

ثم دخلت سنة ستة وستين ومائة وألف^(١) بنهار الثلاثاء أو الأربعاء جعلها الله سنة خير وبركة ورحمة علينا وعلى خاق الله أجمعين.

وفي غرتها أي غرة محرم دخل قاضيا للشام من أبناء الترك واسمه [صالح ملا]^(٢) فنزل في دار على آغا ابن الترجمان قريبا من باب القاعة وبطل الحكم من المحكمة القديمة المسماة بالكبرى.

وفي تلك الأيام وقع برج باب القلعة وأخذ البدن كله من بابها، وهكذا [١٤١] إلى آخر البرج من جهة القبلة، ولم يُقتل سوى رجل من القلعة. وفي تلك الأيام نزلت مطر كأفواه القرب ثلاثة أيام

(١) يوافق أولها ٨ نوفمبر (تشرين ثان) ١٧٥٢.

(٢) الاسم ساقط من نسخ الظاهرية والتمورية. وهو صالح ملا وسيدكره البديري في مستهل السنة التالية عند عزله.

متوالية ، أذهبت غالب مساطيح الزيب وأتلفت البيادر . وبهذه الأيام في العشر الأول من المحرم شنت متسلم الشام ثلاثة أشخاص من اللصوص في شجرة الدلية^(١) التي في المرجة أمام باب التكية .

في منتصف محرم جاءت بشارة لدمشق : وهي مقرر لحضرة الحاج أسعد باشا والى الشام . وفي ليلة الاثنين ليلة عشرين من المحرم شنت المتسلم لصا في السويقة وقطع يدرجل نشال . وفي سائح محرم جاء كتاب الجواتدار ، وأخبر أن الحج في هذه السنة ذهب وآب من طريق الفرعى ، وخرجت عليهم عرب وقضوا مشقة عظيمة ، وصارت مة تلة جسيمة ، ووقع نقص بالحاج وبالعسكر خصوصاً في المغاربة .

ومات ملك السنة قبوجى لر أغاصى وشيخ الزبدانى ، وشنت الباشا السيد حسن شيخ شباب باب المصلى ، وقتل أيضا جماعة من الأشقياء ، ودخل الحاج الشريف يوم الثلاثاء خامس صفر . ودخل أمير الحاج أسعد باشا بموكب المحمل يوم الأربعاء ، وفي منتصف ربيع الأول نبه الحاكم على أن لا يروج الفلوس المكسور منهم والرصاص . وثانى يوم نادى المنادى على الفلوس الصحيحة كل اثنى عشر بمصرية بعدما كانت كل أربعة وعشرين بمصرية ، (وأن لا يروج منها إلا القسطنطينى ، فحصل للناس ضيق عظيم ، وسكرت غالب البلد ، ثم نادى منادى

(١) الدالية كرمة العنب .

الحاكم كل أربعة وعشرين بمصرية^(١) وأرجمهم على حاتم الأولى .
ولكن لله الحمد والمنة ، الناس في أمن وأمان ورخص ورخاء في جميع
البضائع ما عدا اللحم ، فإن رطله بثمانية وعشرين مصرية ، وأما غيره
فرطل الخبز بثلاثة مصارى وبمصريتين ونصف ، وقرارة القمح
بخمسة عشر قرشا أو أقل . وعلى هذا فالحمد لله فليقس .

وفي ثالث ربيع الثاني توفي العبد الصالح الشيخ مصطفى الكردي
من أبناء الترك والأغوان^(٢) ، فيتكلم بالتركي والكردي والأغواني ،
وكان هلى صلاح عجيب ، وكان دائماً متسلحاً بالسلاح الكامل متقلداً
به ليلاً ونهاراً ، ولا ينام إلا متقلداً به ، وإذا دخل الحمام دخل بالعدة
الكاملة ، وكان قليل الكلام لا يتكلم مع أحد ، وفي بعض الأوقات
يتكلم ويسب بالتركي ، ويوم وفاته صار له مشهد عظيم ، ودفن بمرج
اللدحاح ، رحمه الله تعالى .

وفي تلك الأيام من هذه السنة [٤١ ب] شرع حضرة أسعد باشا
في عمارة القيسارية التي في البزورية التي عزّ نظيرها في الدنيا ، وذلك
بعدما هدم قيسارين ودور ودكاكين وجعلها قيسارية واحدة بهذه
الصفة التي لا نظير لها ، وفي يوم الأربعاء تاسع ربيع الثاني وقع

(١) العبارات بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية . انظر فيما سبق

ص ١٤٩ .

(٢) كلمة عامية يقصد بها الأتقان .

حائط جامع الشيخ عارودك غربى الصالحية على إمام الجامع المذكور وعلى ثلاثة أشخاص معه ، فاتوا جميعا عنى الله عنهم . والعجب أن هؤلاء الأربعة كل واحد منهم اسمه محمد ، وهو اتفاق عجيب ، ودفنوا بيوم واحد ، وفى سلخ ربيع الثانى ربط غلام مراهق رسن فرس فى زناره ، وجلس يتوضأ على نهر قرية القدم عند قبة العسالى ، فجفت الفرس وصارت تعدو والغلام مربوط برسها ، وتكرت وترفس الصبي حتى وصلت إلى باب الله ، فسكوا الفرس فوجدوا الغلام قد تهمم وتقطع ومات ، والغلام ابن أحمد^(١) بشه السجار القيباتى ، والفرس لأبيه . فأعلموا حضرة أسعد باشا حفظه الله فأمر بدفنه ، ولم يلحق بأحد ضرا .

وفى تلك الأيام جاءت خزنة مصر وبقيت أياما ثم سافرت ، وفى تلك الأيام هبت اللصوص ضرايح الصحابة والأولياء ، فى غرة رجب قلعوا شباك سيدى بلال الحبشى ، وأخذوا حديده و ثوباً مقصباً كان على تابوته وشدقتين من حرير وسجادتين وغير ذلك . وأخذوا شباك الشيخ عبد الجبار بن سيدى عبد القادر الجيلانى ، مزاره غربى باب الصغير ، وأخذ ثوب تابوت سيدى أبى بقبلى مقبرة الشيخ رسلان .

(١) محمد : فى النسخة التيمورية .

وثانى رجب من هذه السنة توجه حضرة الوزير الحاج أسعد باشا الى الشام يريد الغزو على عرب البلقا ، فأخذ معه من رجال القرى وهم الفلاحون ألف ومائة فلاح ، واستجلب عساكر من حمص وحماة والمعرة وجبل الدروز والمناولة ومن نابلس والقدس وصفد ما عدا عرب السردية وغيرها . وخرج بمال عظيم ، وسكّرت تلك الأيام الأسواق ومنعت النساء من الخروج وعظمت الأمور . ثم في أثناء هذا الشهر وردت الأخبار بأن حضرة الباشا سار بالعسكر إلى فوق البلقا ، ودخل بمكان يقال له الوكر ، وهزم ابن عدوان هو وهربه ونهبهم [كذا] العسكر عن بكرة أبيهم . وذهب الباشا إلى الدورة من هناك . وبهذه السنة ثبت رمضان بالرؤيا ، فُصِّمنا الاثنين . وفي ليلة العاشر من رمضان جاء الباشا من [١٤٢] الدورة ، وجاء العسكر مع الكيخية بعد يومين . وفي هذا الشهر فُقد حاجي غريب في خان الحرمين بباب البريد ، فاتهموا به رجل من أبناء الترك غلينجي ، فقبضوه وعذبوه وأخذوا ماله وأطلقوه ، وبهذا الشهر ظهر قتلى كثيرة من رجال ونساء ولم يستل عنهم . وكل شيء موجود والغلاء يلعب في جميع البضائع ، وقد شحنت الشام من سائر أصناف الخلق ، وامتلات غالب المواضع ، وكان عيد الفطر يوم الأربعاء .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشر شوال خرج المحمل الشريف بالموكب المنيف وبالأ مير الخطير الحاج أسعد باشا . وكانت الحججة الحادية عشر

من حجّاته المتواليات . وفي تلك الأيام جاء طوخان إلى مصطفي بيك ابن إسماعيل باشا العظم أخى أسعد باشا ، وأن يكون محافظاً للجرده مع أخيه سعد الدين باشا أميرين^(١) في سفر الجرده . وقبل خروجهم بيوم قامت قبقول دمشق قاطبةً بالأسلحة ، وعملوا جمهوراً ، وقامت التيق على الأرتلية^(٢) . وهذه الفتنة بسبب رجل صار قبقولى فما قبلوه ولا ارتضوه ، وسكّرت الأسواق واشتغل ضرب الرصاص وجرحوا بعضهم بعضاً ، وما صلح الأمر إلا بنبطيل الرجل من الوجاق ، وُزِل الأضباشى (والأصطا . وكان عيد الأضحى هذه السنة يوم الأحد . وطلمت أخبار في تلك الأيام)^(٣) بتغيير السلطان وجي أحمد باشا بن القلطقجى^(٤) ، فارتبكت وانخبطت القبقول ، ثم بان بأن الأمر كذب لا أصل له ، وحرقوا الخشبة وداروا في الأسواق [كذا] . وفي يوم الجمعة والناس في صلاتها سلخ ذى الحجة كسفت للشمس .

وفي تلك الأيام جاء خبر بأن محمد باشا حاكم صيدا

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة التيمورية .

(٢) فرقان من الجند المرتزة . وقد شرح جبّ و بون vol. I. part I. p.192 أن التيق Yamak هم أصحاب الحرف الذين يلتحقون بالمسكرية ويساعدون الجند الانكشارية في حراسة الحدود .

(٣) ما بين القومين ساقط من النسخة الظاهرية .

(٤) سبق ذكر الفتنة التي قام بها أحمد بشه القلطقجى وخروجه من الشام . انظر فيما سبق ص ٦٧ ، ٨٠ ، ٦٩ ، ١١٦ .

مات ، وكان على ما نقلوا أنه ظالم غاشم مصادر الناس بأموالها ،
حتى هرب أهل صيدا إلى جميع البلاد .

سنة ١١٦٧

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة وألف يوم السبت^(١)
وبهذا اليوم سافر قاضي الشام صالح منلا^(٢) طالباً لإسلامبول .
وفي سابع المحرم قدم القاضي الجديد ، ونزل في محكمة النورية
المسماة بمحكمة الباب^(٣) . وفي ثامن عشر قتل أحمد آغا بن سنان
في باب المصلا ، وهو من قرية قريبة من قطنا .

وفي ليلة الجمعة عشرين من المحرم توفي بقية العلماء الأعلام
مفتي السادة الشافعية وأفصح من نطق بالعربية الشيخ محمد أفندي
الغزّي^(٤) ، ودفن بمرج الدحداح ، رحمة الله عليه [٤٢ ب] وعلى
أموات المسلمين .

(١) أولها يوافق ٢٩ أكتوبر (تشرين أول) ١٧٥٣ .

(٢) ملا : في النسخة الظاهرية .

(٣) سميت محكمة الباب لأنها كانت قرية من باب القلعة ، وبزول القاضي بها
في العام الماضي بطل الحكم في المحكمة القديمة المسماة بالكبرى [انظر فيما سبق
ص ١٧٢] .

(٤) ترجم له الرادى (ج ٤ ص ٥٣ - ٥٨) وأشاد بكاتبه في التاريخ
والآدب ، وذكر أنه اشتغل بالتدريس والإفتاء على مذهب الشافعي ، وألف تاريخاً
سماه (ديوان الإسلام) وله شعر عذب .

ونهار الثلاثاء رابع وعشرين المحرم فهدم جو قدار الحج الشريف
مبشراً بكل خير هيم . وفي أثناء هذه الأيام جاء مقرر الشام
لحضرة الحاج أسعد باشا وإلى الشام .

وفي يوم الجمعة خامس صفر الخير دخل ركب الحاج الشامي
بالصحة والسلامة أحسن من كل عام ، وأخبرت الحجاج أنهم لم
يحبجوا نظيرها من الرخاء الكثير والماء الغزير والأمن والأمان ،
ولم ينقص من الحجاج إلا الأفراد النادرة ، وأن أمير الحاج
خوزق أربع لصوص من أولاد الشام ، وتوفى معهم مُرَبِّدَار^(١) ،
ومتولى [جامع] السلطان إبراهيم بن أدهم . وثاني يوم السبت دخل
المحمل الشريف والموكب المنيف بالكواخي والبشاوات ، فكان أولهم
مصطفى باشا ابن إسماعيل باشا العظم أخو الحاج أسعد باشا ، وبعده
أخوه سعد الدين باشا العظم ، وبعده أخوهما الوزير الكبير الحاج
أسعد باشا في ألامى حافل وعسكر [و] جحافل . وثالث يوم دخلت
خزنة مصر ، وكانت بثمانية أحمال ، فتفرجت الناس ثلاث فرج
بثلاثة أيام متتابعات : يوم دخول الحج ويوم دخول المحمل ويوم
دخول خزنة مصر .

وفي ذلك العام من شهر محرم الحرام تمت قيسارية أسعد باشا

(١) هو المنرف على (التربة) أو الضريح .

والى انتقام الذى لم يعدل مثلها فى سائر بلاد الإسلام ، وقد تم بناؤها بعد سنة وشهرين . قال المؤرخ : وقد بلغت أنه صرف عليها فى كل يوم من الآلات والأجر ألف ومائة غرش ، ولكن كما قال الفائل : جزى الله الوسعة كل خير .

وفى ليلة الخميس تاسع عشر صفر الخير لثلاث أيام مضت من كانون الأول^(١) ثالث ساعة من الليل صارت زلزلة خفيفة فى دمشق وقع بسببها بعض أمان فى سراية الحكم على جماعة ، فقتل رجل مسلم ورجل نصرانى . وكان ذلك الشهر مطره غزير جداً يعقبه إن شاء الله تعالى خير كثير . وتوفى بهذا الشهر الشيخ محمد بن أحمد ابن سوار شيخ المحيا^(٢) والشيخ خليل بن البكرى [فى ؟] داره بباب توما وأعملوا له فى الأموى . وفى ثامن عشر شهر صفر يوم الجمعة بعد العصر توفى لرحمة الله تعالى الشيخ أحمد الجلبى إمام جامع السنانية للسادة الشافعية . قال المؤرخ : كان هذا الإمام إماماً فى كل فن ، صحوك السن فاضلاً مباركاً قاطناً فى جامع العداس عند الملاء إلیاس^(٣) قدس سره ، [١٤٣] لا يفارق الملاء ليلاً ولا نهاراً ، ودفن بباب الصغير قريبا من الملاء إلیاس ، رحمه الله تعالى -

(١) شهر ديسمبر .

(٢) المحيا ذكر خاص يقام فى مشهد الحسين بالمسجد الأموى بدمشق فى شهر رمضان من كل عام ، وله وقف خاص تتوارثه أسرة معينة .

(٣) انظر فيما سبق ص ١٣٥ .

وفي تلك الأيام أيضا توفي الشيخ يحيى بن محاسن رحمه الله . وفي
نهار الاثنين الثاني والعشرين من شهر صفر تشاجر سعد الدين
المغربى خدام في بيت الخاتم بنت سليمان باشا مع رجل من نفر الأربعة ،
فحضر الأربعة فقتله ، وجرح طواشى الخاتم بعدما جرحه المغربى
جرحين . فحين بايع حضرة الوزير أسعد باشا أمر بقتله حالا ،
فخنقوه في تلك الأيام من غير إثبات ولا دعوى .

وفي منتصف مربانية الشتاء^(١) وقعت صخرة بنهر القنوات ،
ووقوعها كان تجاه وادى كيوان ، سدّت النهر وانقطع ثلاثة أيام
بليالها ، فأخرجوا الصخرة قطعاً قطعاً ، فوجدوها قبراً قديماً من
قبور الحكماء .

وفي شهر ربيع [كذا] أعاد الباشا السردرة^(٢) على البلاد ،
فصاروا يسكنون من عرب الجبل ويقتلون ويأتون برؤسهم إلى
الشام . وفي شهر جمادى [كذا] جدّد حضرة أسعد باشا الجامع
الذى هو قدام قهوة الخريزاتية وحسنه هيئة وفرشاً وعمّر بعض
دكاكينه قانياً ماء قريبا من بيت السفرجلانى .

وفي أواخر رجب جاء مفرّج لسنة ثمانية وستين ، وهو عن ثلاثة

(١) تمير يطلقه السوريون على الأربعين يوماً الأولى من فصل الشتاء وفيها
يشد البرد .

(٢) السردرة من سردار ، وهو قائم الجند

عشر سنة من حكمه ، حفظه الله أمير الشام وأمير حاج الإسلام .
وقد عدل في الخاص والعام ، وأحسن للعلماء والفقراء والأيتام
بلا ظلم ولا عدوان ، وعمر أماكن كثيرة داخل المدينة وخارجها .
ومدارس وجوامع وغير ذلك من وجوه الخير والصدقات ، جزاه
الله خيرا .

وفي يوم الاثنين خامس رجب خرج حضرة أسعد باشا إلى
الدورة ، وترك موسى كخييه متسلما بها . وكان نصف شعبان المبارك
يوم الخميس ، وثبت أول رمضان نهار السبت . والأسعار ناهضة
جدا : فرطل اللحم بأربعة وعشرين مصرية ، ورطل الجبن بأربعة
وبخسة مصرية ، ورطل الأرز بعشرة مصرية ، ورطل الكعك
بأثنى عشر مصرية ، ورطل الدبس بخمسة عشر مصرية ، وأوقية
السمن بستة مصرية في أيام الموسم . وأوقية الزيت بثلاث مصرية
ونصف ، وكذلك الصابون ، وأوقية الجبن الأخضر بمصريتين ، وأوقية
القريشة^(١) بثلاثة مصرية ، ورطل المشمش [٤٣ ب] الحموي بستة
مصرية مع أنه مقبل كثير ، والمشمش البلدي رطاله بثلاثة مصرية
ونصف مع إقباله . وحاصله كل شيء فالى حتى العلق التي تستعمله
الناس لإخراج الدم^(٢) ، والقصرمل الذي يخرج من وقيد الحمام ،
والأمر لله .

(١) نوع من الجبن يصنعه أهل دمشق .

(٢) كان البديري — وهو حلاق — يهيمه سدر العلق .

وفي ثاني عشر شوال سار حضرة الوزير الحاج أسعد باشا مع المحمل في الموكب العظيم للحج الشريف . وكانت هذه السنة هي الثالثة عشر من حججه المتواليات وإمارته التي لم تسبق لغيره . وبهذه السنة مرّوا على وادي الليمون في الطلعة ، وكانت وقتهم الجمعة ، ورجعوا من الطريق السلطاني . وفي خامس وعشرين من المحرم دخل جوقدار الحج وبشّر بالخير . وفي خامس صفر دخل الحج الشريف وهو على أحسن حال .

وفي هذه الأيام توفى رجل من البله المجاذيب ، وكان بطالا من الأبطال تعتقده أهل الشام ويكشف بكلامه ، ويقع كما يقول واسمه الشيخ خليل البياض^(١) . وخرج بجنازته أكبر الشام حتى حاكمها المسلم موسى كيخية ومشى وراهها ، رحمه الله .

سنة ١١٦٨

ثم دخلت سنة ثمانية وستين ومائة وألف . وكان غرة محرم^(٢) نهار الاثنين المبارك ، جعلها الله سنة خير وبركة علينا وعلى سائر المسلمين .

ونهار الجمعة ، سلخ صفر قدم قبجي من إسلامبول ، وأخبر

(١) راجع ترجمته في سلك الدرر للرازي ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) يوافق ١٨ أكتوبر (تشرين أول) ١٧٥٤

بوفاة حضرة السلطان محمود خان^(١) يوم الجمعة ، والناس في الصلاة
وجلس أخوه مكانه ، وهو السلطان عثمان خان^(٢) ، والخطبة باسمه .
فانهزت الشام البلدة من هذا الخبر ، وبقيت الناس مترددة في
الاستقرار ، إلى أن كان نهار الخميس عاشر ربيع الثاني جاء قبجي
كبير من دار السلطنة ومعه منشور عظيم بأن صاحب الخطبة في
سائر بلاد الإسلام السلطان عثمان خان ، وأمر أن تزين دمشق
ثلاثة أيام ، فزينت زينة ما سمع بمنلوها ، أبقى الله تعالى هذه الدولة
العثمانية إلى آخر الدوران . آمين .

وبهذه السنة انتشر مرض الجدري في عموم الناس ، حتى في
الشيوخ والعجائز ، ومات فيه كثير من الأولاد . وفي أوائل
جمادى الأولى ذبح بيرقدار التفكجية في الخان الصغير الذي هو
قبالة حمام الملكة ، ولم يعلم ذابحه ، ولم يؤخذ من ماله شيء .
ووجد بهذه الأيام قتيل في النهر ، وقتيل في التربة وفي غير [١٤٤]
ذلك أيضاً . نسأله تعالى حسن العاقبة .

وفي منتصف جمادى الأولى جاء تقرير إلى مصطفى باشا أخى سعد
الدين باشا بن العظم إلى صيدا ، ولم يأت إلى أخيه أسعد باشا

(١) هو السلطان محمود الأول ، حكم من سنة ١٧٣٠ إلى ١٧٥٤ .

(٢) هو السلطان عثمان الثالث ، حكم من سنة ١٧٥٤ إلى ١٧٥٧ .

خبر شافى من جهة حكم الشام ، وقد طال عليه المطال^(١) . والقلا،
فى كل شىء حتى فى التراب والقصرمل والأحجار والحديد
والخشب ، وغير ذلك من أدوات العمارة ، وبالجهد الكلى حتى
يحصّل الإنسان على معلم أو نحار ، وأجر الواحد بدينار ولا يوجد ،
والكلس واللبن لا يوجدان وهلم جرا . فقد ضاقت الأنفاس
والأشياء زادت عن حد القياس ، والباشا ومن حوله يجمعون المال
فى الأكياس ، فنادى على اللحم فلم يوجد ونادى على الصابون
فتبدّد ، ونادى على الزيت ، وكان له أغراض وأمور وأحكام تفتت
السكبد ، والمستعان بالله الفرد الصمد^(٢) .

وفى تاسع عشر جمادى الأولى ظهر خبر^٣ بأن امرأة قتلت زوجها
مع جماعة من الأشقياء ، بدعوى أنه ينام مع مملوكه ولا ينام معها ،
وبعد قتله دفنوه فى دهليز البيت ، والقتيل ينتسب إلى الأكراد ، وله
قهوة بسوق الخيل ، واسمه درويش آغا ، فقامت الأكراد على ساقها
فى سوق الخيل ، فجاء ولد صغير كان حاضراً ومطالماً على قتله ودفنه ،
فدلّهم على مقتله وداره ، فذهبوا وألقوا القبض على الجميع ، فوجدوا

(١) بلا حظ أن المؤلف ذكر فى حوادث السنة السابقة أنه فى شهر رجب

جاء أسعد باشا التقرير بولاية الشام لعام ١١٦٨ .

(٢) لاحظ أن البديرى فى العام السابق قد أشاد بمدل أسعد باشا وإحسانه

للفقراء والعلماء « بلا نظم ولا عدوان » ودعاه بطول البقاء ! فهل كان لتأخر

وصول فرمان التقرير بالولاية أثر فى تحوّل البديرى ؟

طبعى الباشا خليل آغا وأخو الزوجة ورجل آخر ، لجأوا إلى الطبيعى
وقطعوه قطعاً ، وقتلوا الرجل وأخا الزوجة ، أما المرأة فإنهم أخذوها
وغرقوها فى مغرق البحصا فى نهر بردى ، ولم يسألوا عن الحاكم ،
والحاكم لم يتعرض لهم فنسأله تعالى الفرج القريب .

وفى تلك الأيام شرع حضرة أسعد باشا والى الشام بترميم الجامع
الأموى ، حتى بلغنى أنه اشترى طنائساً أى فرشاً بأربعة أكياس .
جزاه الله خيراً .

وفى تاسع جمادى الأولى من نهار الثلاثاء نزل مطر عظيم
ونلج جسيم ، فزادت المياه حتى طاف نهر بردى ، ووصلت الزيادة
إلى تحت القلعة ، ومشت إلى حارة العمارة ، لكن والله الحمد
لم تضر بأحد ولا بالبيان .

وبتلك الأيام صارت فن بين عرب الشام وعرب عنزة ،
وهزمت عرب الشام وعرب عنزة [كذا] . وفى شهر رجب
أرسل أسعد باشا والى الشام عسكرياً لعرب الفضل ، فهبوا ما لهم
[٤٤ ب] وطرشهم وبعض عيالهم . وفى تلك الأيام شق الباشا
رجلاً جمالاً من حارة البحصة ، قيل أنه خنق رجلاً من جيرانه .

وفى منتصف شهر رجب جاء مقرر حضرة أسعد باشا والى

الشام، وكانت السنة الثالثة عشرة من حكمه وإمارته للحج^(١).
وبهذا الشهر خرج حضرة والى الشام المذكور إلى الدورة، وجعل
مكانه متسلماً موسى كيجية لدمشق الشام. وثبت هلال رمضان هذه السنة
ليلة الثلاثاء، وشعلت القناديل في المآذن، وصلوا التراويح قبل أن
يضرّبوا المدافع، وما ضربت إلا بعد ساعتين.

وفي هذه الأيام عزلت الحكومة الأمير حيدر بن حرفوش
عن بلد بعلبك، فأبى الخروج منها وأمر جميع من فيها بالرحيل
وكل من أقام بعد ثلاثة أيام ينهب ماله وعياله. فحلوا بعد ما حرق
بيوتهم وكرومهم وطفشوا إلى البلاد والقرايا، وأقام بها هو عاصياً،
ثم ضمن الأمير حسين بن حرفوش بعلبك، ورجعت غالب أهل
بعلبك بلا أدنى حادث^(٢).

سنة ١١٦٩

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة وألف^(٣) نهار الأحد

(١) سبق للبديري أن ذكر ذلك في حوادث رجب من السنة السابقة.

(٢) أشار إلى ذلك الأمير حيدر الشهابي مؤرخ الشهابيين (ج ١ ص ٣٨ -
٣٩)، قال إن الأمير حيدر الحرفوش كان صنيعاً لأسعد باشا العظم قاتله خصمه
الأمير ملحم الشهابي وأزاحه عن بعلبك ونصب عليها أخاه الأمير حسين، ويلاحظ
أن تاريخ الأمير حيدر الشهابي مضطرب بين الباشوات من آل العظم اضطراباً
كبيراً.

(٣) يوافق أولها ٧ أكتوبر (تشرين أول) ١٧٥٥.

والغلاء قائم في الشام كما قدمنا . وجاء الجوقدار سابع وعشرين من المحرم ، والكتّاب جاء ثاني يوم من صفر ، وسادس يوم منه دخل الحج الشريف . وأخبرت الحجاج أن هذه السنة كانت مخصبة ودار بهم أمير الحج من غير الطريق السلطاني ، فحصل على الحج عطاش شديد ، حتى هلك في يوم واحد ألف وخمسة إنسان .

وفي سلخ ربيع الثاني جاء مقرر إلى الحاج أسعد باشا في الشام وهي السنة الرابعة عشر من حكمه الشام وإمارة الحج الشريف المتوالية التي لم تسبق لغيره . وتلك الليلة نزل تلج عظيم في الشام مارؤى مثله من سنين .

وبتلك الأيام جاء قبجي إلى حسين بيك بن مكى حاكم غزة ومعه فرمان بأن يكون باشا بالقدس^(١) . ويعمر ماء القدس ، وأن يلمّ مال الدورة بأمر الدولة .

(١) كان جدّه أحد تجار غزة الأثرياء ، واتصل والده بخدمة وزراء الشام وأخذ غزة من الدولة إقطاعا له (بطريق المالكانه) ، ثم جعله أسعد باشا كتحدا له بدمشق وجعل ابنه حسين حاكما لغزة والرملة ، ثم أقامه أسعد باشا حاكما من قبله على القدس ، إذ كانت تابعة لولاية دمشق . حتى كانت سنة ١١٦٩ (١٧٥٥ - ٥٦) فعينه الدولة من قبلها حاكما على القدس مستقلا عن باشا الشام ، برتبة باشا بطوخين أي أمير أمراء أو بكاريكي . ولكن بعد قليل أعادت الدولة القدس إلى أسعد باشا . ثم رقى حسين باشا مكى إلى رتبة الوزارة (أي باشا بثلاثة أطواخ) وولاه الدولة على سيدا ثم على دمشق خلفا لأسعد باشا العظم .

وكان صوم رمضان هذه السنة نهار الاحد . وفي جمادى الأولى نزل ثلج عظيم بدمشق وأقام أياما وهدم أماكن كثيرة . وفي تلك الأيام جاء قبجى بروجوع القدس إلى أسعد باشا وإلى الشام . وفي ذلك الشهر جاء خبر بأن عرب الحجاز محاصرين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولها نحو شهرين^(١) في المحاصرة ، حتى هدموا ما حولها [١٤٥] وقطعوا نخلها وضيقوا على أهلها ، وهم الآن في كرب وضيق ما سبق ولا سمع من عهد الجاهلية . فبلغ هذا الحال الدولة العلية أيدها الله تعالى ، فأرسلت إلى حاكم الشام أسعد باشا العظم بأن يتأهب لقتالهم بالرجال والعسكر الجرار ، وإلى أخيه مصطفى باشا كذلك ، وإلى أخيه سعد الدين باشا كذلك ، وأن يكون حاكماً بمجدة ، وأن يأخذ معه عساكر وأن يساعده أخويه .

وفي تلك السنة أمر حضرة الحاج أسعد باشا العظم بترميم وإصلاح جامع يابغا ، فعمل له وقفاً وجرايات بعد ما جدد فيه أخاوية وغير ذلك ، وأمر أيضاً بإصلاح جامع الياغوشية الذي تحت القلعة . وكان قد وقع منه جدار على امرأة ورجال ، وألزم بعض أخصائه بتعميره من ماله لأنه ذو مال . وفي أول رجب تمت عمارة قهوة

= المرادى : ج ٢ ص ٦٠ - ٦٢ وميخائيل بريك دمشق : حوادث الشام ولبنان ص ٣٦ ، والبديري في حوادث السنة التالية .
(١) شهر : في النسخة التيمورية .

الشاغور التي هي مقابلة للشيخ السروجي رضى الله عنه . وبتلك الأيام عُمِّرت أيضاً قهوتين [كذا] بباب السريجة وقهوة أمام باب المصلى .

وفي نهار الجمعة من شعبان توفى مصطفى بيك بن مردم^(١) بيك ، ودفن في أعيان الشام وذوى البيوت التي شهدت أهل الشام بصلاحه ، لأنه كان يحب الخير ويعمله ، ولا يقارب الحكام وليس له أذية لأحد ، ودفن بمدفنه عند جدّه لالا مصطفى باشا ، في أسفل سوق السّانية .

ثم جاء رمضان المبارك وأثبتوه الأحد وصمناه تماماً . وسار الحج قاصداً الحجاز ثامن عشر من شهر شوال . وفي ذلك اليوم توفى عبد الله أفندى زاده قاضى الشام ، ودفن بجوار سيدى بلال الحبشى رضى الله عنه . وبهذا النهار وجدوا صيداً مخنوقاً في نهر بردى ، وبعده ظهر أبوه أنه خواجه فى سوق السلاح . وفي يوم الأحد ثالث الحجّة دخل سعد الدين باشا والى طرابلس إلى سردارية الجردة بعد ورود عزله من طرابلس . ونهار السبت كان نهار وقفة عيد الأضحى بالشام . وفي سلخ ذى الحجّة نهار الجمعة توفى خطيب الأموى محمد سعيد أفندى بن محاسن ودفن بباب الصغير .

(١) مردن : فى النسخة الظاهرة .

سنة ١١٧٠

ثم دخلت سنة سبعين ومائة وألف نهار السبت^(١) في طالع يمن وفرح وسرور إن شاء الله . ولكن الغلاء واقع في البضائع وغيرها كما أسلفنا ، فلا عود ولا إعادة .

وبهذه الأيام انفصل مصطفي باشا أخو أسعد باشا العظم من صيدا ، ووُجّهت [٤٥ ب] عليه ولاية أدنة . وبتلك الأيام صار انقطاع نهر القنوات بعد عيد الزبيب^(٢) . وينصف محرّم جاء من إسلامبول قاضي الشام محمد أفندى . وبهذه الأيام سمروا خبازاً باب الجاية .

وفي سابع وعشرين محرّم دخل جو قدار الحج الدالى على باشا ومعه جماعة ، وبشّر بالخير وأن حضرة الباشا والحجاج سالمين . وفي يوم الثلاثاء جاء كتاب حماة وحلب ، ويوم الأربعاء جاء نصرانى في بعض مكاتيب ، وأخبر أن كتاب الشام جرحوه العرب . وبتلك الأيام أتت السماء بمطار كأفواه القرب ، حتى ظننت الناس أن الحج قد غرق ، وكان بمنزلة الصنمين^(٣) . وقد تأخر دخول الحج عن ميعاده

(١) يوافق أولها ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٧٥٦ .

(٢) هو عيد الصليب عند المسيحيين ويقع في أوائل الحريف (٢٧ أيلول أو سبتمبر) .

(٣) محلة في طريق الحج .

نحو جمعة . ونهار الثلاثاء ثاني عشر صفر دخل الحج الشريف، وثاني يوم دخل أمير الحاج وحاكم الشام الحاج أسعد باشا العظم في موكب الحج والمحمل الشريف . وهذه السنة الرابعة عشر كما قدمنا من سنين حججه المتواليات التي ما عُهدت لغيره . أدام الله أيام وجوده آمين .

وبهذه السنة أصلح حضرة أسعد باشا بين أهل المدينة الشريفة وبين العرب الذين حاصروها ، وذلك بعد ما أعطاهم نحو مائة كيس من المال ، فشكرته جميع الحجاج على هذا الصنيع ، جزاه الله تعالى كل خير آمين . وبهذه السنة صار أيضاً نقص في الجمال والناس . فقد نقلوا أنه مات في محطة آبار الغم أكثر من ألف وسبعمائة نفس في يوم واحد من اشتداد الشوب وهو الحر الشديد . وفي قناق^(١) آخر سبعمائة نفس ، ماعدا الذين ماتوا شيئاً فشيئاً . وبهذه الأيام حملت حميرة^(٢) في الأولاد في دمشق الشام ، فمات منهم كثير . وفي يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول أهدى حضرة السلطان إلى حضرة الأمير الحاج أسعد باشا مع قبجي باشي قفطان وسيف عظيم مع فرمان عظيم فيه تفخيم كثير لحضرة الوزير المشار إليه .

وفي ليلة الجمعة توفى شيخنا الشيخ إبراهيم الجبواي السعدي الشاغوري شيخ سجادة الطريقة السعدية ومتولى جامع الأموي^(٣)

(١) القناق كلمة تركية تعنى المرحلة وسيراليوم ، وهى هنا بمعنى المنزل ينزله المسافر .

(٢) مرض كالخسبة .

(٣) متولى الجامع ناظر أوقافه . وقد سبق ذكر الشيخ الجبواي والطريقة السعدية . انظر ص ٩١ وغيرها .

وقد سار للإسلامبول، واجتمع بثلاثة سلاطين : السلطان أحمد والسلطان محمود والسلطان عثمان. وصار له خيرٌ وإنعام، بعد ما ظهر له سرٌّ وبرهان، وخاف كثيراً من الخلفاء في الروم ومصر وحلب والشام، وبلغ جاهاً عظيماً مع تواضع كلِّ بحيث يجلس بالقهاوى [١٤٦] ويسلم على الكبير والصغير، وكان يوم موته يوماً مشهوداً، ودفن عند جده الشيخ حسن الجبازى رحمه الله.

وفي سلخ ربيع الأول من هذه السنة وهى سنة سبعين ومائة وألف مات قاضى الشام ودفن بباب الصغير، وصار له مشهدٌ عظيم.

وفي سابع يوم مضى من تشرين الثانى^(١) هطلت أمطار كثيرة وأعقبها برد شديد وهواء يابس، حتى يبست المياه فى البرك والبحرات^(٢) ويبست الشجر وتشقق الصخر، واستمرت نحو بضع وعشرين يوماً، (ويبس الليمون والكباد والنارنج وغيرهم من الأشجار واستمرت بضعا وعشرين يوماً)^(٣)، حتى تجهدها فى الطرقات كالصخور، ومات كثير من الوحوش والكلاب والطيور. وبلغنى أن شخصاً كان له دجاج، فبيوم واحد مات له اثنين وعشرين دجاجة

(١) وهو شهر نوفمبر.

(٢) جمع بحرة وتطلق فى الشام على ما نسميه (فسقية) أو نافورة.

(٣) ما بين القوسين ساقط من النسخة التيمورية.

مع المحافظة عليهم . وأما في البرارى فلا تسل عما صنع الجليد والبرد فيهم ، فقد مات كثير من الطرش والغنم . ومات من أولاد العرب ونسائهم خلق كثير . وبلغنى أن نواعير حماة وقفت والطواحين أيضا والأسواق سكرت . فالحاصل سبعة مهولة وزميثة مزعجة وجليد مهول ، ما نسمع ربما من مدة سنين .

قال المؤرخ البديرى عفا الله عنه : وفى يوم الخميس منتصف ربيع الثانى من هذه السنة وجهت دمشق الشام على راغب باشا المنفصل عن مدينة حلب . وفى ليلة الأربعاء سلخ ربيع الثانى جاء خبر مع نجاب إلى حضرة الحاج أسعد باشا والى الشام بأنه عزل قولى حلب^(١) . وثانى يوم من عزله أرسل خلف متسلمه موسى آغا والبسه فروة ثمينه وأقاهه متسلم دهب دمشق الشام ، وأظهر له أنه جاء الخبر من الدولة أن يكون كيخية راغب باشا ، ليتعاطى أمور الحاج والدورة ، وبأنه جاءه بشارة أنه بعد فراغ السنة من الحاج أنه والى جدة وباشا بطوخين . فتسلم حكم الشام موسى كيخية . وأخرج حضرة أسعد باشا جميع من فى الجبوس ، وكان فى الجبوس شىء كثير من أربع سنين وخمس سنين وعشر سنين . وأقام أسعد باشا فى دهب دمشق يتردد على

(١) وهكذا لم يمض أكثر من شهر على ورود هدايا السلطان وفرمان (التفخيم) لأسعد باشا العظم حتى عزله الدولة ونقلته إلى حلب تمهيدا لقتله ومصادرة أمواله .

سراية الحكم إلى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الأولى ، جاءه قبحى
بفرمان الحكم فى مدينة حلب وبشارة بطوخين إلى موسى كينجية ،
وأن راغب باشا المنفصل عن حلب قد نال الوزارة العظمى ، وقد توجه
للإسلامبول ، وأن دمشق والشام توجهت على حسين باشا بن مكى
القاطن فى مدينة غزة^(١) .

وأقام الحاج أسعد [٤٦ ب] باشا إلى نهار الاثنين ، ورحل
بالسلامة متوجها إلى مدينة حلب ، بعد ما أمر بإصلاح الوجافين^(٢)
وأن يجعلوا فى كل مصابة^(٣) جماعة من الأنكشارية وجماعة من
القبول ، وأن يجعلوا عليهم فى كل قلق^(٤) واحداً أنباشى^(٥) .

وقد شاع الخبر بأن الوالى المقبل على الشام سىء الخلق ظالم
غاشم . وقد خافت القبول من الأنكشارية وجميع حواشى أسعد
باشا ، وصاروا يأخذون فى القيل والقال ، وقامت بعض السفهاء
من أهل الحقلة والميدان^(٦) فردتهم أكابره ، وصار فى البلد خوف

(١) انظر فيما سبق ص ١٨٨ .

(٢) يقصد الصلح بين القبول والأنكشارية أى بين جند الدولة والجند المحلية .

(٣) لعلها (مصطبة) .

(٤) القلق تحريف عربى للكلمة التركية (قوللق) وهو مركز العسكر

أو ما نسميه الآن نقطة البوليس .

(٥) أنباشى جاءت فى النسخة الظاهرية (ياباشى) ولعلها تحريف للكلمة

التركية (ياياباشى) ومعناها رئيس الجند المشاة .

(٦) كلاهما حى فى جنوبى دمشق .

عظيم وأراجيف ، حتى عزلت القبول ، وعتها ، وعزلت أصحاب
الدكاكين دكا كينهم من سائر الأسواق .

وكان أول حكم موسى كخيية المسلم^(١) أن أمر جميع المنازل
التي في الحارات من عشرين ثلاثين سنة تعمرها أهل محلتها ، فأخبطت
البلد خبطة مزعجة . وفي ذلك اليوم شتق [الباشا] شابا من أولاد
السويقة يقال له ابن سمرتين ، فقلت الرواجف وأمنت الناس .

وفي يوم الثلاثاء وليلة الأربعاء بعد المغرب شاع خبر حتى
وصل إلى السرايا بأن أحمد القلطةجي الذي كان من رأس الزرباوات
الذي هرب وعصى في جبل الدروز كما أسلفنا ذكره^(٢) هاجم ليلة
الأربعاء على الشام . فاشأماها من ليلة على أهل الشام من كثرة
ما دهمهم من الخوف والرعب والسهر وإخلاء البيوت والدكاكين
وقد صفت المتاريس في جميع البوابات . وكانت ليلة من هولها
كليلة القيامة ، لم تنق أهل الشام بها يوماً قط ، وهم ينتظرون طلوع
الفجر ، فلما لاح لهم لم يجدوا شيئاً مما توهموه ، وكان الخبر كاذباً -

وفي يوم الخميس خامس جمادى الثانية مع أذان الظهر كان
دخول حسين باشا ابن مكى إلى دمشق الشام ، والمنفصل عن مدينة

(١) هذا يؤيد عدم صحة ما ذكره البديرى في حوادث سنة ١١٦٤ (١٧٥١)
عن وفاة موسى كخيية .

(٢) انظر فيما سبق ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١١٦ ، ١٧٧ .

غزة التي هي وطنه^(١). ودخل بموكب عظيم حافل بالافندية وأعيان الشام وبالانكشارية كلها خيالة ، والقبول كلها مشاة في العدد الكاملة والأسلحة المزخرفة والزينة الشاملة ، ووقف العامة والخلق تدعو له ، وتصيح وتستغيث من جور أعيان الشام^(٢) والغلاء. وثاني يوم جاءت الافندية والاعيان للسرايا لأجل السلام على الباشا ، فوفقت الناس والعامة في طريقهم ، فلما مروا عليهم ليدخلوا السرايا قامت العامة بالصراخ والضجيج ، وصاحوا [١٤٧] عليهم وقالوا : ارجعوا لا بارك الله فيكم ، أنتم منافقون وتمينوا الحكام على ظلم الفقراء والمساكين ، وأكثروا من سبهم وشتمهم ، ورجعهم بالأحجار وصارت حالة مزعجة . ففتح الباشا باب العدل والتفتيش على الرعية ، حتى صار رطل الخبز بثلاث مصارى . ثم اشتغل بالظلم كأسلافه ، فرجعت الأسعار إلى حالها الأول : كرطل الخبز بخمسة وبسته مصارى ، حتى جاءت سقعة وهي شدة برد مؤلمة ، فلم تبق ثمرة في شهر آذار^(٣) إلا أحرقتها . وفي عاشر رجب حصلت سقعة ما سمع

(١) انظر فيما سبق ص ١٨٨ — ١٩٥ ، وقد كناه الأستاذ محمد كرد على بالفخر الغزوي ، وقال إنه لم يكن شرهاً في جمع المال ويعيل إلى العدل وحسن الرياسة ، غير أنه كما قال المرادي : كان بطيء الحركة عن شهامة الوزراء ، فبسبب ذلك حصل من البرلية (الجند الوطني) والقبول (الحرس) وغيرها من طوائف الأكراد والعسكر فتن وحروب ، وحصل للأعيان والرؤساء الضيق العظيم وقامت عليهم الناس (خطط الشام ج ٢ ص ٢٩٩)

(٢) يقصد بأعيان الشام رؤساء الجند الأنكشارية بها .

(٣) شهر آذار هو مارس .

بنظيرها ، فأتلقت ما بقي إن كان بقي شيء من النار .

وفي سابع عشر رجب نهار الأربعاء توفى الشيخ الجليل العالم الفرضى الشيخ عبد الله البصرى الشافعى^(١) ، علامة زمانه فى كل فن خصوصا فى علم الفرائض ، ودُفن بتربة الشيخ أرسلان رحمه الله . وبهذا الشهر الشريف أيضا قتل رجل فى الميدان ، ووجدوا ثلاثة أشخاص مذبحين فى تربة البرامكة . وبعشرين من رجب هاجمت المغاربة على الباشا ، ثم قوّسوا على العوام ، فقتلوا مقدار عشرة رجال وحرّقوا أيضا محلات . وبهذه الأيام وجدوا امرأتان مذبحتان [كذا] فى تلة باب الصغير . وبهذا الشهر أيضا وقعت فتنة بين المغاربة اللواند الأكراد ، وقتل من الفريقين مقدار خمسة عشر رجلا وسكرت الشام ، ثم انقضت على الصبح . وفى السابع والعشرين من رجب شق حسين باشا والى الشام رجلا من الميدان أنهم بالحرام ، وكان سابقاً قد قتل أمه ذبحاً .

قول التاريخ البديرى رحمه الله تعالى : وبهذه الأيام جاء خبر بأن الحاج أسعد باشا بن العظم والى حلب قد جاءه فرمان بأن يسير

(١) وصفه المرادى (ج ٣ ص ٨٦ - ٨٧) بأنه كان مؤرخاً وله باع فى كل علم وخاصة الفرائض حتى سمى بالفرضى ، وقال إنه كانت له مكتبة حافلة ، وألف تاريخاً لأبناء عصره أخفاه ورثته بعد وفاته .

إلى مصر واليا ، فعمت به أهل حلب ، وقالوا لا نريد غيره ، وكانوا
الدولة العلية بذلك . ثم بعد أيام جاء مقرر حلب لآسعد باشا بن العظم ،
ولأخيه سعد الدين باشا منصب مرعش ، ولأخيه مصطفى باشا
منصب الموصل ، فذهب كل واحد لمنصبه ، وأرسل مصطفى باشا
حريمه وأولاده إلى الشام .

وفي أول شعبان خرج حضرة حسين باشا والى الشام إلى الدورة ،
وأقام متسلما مكانه حسين آغا ألاى بيك السباهية ، فعدل ولم يظلم
ولم يتعد على أحد . وقبل خروج [٤٧ ب] الباشا أمر الوجودين
بالصلاح وترك الفساد والعناد ، وسلمهم البلاد والعباد ، وأوقف مصطفى
آغا الزعفرنجى اختيار وكبير القبول تفكجى باشى بباب السرايا ،
بعد ما ضمن على نفسه إصلاح البلد .

وقد دخل رمضان نهار الخميس ، ودخل معه الغلاء الأكبر في الشام
في جميع الأصناف ، فوصلت غرارة القمح إلى الخمسين غرش ، ورطل
الخبز من سبع مصارى إلى اثني عشر مصرية ، بعدما كان بثلاثة مصارى
رطل أعلا خبز ، ورطل الأرز بأربعة عشر مصرية ، والدبس كذلك
والبصل أيضا ، ومد العدس وكذلك الحمص والماش [كذا] واللويا
والبرغل بثلاثين مصرية ، ومد الشعير باثني عشر مصرية ، وأوقية
الثوم بمصريتين . والحاصل كل شيء غالى مع قلة الأسباب
وقلة الحركة .

وفي ليلة الاثنين ثاني عشر رمضان صارت فتنة عظيمة بين أوجاق
الانكشارية ووجاق القيقول ، لم تعهد منذ زمان ، وساعدت القيقول
الدلائية والأكراد والمواصلة^(١) . وحاصرت كل حارة جماعة ،
وكانت النصر الانكشارية^(٢) ، بعد ما ضربوا عليهم المدافع من
القلعة يومين وليلة ، وتتل جماعة من العامة وقليل من الانكشارية .
لكن قتل من القيقول وأتباعهم خلق كثير ، بعد ما حاصروا حارة
باب السريجة ، وملكوها وخربوا بها بعض بيوت ودكاكين ، وحاصروا
أيضا حارة الشاغور ، حتى إنهم أشرفوا على أخذها ، جاء النقيب حمزة
أفندي وبعض مشايخ أصلحوا بينهم . ثم بعد اليوم الثالث اختلفوا .
وفي عشرين من رمضان جاء حسين باشا والى الشام من الدورة فلم
يجرك ساكنا . وكان عيد الفطر نهار الأربعاء . وفي العشر الأول من
شوال قدم مصطفى آغا بن علي أفندي الدفترى من إسلامبول برتبة آغا

(١) جند من الموصل .

(٢) قال المرادى في ترجمته لحسين باشا مكى (سلك الدرر ج ٢ ص ٦٠ - ٦٢)
إنه بدخول هذا الوزير حصل للهند البرلية أى الأنكشارية الحلية « بقدمه كمال
الحظ الوفير والانبساط ، وظهر ابتداء شوكتهم من ذلك العهد وقوى ، وكان ابتداء
ظهورهم ثانياً وتطاولهم » .

وقد أرجع المرادى ذلك إلى أن هذا الوزير « كان بطيء الحركة عن شهامة
الوزارة » . على أننا نلاحظ أن الأنكشارية كان قد قوى أمرهم في عهد أسعد باشا
العظم حين رأى حسن بلائهم في قتال الدروز فقرَّبهم وأحسن إلى رؤسائهم .

على الانكشارية ، ودخل في عراضة - أى مركب - لم تُعهد في الدولة الشامية .

وفى تاسع عشر شهر شوال توجه حسين باشا بن مكى والى الشام أميراً على الحاج الشريف ، وذلك بعد ما هشت ماه جميع الانكشارية والقباول . وكان قبل خروجه للحج جمع اغوات الفريقين ، وأصلح بينها ، وكتب حجة عليهم بحضور القاضى والمفتى وأعيان البلدة ، مضمونها أن كل من تعدى يكون عنده مائة كيس (١٤٨) لمطبخ السلطان ودمه مهذور . فسكنت البلدة وصارت كقده اللبن ، ولم يحصل أدنى مكدر . وبقيت الراحة إلى يوم الأحد ثالث عشر ذى الحجة ، جاء كردى اسمه ولى ، وكان من جماعه أسعد باشا بن العظم والى مدينة حلب حالا . وكان هذا الرجل الكردى له فى الشام أسبقية ظلم وعدوان على أهل الشام ، فقامت عليه الانكشارية والعوام وقالوا اقتلوه ، فهرب إلى القلعة واحتتمى بالقباول فحموه . وقبل خروج الباشا قامت أهل الشام بصوت واحد إننا لا نريد غريباً فى بلدنا ، فأخرج لهم الباشا يردى^(١) بذلك بأن لا يبقى فى الشام غريب كيت^(٢) . فخرج بعد خروج الباشا أناس وبقيت أناس . فلما قدم هذا الرجل تضررت منه العامة والأعيان ، وأرسلوا له خبراً أن يرحل

(١) يقصد بيورولى أى أمر عال .

(٢) وقد تكون هذه الكلمة (كيت) بالتركية ومعناها اذهب أو انصرف .

بنفسه ويحقن دمه . فأبى الخروج من الشام ، وقد طمع بكونه احتفى بالقلمة عند القبول . فخالاً سكرت البلد وتجمعت أغوات الانكشارية وتبعهم العامة ، وقاموا على قدم وساق ، فاجتمعت العناتية^(١) والأكراد والدالانية ، فنهضت القبول وقام معها أهل العمارة ، وأغاروا على الدرويشية^(٢) ، وتقاوسوا مع الانكشارية إلى أن أقبل الليل ، فجهجوا على حواصل الانكشارية الملائنة أخشاب وأحرقوها ، وكانت تساوى عدة أكياس مال ، فقامت الانكشارية على أهل العمارة وشردت أهلها ونساءها وأولادها إلى جامع الأموى ، ثم وضعت بها وبأسواقها^(٣) النار ، حتى صارت ساحة سماوية . واشتد الأمر على أهل العمارة من ظلم وعدوان الانكشارية ، وقد أعانهم بالحماية الجماعية أولاد الحلقة من الميدان ومعهم بعض رجال من الدروز ، وفتحوا أبواب المدينة ، ولم يُعهد ذلك قبل الآن ، وحضروا القبول ورجعوا كلٌّ إلى الموصلية والبغادة والدالانية وحصروهم ، ووقع القتل بين الطائفتين .

وفي ليلة رابع عشر من ذى الحجة خسف القمر خسفاً مهولاً .
وفي اثنين وعشرين من ذى الحجة حصلت زلزلة في دمشق لم تُعهد

(١) نسبة إلى مدينة عينتاب .

(٢) لإحظ تمصب أحياء المدينة بعضها على بعض واستماعة كل منها بفريق من الأجناد .

(٣) وبأولادها : في النسخة الظاهرية ، ولا يستقيم المعنى .

من مدة أعوام ، واستمرت عدة أيام بالليل والنهار ، وذلك بعد ما كُست الشمس ، حتى رؤيت النجوم نهارة ، ولا كانت هذه الأمة تعتبر اعتباراً .

ودامت هذه الفتنة [٤٨ ب] أياماً بين صلح وقيل وقال ، حتى صار الديوان عند الأغرّات وأكابر الشام ، وبُت القرار على إخراج غريب كيت^(١) من الشام ، وأن يخرج ولي الذي كان سبب الفتنة . فأخرجوه [كذا] الأغرّات ، ومعهم على أفندي المرادى تطيباً لخاطر أهل البلد ، ولم يزالوا خارجين بهم إلى خارج البلد ، فرجعت الأغرّات والأفندي المرادى وبقي الوجل على حاله . ثم صارت أهل كل حارة تسهر كل ليلة . وبقي الأمر على ذلك إلى أن وصل الخبر إلى الشام بأن الذين خرجوا نهبوا القرايا وقتلوا النفوس ، وهتكوا الحرم . فأرسلت الحكومة أوراقاً إلى أهل البرّ والقرايا أن يقتلوهم أو يطردهم ، فتمعضبوا عليهم وطردهم ، ولكن بعد ما قتلوا ونهبوا . ثم رأوا القبجي في طريقهم فشاجوه^(٢) ، وقتلوا بعض جماعته . وبقيت أهل الشام بين خوف وأهوال ، إلى أن كان يوم الاثنين سابع والعشرين من ذي الحجة وصل خبر إلى الشام بأن موسى باشا

(١) انظر فيما سبق ص ٢٠١ حاشية رقم (٢)

(٢) أي نهبوه .

باشة الجردة^(١) لما وصل إلى القطرانة خرجت عليه العرب شلحوه ،
ونهبوا الجردة وكل ما فيها ، حتى شلحوه لباسه وخاتمه من أصبعه ،
وأنزلوه من تحته ، وركبوا مكانه في التخت ، وأخذوا طبوله وأطواخه
ومدافعه . وكان كبيرهم يقال له قعدان الفايز^(٢) . ثم تفرقت الجماعة الذين كانوا
في الجردة ، فرجعت منهم أناس إلى الشام ، ومنهم ناس انقطعوا
في حوران ، ومنهم ناس هربوا إلى غزة ، وناس إلى القدس ، وناس
إلى معان مع ابن موسى باشا ، لأنها قريبة من الموضع الذي نهبت فيه
الجردة . وأما الباشا فإنه رجع إلى قرية داعل وأقام بها مدة أيام .
فأرسلوا له تحتاً ليحملوه به ، فوجدوه قد مات ، فحملوه وجاؤا به إلى
الشام . وكان دخوله على البلد في أول الليل ، وثاني يوم دفنوه في تربة
سيدي نحر رضى الله عنه .

سنة ١١٧١

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة وألف^(٣) ، ونحن على هذا

(١) كان قبل ذلك كتخدًا لأسمد باشا العظم ومتساما له في دمشق ، ثم رقى إلى
منصب باشوية صيدا ، واختير هذا العام سرداراً على الجردة . وقد نال عنه ميخائيل الدمشقي
بأنه كان ظالماً ، وأصله من معرة النيمان ولذلك غلب عليه لقب المعراوى .
وتد سبق للبديري أن ذكر وفاة موسى كيخية في حوادث سنة ١١٦٤
ثم عاد فذكر المناصب الأخرى التي تولها حتى وفاته في سنة ١١٧٠ .

(٢) شيخ عرب ، صخر (انظر فيما سبق ص ٢٢)

(٣) ويوافق أولها ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٧٥٧ .

الحال ، نسأله تعالى أن يحوّل حالتنا الى أحسن حال .

وفي هذا الشهر المحرم الحرام توفي العالم العلامة خاتمة المحدثين وبقية السلف الصالحين الشيخ صالح الجيني^(١) المحدث الكبير تحت قبة النسر في الجامع الأموي ، وصار له مشهد عظيم ، ودفن بياب الصغير ، رحمه الله تعالى .

وفي تلك الأيام خرجت جردة ثانية دون الجردة الأولى . وفي سابع [١٤٩] وعشرين محرم دخل جو قدار حسين باشا والى الشام وأمير الحاج ، ومعه ثلاث هجائة مردفين ، ومعهم أخوان مظيان شيخ عرب الحجاز^(٢) ، فتباشرت أهل الشام وزينوا الأسواق بالفتاويل . فقامت القبقول وخرجوا وقوسوا على الرعية ، وصارت هزة قوية ، وبقيت الفتنة في البلد بين الانكشارية والقبقول والأشراف ، فقتل القبقول من الأشراف نحو ثلاثين رجلا وقوسوا على جامع الأموي ، وقتلوا الشيخ عمر كعب مؤذن الجامع ، وكان نازلاً من أذان الظهر ، وقتل فيه بعض أولاد ، وصار المرح في أسواق

(١) أشاد المرادى بملوّ كعبه في قفه أبي حنيفة حتى « انتهى إليه من القه في زمانه » وانتفع به خلق كثير . وذكر المرادى وفاته في ذي القعدة ١١٧٠ هـ .
البدري وفاته حق المحرم من السنة التالية (المرادى ج ٢ ص ٢٠٨ - ٢٠٩) .

(٢) مرّ بنا (ص ٧) مقتل ابن مظيان (ويكتب في النسخة التيمورية ابن مزيان) « شيخ عرب بين الحرمين » في القتال الذي وقع بينهم وبين والى الشام في سنة ١١٥٤ هـ (١٧٤١ - ٤٢) .

المدينة مدة أيام ، ثم دخلت الأغوات والأفندية بيهم بالصلح ، فأبوا ، فقالوا لهم : ارفعوا القتال واصبروا حتى يأتي حسين باشا من الحاج ، ويفصل [في] هذه الأحكام ، فرفعوا القتال .

وبقيت القبول في القلعة لا تحول ولا تزول^(١) ، إلى أن كان يوم الاثنين سابع عشر صفر الخير ، والناس مزهوجة من تأخير مجيء الحج ولم تدر ما السبب ، جاء خبر إلى الشام بأن الحج قد شاحه العرب ونهبوه ، والعرب سلبت النساء والرجال أموالهم وحوأئهم . فضحت العالم وتباكت الخاق وأظلمت الشام . وبلغ الناس بأنه جاء إلى المسلم ست مكاتب أن يخرج إلى الحاج نجدة فلم يظهرها ، فقامت العامة وهجموا على المسلم بالسرايا ورجوه بالأحجار ، فاجتمعت الموال والأغوات ، ونادوا بإخراج دواب من البلد وأن يخرجوا^(٢) حوائج وثياب مفصلة ومخيطة ونعال وزرايل^(٣) ، وأن يخرج رجال ملافاة الحاج . فخرج خلق كثير ، وكان خروجهم يوم الجمعة في الحادى والعشرين من صفر الخير ، وذلك بعد ما كتبوا عرضاً للدولة يعلموهم بهذا الحال ، وأرسلوا إلى حصن يطلبون حسن باشا بن السكرلى لأجل أن يحافظ [على] الشام .

(١) عبّر عن ذلك القارى (ص ٨٦) بقوله « ووجاق القول مقيمون وهم ينتظرون الوزير الذى يأتي حتى يخرجوا ويصبر لهم الفرج » .

(٢) في النسخة التيمورية : يجموا .

(٣) لملها : سرايل .

وفى يوم الخميس خامس وعشرين من صفر الخير أقبلت بعض أنكشارية الشام من جهة الحج ، ومعهم حجاج مركبين كل اثنين ثلاثة على دابة ، وهم فى آخر درجة العدم ، والمنادى معهم راية بيضاء ينادى هذه راية الإنكشارية ، فضجت الناس بالبكاء والعيول ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وأخبروا أن خلفهم خلق كثير من الحجاج ، ومعهم النساء والبنات مع الملكة^(١) حفايا عرايا . وبعد يومين أقبلت شرايحة^(٢) الإنكشارية من المزيريب [٤٩ ب] ومعهم المشطجى^(٣) والقفطجى^(٤) الجميع مشاهدين . وفى ذلك اليوم رجعت الإنكشارية ومن بقى من الملاحية^(٥) ومعهم الاغوات ومتسلم حسين آغا ألاى بيك ، وأخبروا عن أحوال وأهوال التى حصلت للحجاج من النساء والرجال من شركفار العرب ولا شك ، حيث أن هذه الأفعال التى فعلت فى الحجاج لا يفعلها عباد النيران : لأنهم أخبروا أنهم يشاحوا الرجل ويفتشوا تحت إبطيه ودبره وفه

(١) كانت أخت السلطان العثماني بمن حج فى تلك السنة .

(٢) جمع چربجى : أى أعيان الإنكشارية .

(٣) قال Tresse (ص ٧٢) إن ال Mostaji (مردجى) هو دليل أمين الصرة (صرة أمينى) وكان يختار من أبناء دمشق ويكون دليلا لأمين الصرة وحجاج الأناضول حتى يصلوا إلى دمشق ، وفى مكان آخر (ص ٢٥٠) ذكر Tresse نقلا عن Corancez أن الموظف الذى كان يحمل أبناء سلامة الحاج إلى السلطان كان يدعى (Le Muzdegy baschi) أو حامل البشرى .

(٤) انظر فيما سبق ص ١٣٧ .

(٥) أى الذين خرجوا لملاقة الحاج .

وتحت خصيته ، وإن وجدوا الرجل كبيراً يطنه أوله قرّ أى قبيلة
شقوا بطنه ويقروا قرّه أى قبيلته ، ويدخلون أيديهم فى دبر الرجال
وفى فروج النساء ، وقد كانت المرأة تضع الطين على قبلها ودبرها
سترآ لعورتها فيكشفونه . وحاصله صدرت من العرب أمور ما سمعت
من قديم الزمان ولا من عبّاد الأوثان والصلبان . ثم ما سلم من
التشليح إلا الذين هربوا أمام الحج ، وأن الباشا أمر من حوله
بنهب خزنته فهبوها ، فناس سلّوا وناس قتلوا ، ومنهم من
تشلح مرارا .

ثم أقام الحجاج أربعة أيام جوعاً وعطشاً لآماء ولا زاداً ،
ومنهم من مات جوعاً وعطشاً وبردأ وحرّاً ، وذلك بعد ما شرب
بعضهم بول بعض . وما كفى جور العربان ، بل زاد عليهم جور أهل
معان ، غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاب النيران .

وفى تاسع ربيع الأول جاء الخبر بأن حسين باشا والى الشام
وأمر الحاج هو فى مدينة غزة ، ويريد من الشام بغال وتفجكية
ورجالا ، فأبوا أن يرسلوا له شيئاً من ذلك ، بل أرسلوا له بأن يأتى
إلى منصبه ، لأن قبجى التقرير^(١) عندنا ، وافعل ما ترى فيه المصلحة .

(١) أى مندوب السلطان الذى يحمل فرمان التقرير بالولاية .

وقبل ذلك بأيام كان قديم أهد بشه بن الفلطفجى كبير زرباوات الشام ، وكان هارباً له أربعة عشر داما ، فجاء مرة في غيبة أسعد باشا في الحج وفعل ما فعل كما قدمنا . وجاء مرة ثانية في أول حكم حسين باشا المذكور ، فأكرمه وأعطاه ، وخرج معه إلى المزيريب ، ومن هناك غاب ، ورجع هذه المرة الثالثة لما وقعت الفتنة في لشام ، ومن تلك الأعمال نهم فلم تفد شيئاً كما تقدم .

وفي يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول وصل خبر إلى دمشق الشام أن عمر المحاميد شيخ حوران^(١) وجد المحمل والصنjq^(٢) عند العرب ، وقد أرضاهم حتى فكّهما منهم ، ووجد [١٥٠] المحملجى وابن القبقق دار^(٣) وأربع وخمس رجال عليهم المنلة والانكسار .

وفي يوم الثلاثاء سادس ربيع الأول وصل المحمل ودخل إلى الشام ، ومن محمولين على . وسأروه بشوبه الأخضر

(١) هو الشيخ ظاهر العمر

(٢) قال الصباغ (ص ٧٨) إنه « الدم النبوى الذى يقال له العقاب » ، وكانوا يحفظونه في دمشق ويرفعونه أمام قافلة الحاج الشامى ، أو ينشرونه إذا دعا داعى الجهاد .

(٣) لم نجد تفسيراً لهذه الكلمة إلا أن تكون صحتها (القفادار) وهو موظف كان يرافق قافلة الحج ، وعليه أن يقتنى فدية الحجيج ، وقيل لى إن أسرة شيرة بدمشق تحمل هذا الاسم محرفاً (الأفا دار) .

التحتاني ، ومعه محمد بشه السقباوى وبعض فرسان دروز وبعض
عربان ، وذكروا أنهم فكّوه من العرب بمائة وسبعين قرشاً^(١) .
وقد جاء فى منتصف ربيع تتر أخبر بوفاة السلطان عمان ،
ولم يأت بالخطبة لمن هى ، حتى خطبت خطباء الشام بلا اسم
سلطان جمعيتين ، إلى أن كان يوم الاثنين غرة ربيع الثانى جاء
قبجى بخطبة اسم السلطان مصطفى خان^(٢) . أيده الله وأيدّ دولة
بنى عثمان مدى الدوران .

ثم صارت الحجاج تأتى زمراً زمراً ، ثم جاءت البلطجية
ومعهم قاضى المدينة وبعض نساء ، وقد عُدت النساء الذين كانوا
[كذا] فى تلك السنة فبلغن خمسمائة امرأة ، ما بان لهم أثر مع
المملكة أخت السلطان^(٣) .

وفى خامس ربيع الثانى خرجت القبقول من القلعة وتوسوا
على الإنكشارية ، وحصلت فتنة قوية ، ثم أصلح بينهم القبجى
والموال والأغوات ، وبطل الحرب . وفى خامس والعشرين من
ربيع الثانى توفى قاضى المدينة الذى جاء مع الحجاج ، وصارت

(١) قال ميخائيل الدمشق (ص ٤٦) إنهم « استفكوه بسبعمائة ذهب
جزيرلى ، وجابوه مع السنجق محمل إلى المحكمة بدمشق » .

(٢) هو السلطان مصطفى الثالث حكم من سنة ١٧٥٧ إلى سنة ١٧٧٣ .

(٣) ذكر القارى (ص ٨١) أنها « ماتت من المرى » .

تموت الحجاج فاماً بعد لاس ، حتى مات كثير من كان مع الجرودة ، لأن الذي جرى على الحجاج وعلى الجرودة في هذا العام شيء ما سمع ، مما تقشمر منه الأبدان . فإن الله وإنا إليه راجعون ^(١) . وبقيت دمشق بلا حاكم إلى آخر ربيع الثاني ^(٢) إلى أن تحقق الخبر بعد تردد

(١) ذكرت عدة روايات عن المسؤولية في حادث نهب الحجاج والجرودة ، فصاحب سيرة ظاهر العمر (الصباغ ص ٧٨ - ٨٠) ذكر أن الشيخ ظهر وضع المسؤولية على أمير الحجاج حسين باشا ، لأنه طمع في المال المخصص لعوائد المربان ، ولكن الباشا اتهم الشيخ بأنه هو الذي أغرى المربان بما فعلوا وشكاه إلى الدولة ، ولكن التحقيق أثبت كذب الباشا وصدق الشيخ الذي كافأته الدولة بولاية صيدا ، ولكنها في الوقت نفسه أوعزت سرأ إلى والي الشام بأن يسعى للقضاء عليه . أما الحورى قسطنطين الباشا المخلصي في تعليقاته على الكتاب السابق (الصباغ ص ٧٦) فيذكر أن حسين باشا اتهم أسعد باشا سلفه في ولاية الشام بإغراء المربان حقاً منه لنقله من منصبه ، ولما تحققت الدولة - في رواية الحورى - صدق هذا الاتهام أمرت بقتل أسعد باشا ومصادرة أمواله .

ولكن القارى (صاحب وزراء دمشق . نشرة للنجد ص ٨٠) يقول إن حسين باشا أرسل إلى العرب « بأن يأخذوا من المال قدر ما يريدون ويرحلوا عن الحجاج فأبوا ذلك » .

أما الحورى ميخائيل بريك الدمشقي صاحب حوادث الشام وبنان (ص ٤٦) فيتهم حسين باشا بالجهل وسوء التدبير ، « لأن الحجاج لما وصلوا إلى قلعة تبوك ما قدروا يفوتوا ، لأنه بلغهم أن العرب المذكورين رابطين في الطريق ، فقدموا في تبوك اثنين وعشرين يوماً ، وما عرف الباشا رضى خاطر العرب ويفوت ، يا ، بجهله حمل ، ومشي ، ولما قرب إلى ذات حج كبسه العرب ، وقتل عالم لا يعد من العسكر والحجاج » . وقد وصف المرادى حسين باشا بأنه « كان بطيء الحركة عن شهامة الوزارة » .

(٢) عقب كارثة الحجاج نقل حسين باشا مكى والى دمشق إلى إيالة مرعش ، فلم يمكث بها قليلاً حتى أعيد إلى غزة ، حيث كان حاكماً قبل توليته على دمشق ، ولما =

الناس في أمر حاكم الشام بتوجيه ولاية الشام لحضرة الوزير الكبير الحاج عبد الله باشا الشنجي^(١). وكان دخوله مدينة دمشق الشام ضحوة نهار الأحد ثامن وعشرين ربيع الثاني . فخرجت للملاقاته وجوه الشام وأعيانها ، ودخل في موكب لم يمهده لغيره ، ودخل معه عسكر جرّار ، فكان معه أربعين [كذا] ييرقاً من الدالاتية وخمسين ييرقاً من اللوند وعشرين ييرقاً من الأرتوط^(٢) . ثم إنه ثانی يوم عمل ديواناً

= هاجم عرب بني صخر غزوة خرج لقتالهم، ولكنه هزم وقُتل سنة ١١٩٧هـ (١٧٨٣م) وصادرت الدولة أمواله (انظر ترجمته في سلك الدرر للرازي ج ٢ ص ٦٠ - ٦٢)
(١) ذكره القاري (ص ٨١) باسم عبيد باشا الجيته جي ووصفه بأنه « كان رجلاً ذاهية ووقار وكان عالماً فاضلاً أديباً » ، والجيته جي بالتركية تعني الغازي . وقد ترجم له الرازي (ج ١ ص ٩٨ ، ج ٣ ص ٨١ - ٨٢) وأشار إلى كتاب ألفه باسم « أنهار الجنان في آي القرآن » . ولما تولى باشوية دمشق كان يكرم الأديباء والشعراء . وقد أطلعت في المكتبة العامة بقينا على مخطوط (رقم ١١٩٦ Mxt 195) عنوانه « ترويح القلب الشجي في مآثر عبد الله باشا الجيته جي » تأليف رجل كان في خدمته اسمه عمر بن محمد بن ابراهيم الوكيل . وقد ترجم لعبد الله باشا ودعاه « رب السيف والقلم » ، وذكر أسماء بعض مؤلفاته : أنهار الجنان في وجدان آيات القرآن « ورسالة في المروض وأخرى في المراج وذكر له شعراً : وأشاد بشجاعته في قتال نادر شاه وحصار بلغراد ، وتتبع ، مناصب الولايات التي تولاها في أدرنة ووان وديار بكر وطرابزون وسيواس وطرابلس وحلب ودمشق وقتاله عرب بني صخر وشيخهم قمدان وبسطه الأمن في دمشق وعنايته بإصلاح طريق الحج وتأمينه .
وفاة ذكر الغزي (نهر الذهب ج ٣ ص ٣٠١) أنه ولي حلب في المحرم ١١٧٢ هـ ، وكان قبل ذلك قد ولي الصدارة العظمى ، وهو ابن ابراهيم الحسيني الجرمني نسبة إلى جرمك ، بليدة من أعمال ديار بكر .

(٢) قدّر القاري (ص ٨١) القوة العسكرية التي دخلت دمشق مع الباشا بنحو خمسة آلاف جندي ، أرسلتهم الدولة لما علمت بالفتنة التي وقعت بين الانكشارية والقبول ، فسلط الباشا جنده على الانكشارية حتى ولوا الأديبار . وأشار الرازي =

ولقبس المفتى والقاضى ونقيب الأشراف والسيد هلى أفندى المرادى ، وأرسل الباشا يطالب جماعة من الإنكشارية فلم يجيبوا ، فأرسل ينادى بأن أهل العرض^(١) ترحل من بين الإنكشارية ، فلم تر إلا نفل أمتعة وإخلاء دور ودكاكين وأوّل^(٢) دخول الباشا إلى الشام [٥٠ ب] اجتمعت الإنكشارية فلبغوا نحو عشرين ألفاً وأكثر ، وأظهروا الشجاعة وقلة الخوف منه ، وقالوا : نحن لا نحسب حسابه ، ولو كان عسكريه أضعافنا^(٣) .

== إلى أن عبد الله باشا « جاء بمسكر غزير إلى دمشق مختلف الأجناس » . وقال ميخائيل الدمشق [ص ٤٩] إنه « كان معه عساكر كثيرة مثل جراد زحاف أشكال وألوان ، خافت دمشق أكثر من الأول ، رمى الله الخافة في قلوب الإنكشارية . وجميع البلد » .

(١) جاء ذكر « العرض » في كتاب البديرى مرتين : الأولى في حوادث سنة ١١٥٦ كإحدى المظالم التى أبطلها سليمان باشا العظم فى دمشق ، وهى [الشاشية والشيخة والعرض] وقد وصفها بأنها « أموال تفرض على الحرف والصنائع والحارات فى الشام مرة أو مرتين فى السنة » ، والمرة الثانية فى هذا الموضع ، حين قال إن عبد الله باشا التتجى أمر « بأن ينادى بأن أهل العرض ترحل من بين الإنكشارية » . وأرجح أن أهل العرض هنا هم أصحاب الحرف ، وقد أمر الباشا بإخراجهم من الإنكشارية . يؤيد هذا ما جاء فى فرمان السلطان محمود الثانى بإلغاء فرق الإنكشارية سنة ١٨٢١ وترجه إلى العربية الغزى فى تاريخه لطلب ج ٣ ص ٣٤٩ : « وعلى أهل العرض بمد هذا أن يفتحوا دكاكينهم ويكونوا فى أشغالهم ومكاسبهم » .

(٢) وقبل : فى النسخة التيمورية .

(٣) هذه رواية البديرى ، أما القارى (ص ٨١) فيقول إنه لما وصل الوزير بهذه المجموع الضخمة من الجند « وقع الرعب فى قلوب الإنكشارية » .

ولما كانت ليلة الأربعاء اجتمعت من الإنكشارية جماعة في حارة
السويقة، وصاروا يقوّسوا [كذا] ويفزعوا الناس، إلى أن سكرت
أهل الشام البوابات، ولما ظهر النهار هجموا إلى باب الجابية وقوّسوا
إلى ناحية باب السرايا. فبلغ أمرهم حضرة الباشا والى الشام، فانتأظ
غيضاً شديداً. وجاءت الموالى وعمل ديواناً. ثم أرسل الباشا يطلب
منهم الأشقياء الخارجين عن الطاعة، وصاحب العرض يقي بحاله.
فتغلظت أكباد الإنكشارية وتقوّوا، وظنوا أنهم هم المنصورون.
ثم صاح الباشا في جنده وركب في نفسه، وطلب جهة الميدان فلم يقف
بين يديه أحد، وهجم هو وعسكره عليهم، فلم يثبت منهم أحد. فلم يزل
يضرب هو وعسكره بالسيف إلى أن وصلوا إلى خارج باب الله، فقتلوا
منهم خلفاً كبيراً، والذي ما أرادوا قتله أخذوه ووضعوه في
الجنزير^(١). ونهبت المساكن الميدان، ولم يتركوا كبيراً أو صغيراً
إلا قتيلاً أو أسيراً. ولم يتركوا بيتاً ولا دكاناً ولا امرأة ولا طفلاً
إلا استعملوا النهب والسبي وهتك الأعراض من سلب النساء الحلى

(١) ذكر الأمير حيدر مؤرخ الشهابيين (ج ١ ص ٤٤) القتال بين قوات الباشا
والانكشارية، ولكنه نوه باتصار الانكشارية، وعاد ذلك «بسمعة» الدرود
لهم. وهذا غير صحيح، فهو يتناقض مع ما ذكره الأمير حيدر نفسه في عبارة تالية
عن خروج الانكشارية من الشام، فضلاً عن أن البديري صدق رواية، لأنه
شهد حوادث تلك الأيام ودونها. وأيد القارى (ص ٨١) رواية البديري عن
كثرة الانكشارية، وزاد على ذلك أن عبد الله باشا [أو عبدى باشا] فتح قلعة
الكرك، وأرسل إليها الإنكشارية حتى يعدمهم عن دمشق.

وسلب البنات الأبنكار، وغير ذلك مما يعنى الأبنكار، وتمتوا الموت
الذئار، ولم يروا هذه الفضائع الموهلة الكبار. وانتكبت أهل الشام
نكبة في ذلك العام ما عهدت من أيام التيمور، والله عاقبة الأمور .

ونانى يوم الخميس قامت جماعة الباشا إلى النهب، فمنعهم وأمر بجمع
المسلوبات من العساكر وغيرهم، وأن يوضعوا في بعض الجوامع .
وأمر مناديا بنادى كل من له مالٌ منسوب فليأت وليعلمه ويأخذه ،
فأخذوا البعض وذهب الأكر . وأما أتباع الباشا فإنهم صاروا كل
من رأود يقتلوه ويقطعوا رأسه، ويتركوه في الأسواق والآنية والبيوت
وقد ضبطوا الدور التي نهبت، فخرجت نحو أربعة وعشرين ألف دار ،
ومن الدكاكين أكثر من هذا المقدار، وأعظم من ذلك أن زاوية
بيت الشيخ سعد الدين الجبارى التي في الميدان وضعوا بها الامتعة
الثمينة ، ثم تفقدوها بعد ذلك فما وجدوا بها شيئا أبدا ، [٥١] وصارت
العساكر تلحق الانكشارية للقرايا والضيع والبرارى ، فتقتل وتأسر
حتى الأولاد والنساء ، وكثر الجور في البلاد ، وخافت العباد وكثر
الفساد ، وجمعوا رؤسا كثيرة من أشرف وعامة ، وأرسلوها إلى
الدولة ^(١) .

(١) لا يقل عن ذلك ما وصف به ميخائيل الدمشقي نكبة الشام وأهلها على أيدي
جنود الباشا (ص ٥٠ - ٥٣) ، قال إن الوزير نادى بالأمان ثلاثة أيام إلى أن
أمن الناس وظهروا « كمن هم خارجين من القبور موتى عراة حفاة وكل شيء يُرثى
له ويناح ويكي عليه ، وحينئذ ابتداء أول الخاض للعوان والظلم والمظالم والبص ، =

وأمر الباشا بإحضار أئمة الحارات ، وأمرهم أن يكتبوا أن جميع الذى تهب وسلب رده الباشا فى الحال ، ولم يذهب لأحد عقاب ، وختمهم بهذا العرض على هذا الشرط . وكانت هذه مكيدة منه ، ولم يقدرُوا أن يخالفوا أمره . وبقيت جماعة الباشا تهب وتظلم ، وتبغى وتتجبر ، ولا توقر كبيراً ولا صغيراً ، ويقولون عن أهل الشام كلكم كفار ونصارى وأشرار . وكان لا يطعم جماعته إلا اللحم والأرز والخبز الطيب ، حتى قلَّ اللحم ولم يوجد خبزٌ يؤكل ، وعلى كل فرن مئات من الناس الجماعين ، حتى انتفرت غالب أهل البلد ، وصاروا يسألون الناس ، وزاد النكد ونهضت الأسعار نهوض الماكر الجبار : فصارت رطل الأرز بأربعة وعشرين مصرية ، والخبز مثله ، والدبس مثل ذلك ، وأوقية السمن بثمانية مصرية ، وأوقية

== ووقع الخوف والرجفة على جميع أهالى البلد ، وتفزع عن العسكر وتمتروا كالأسود كأنهم فتحوا قلعة بئر الأغراض [لعله يقصد بلمراد] وأما الأرزاق التى نهبها لاتعدُّ ولا توصف من حرير وأرزاق وأموال وتشليح النساء شئ بخزائن اللوك ، وما أصاب محلة ميدان دمشق الجديدة ليس إلا من غضب الله لسه أعمالهم ، لكن ياحيف راج الطاغ مع الصالح ، كما يقول المثل البلايم . ولم تزل دمشق كمثل الامرأة الحيرانية وكمثل السكران خانفاً مدة سبعين يوماً من حين دخول الوزير للبلد إلى حين خروجه للدروز . وكل هذا شئ مهول لا يجب له سوى النوح والبكاء لأن هذا غضب الله . وأضاف ميخائيل المشقى إلى ذلك أن الدولة أهدت الوزير قدراً كبيراً من النقود الذهبية تقديراً له « لأنه فتح الشام » ففرقه على جنده ، ولكن أهل الشام أبوا أن يتعاملوا به لأنه كان « عاطلاً » ، حتى إنهم أبوا أن يفتحوا محلاتهم واخفوا فى بيوتهم أسبوعاً الى أن خرج الباشا إلى الدورة . وعاتق المشقى على هذا كله بقوله : « وهذا الدل كله من سماح الله تعالى » .

الزيت بأربعة مصارى ، وغرارة الفصح بثلاثة وسبعين غرشا ، وغرارة الذرة بثمانية وأربعين ، وغرارة الحمص بستين غرشا ، وغرارة العدس بخمسة وثلاثين ، والشعير بخمسين ، وأوقية السماق ^(١) بأربعة مصارى ، ورتل البصل بأربعة ^(٢) مصارى وعلى هذا فقس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وبعد مدة أيام قطع الباشا خرج ^(٣) بعض العساكر والبيارق ، فصاروا يغيرون على القسرايا ، وينهبون الأموال والأعراض والآولاد . ولا تسأل كذلك عن عسكر الباشا ، فإنهم نهبوا البساتين وكسروا الشجر وشلحوا البشر . ومع ذلك فإن الباشا لم يرض بذلك ، وطالما عاملهم بالتأديب والضرب الأليم ، فلم يرجعوا حتى صار يقتل منهم ^(٤) . وأرادت أهل الشام أن تقابلهم ، لكن لم يجدوا أحدا يأخذ بيدهم ، وأكابر الشام لم تتكلم بخير ، والأمر لله .

(١) نوع من التوابل حامض الطعم يستخدمه أهل الشام في الطعام .

(٢) بمشرة في النسخة التيمورية .

(٣) مرتب أو مملوقة .

(٤) أنصف البديري هنا عبداً لله باشا أجهته حتى ولكن ميخائيل الدمشقي أشار إلى أن الباشا شارك جنوده في نهب أهالي دمشق فقال (ص ٥٢) : « وبالغوا بأن دخل على الوزير في مدة سبعين يوماً نحو أربعة آلاف كيس من ظلم أهالي دمشق من الموالى والرعية والحرف ومن النصارى والإفرنج واليهود ومن البستانية ومن أهالي الأراضى ومن أهالي القرايا التي حوالى الشام ، إلى أن فقد القرش من الشام بالسكينة » . وقد بلغ من التخريب الذي حدث بدمشق أنه — في رواية =

وبهذه الأيام نفي الباشا نقيب الأشراف حزة أفندي إلى القدس . وبعد مدة جاء فرمان مع قبجي بأن عبد الله باشا الشنيجي والى الشام له الأمر المفوض بفعل ما يريد بلا مشاورة . ثم لأنه تحرك لسفر الدورة ، فأمر بإخراج المدفعين اللذين في باب القلعة ، وكان لهم سنين وأعوام لم يخرجوا ، فعمل لهم عربات [٥١ ب] ومن الحديد حلقات ، بلغ وزنهم مع الخشب ثلاثة وثلاثين قنطاراً ، وخرج بها طالباً سفر الدورة ، وعمل شواهي مثل المدافع الصغار وركبها على ظهور الجمال تدور يمينا وشمالاً ، ثم أمر العامة أن يجرّوا المدافع الكبار ، فقتل منهم رجلان وتحطم منهم جماعة . وقد فرضت جماعته على الحارات والأسواق مال ، فلبّوه باستعجال .

ولما خرج الباشا إلى الدورة شق متسلّمه رجلاً . وجاء بعض أعوانه برجل شريف ، وقالوا : هذا قوس مع الانكشارية ، فخالاً أمر بخنقه ولم يشارر أحداً . وصار الآخر يظلم وهذا يجور ، وزاد البلاد والغلاء ، وجلس على كل حانوت من حوانيت الخبازة واحد من أهوان الحاكم ، وذلك من كثرة ازدحام الخلائق وكثرة النساء والأولاد

= القاري (٨٣) — لا « وحل خبر الشام إلى الدولة العلية بأن الشام انهدمت وما بق منها شيء إلا عدم النفع جهزوا قبجي باشى ومعمار باشى ومعهم بناؤف لعارة جامع الأموى وعمارة القلعة » .

فتسمع لهم بكاء ونحيبا يقطع القلوب والأكباد . والأمر لله
لأنه مراده .

وفي تلك الأيام جاء الخبر بقتل أسعد باشا بن العظم وإلى
الشام سابقا^(١) . وبعد أيام جاء قبجى من جهة الدولة بنحتم سرايته
وضبط ماله وختم بيوت جميع أنبأته وأعوأنه وضبط مالههم ورفعهم
إلى القلعة ، وازدادت الشدَّة ، وصارت أهول وأهول فى دمشق الشام
ما وقعت فى سالف الأزمان . ثم جاءت أتباع ابن العظم أسعد
باشا ، ودخل القبجى إلى السرايا ، فأخرج الدفائن العظيمة من سرايته
فإذا هى كالسكنوز المودوعة فيها ، فأخرجوا من الأرض ومن الحيطان
والسقوف والأحواض حتى من الأدبات دراهم ودنانير وأمتعة
نفيسة لا تقام بقيمة ، ومجوهرات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله
تعالى^(٢) والحكم لله العلىّ الكبير .

(١) لم يذكر البدرى تعليلا لمصرع أسعد باشا العظم ومصادرة أمواله . وقد
ذكر الحورى قسطنطين الخلقى فى بعض تعليقاته على تاريخ الشيخ ظاهر العمر
للصباغ (ص ٧٦) أن حسين باشا مكى اتهم سلفه أسعد باشا أنه بسبب نقله عن ولاية
دمشق أغرى العربان بنهب الحاج (وقدمر بنا هذا الحادث الشنيع) ، فلما تحقق للدولة
صدق هذا الاتهام صدر الأمر بإعدامه خنقا فى الحمام ، بعد أن كان قد صدر أمر بعدم
رفع السلاح عليه ، وقد تابعه فى هذه الرواية ميخائيل الدمشقى (ص ٥٩) .

(٢) قدّر ميخائيل الدمشقى (ص ٦٠) أن مقدار ما صودر من متاع الباشا
وأمواله ومجوهراته وخيله وعبيده بلغ نحو ١٠٠ ألف كيس ونيف ، وقال إن
أسعد باشا العظم قُتل فى صيواز (سيواس) .

وفي يوم الخميس رابع رمضان جاء الباشا من الدورة ودخل دمشق. وفي سابع عشر شوال خرج عبدالله باشا الشنجي للحج الشريف بموكب عظيم وهدم جرّار .

وبتلك السنة تُوفى الشيخ أحمد المنيني^(١) الحنفي خطيب الجامع الأموي رحمه الله تعالى . وجاء سيل عظيم في رباعية الصيف نزل في قرية جبة من قرب يبرود، وكان نزوله في أول الليل ، فما كان إلا ساعة حتى أخذ قرية جبة عن بكرة أبيها ، ثم مرّ على يبرود، فغطى جميع الكروم وهدم وقتل، ثم وصل إلى قرية النبك يهدر في جريه مثل الرعد، فأتلف بها كثيراً . نسأله تعالى اللطف بالمقدور .

سنة ١١٧٢

ثم دخلت سنة اثنين وسبعين ومائة وألف، وكان أوّل محرّمها^(٢) نهار (١٥٢) الثلاثاء وكان المتسلم في الشام من قبيل عبد الله باشا سليمان آغا ، وكان ظالماً غاشماً على ما نقلوا . وكان مجيء جو قدار

(١) نسبة إلى قرية « منين » من قرى دمشق . وصفه المرادى (سلك الدرر ج ١ ص ١٣٤ - ١٤٥) بأنه كان « أديباً لغوياً نحوياً أديباً أريباً حاذقاً لطيف الطبع حسن الخلال » ، درّس بالجامع الأموي ومدارس أخرى بدمشق وأخذ عنه كثيرون . وألف كتباً كثيرة أكثرها في الفقه .

(٢) يوافق ٤ سبتمبر (أيلول) ١٧٥٨ .

الحج سلخ محرم الحرام . وكان سردار الجردة عبد الرحمن باشا باشة طرابلس^(١) . وفي خامس صفر الخير كان دخول الحج الشريف إلى الشام . وكانت سنة راحة لكافة الحجاج ، وذلك بسبب أن الباشا قد قتل من العرب بين الحرمين ما لا يُحصى ، حتى قتل شيخ العرب^(٢) . وجاء تقرير الشام للباشا قبل وصوله إلى الشام .

وكانت هأة رمضان ليلة السبت ، وضربت المدافع في الثلث الأخير من الليل . والفلوس كل أربعة وعشرين بمصرية^(٣) . وثبت عيد الفطر قبل ظهر يوم الأحد ، وصلوا العيد قبل الظهر ، وفطر الناس بعد أن كانوا صائمين .

وفي سادس عشر شو ال توجّه الحاج عبد الله باشا الشنقي أميرا على الحاج ، ورافقه في الركب نسوة من باشا العظم والباشا الجدة ، وأخذوا معهما عساكر كثيرة ، خيعة من الركب من قتل عبد الله باشا لشيخهم وجنوده . وفي سابع والعشرين من اسرم قدم جو قدار الحج الشريف وبشر بكل خير . وعزّل عبد الله باشا الشنقي مساعدا شريف

(١) ذكره القارى (ص ٨٢) باسم عبد الرحمن باشا ابن النكبة بنى .
(٢) ذكر المرادى (ج ٣ ص ٨١) في ترجمته لعبد الله باشا أن « أذهب الله على يديه مرده طائفة حرب ، وأفرد تلك الواقعة بالتأليف والسلامة السيد مشير البرزنجي وسماه : « النفع الفرجى في الفتح الشنقى » .
(٣) انظر ما سبق ذكره عن أسعار العملة .

مكة ، وأقام أخاه جعفر مقامه ^(١) . وكانت وقفة الحاج الجمعة ، ونهار السبت .
سابع صفر دخل الحاج الشريف لدمشق الشام ، وهو بغاية الصحة .

ثم بعد دخول الحج أمر عبد الله باشا منادياً ينادى في الشام
يرفع الظلم والعدوان والعدل من الحكام والرعايا ، وصار يتبدل
ويجتنى ويدور في شوارع الشام وأزقتها . فخصت الراحة عموماً
يباطال الشرور وانعدام أهل الفجور . وكان الباشا قد قطع خرج
غالب عسكره وأمر برحيلهم من الشام ، وأن لا يبقى بها من لا شغل
له ولا صنعة ، فرحل خلق كثير ، وأرسل جميع جماله إلى حماة . وكان
ذلك من لطف الله بالشام وأهلها ، والغلاء مطنب كما تقدم . وكان
قاضى الشام رجلاً صالحاً ، فعمل محتسباً وصار يدور بنفسه على السوق
ويعير الموازين والأرطال والأواق ، فالذى يجد أواقه ناقصاً يضربه
عاقبة على رجليه ، والذي يجد أواقه تامة يعطيه مصرية من فضة .

ودخل ربيع الثانى المواق تشرين ثانى ^(٢) ولم ينزل من السماء
قطرة ماء . وفى ليلة الثلاثاء ثامن ربيع الثانى من تشرين الثانى من هذه
السنة فى الثلث الأخير من الليل والمؤذنون فى المآذن يشتغلون
المراسلة [كذا] صارت [٥٢هـ] زلزلة خفيفة ، وتبعها ثانية ثم ثالثة

(١) ذكر المرادى (المصدر السابق) أنه بعد عودة الباشا من الحج عاد الشريف
مساعد وأزاح أخاه عن شرافة مكة وولها ، وشكا الباشا إلى الدولة ، فكانت هذه
الشكوى « أقوى سبب » لعزله عن ولاية دمشق .

(٢) هو شهر نوفمبر .

زُلزلت منها دمشق زلواً شديداً ، حسبت أهل دمشق أن القنيطرة قد قامت ، فهُدّمت رؤس غالب مآذن الشام ودور كثيرة وجوامع وأماكن لا تحصى ، حتى قبة النصر التي بأعلا جبل قاسيون زلزلتها وأرمت نصفها ، وأما قرى الشام فكان فيها الهدم الكثير ، والقنيطرة التي وجدت تحت الهدم لا تحصى عدداً . وفي الليلة الثانية زُلزلت أيضاً في الوقت الذي زُلزلت فيه الأولى ، ثم حصلت في وقت صلاة الصبح وبالنهار أيضاً ، ولا زالت تتكرر مراراً لكنها أخفّ من الأولين . وقد زاد الخوف والبلاء ، وهجرت الناس بيوتهم ، ونامت في الأزقة والبساتين وفي المقابر والمرجة ، وفي صحن الجامع الأموي . وفي هذه الزلزلة وقع خان القنيطرة على كل من كان فيه ، فلم يسلم من الدواب والناس إلا القليل ، وكذلك خان سمسع^(١) . وقد وردت الأخبار إلى دمشق الشام أن بعض البلاد والقرايا انهدمت على أهلها ، فلم يسلم منها ولا من دوابها أحد^(٢)

ثم في ليلة الثلاثاء الساعة العاشرة من الليل خامس ربيع الأول انشَقَّت السماء وسُمِع منها صرِيحٌ ودمدمة ودويٌّ وهولٌ عظيمٌ ، حتى إن بعض أهل الكشَف رأى أن السقوف ارتفعت ، وظهرت النجوم

(١) القنيطرة وسمسع بلدان صفيران يمدان عن دمشق بنحو ٦٠ كيلو مترا

إلى الجنوب الغربي منها .

(٢) خربت بملك وماجاورها من القرى ومات منها خلق كثير : مصادر

وعادت السقوف كما كانت . ووردت أخبار أن في بعض البلاد انطبق جبلان على بعض القرى ، فذهبت القرى ولم يظهر لها أثر . وفي ليلة الجمعة الثامن عشر^(١) من ربيع الأول في محل^(٢) أذان العشاء خرَّ نجمٌ من السماء من جهة الغرب إلى جهة الشرق ، فأضأت منه الجبال والدور . ثم سقط فسُمِع له صوتٌ عظيمٌ أعلا من (صوت)^(٣) المدافع والصواعق .

وفي الزلزلة الأولى وقعت صخرة عظيمة في نهر القنوات فسُدَّت النهر ، وانقطع الماء عن البلد أحد عشر يوما ، وبقيت قُطَاع الأحجار يقطعون فيها أحد عشر يوما ، فصارت الناس في غمٍّ: غمٌّ الزلزلة وغمٌّ قلة الماء .

وفي ليلة الاثنين سادس ربيع الثاني في الساعة الخامسة صارت زلزلة عظيمة أعظم من الأولى بدرجات . وقد صارت معها رجّة مهولة أسقطت غالب بقية المآذن ، وأرمت قبة الجامع الأموي الكبيرة والرواق الشمالي جميعه مع مدرسة الكلاسة وباب البريد وأبراج القلعة وغالب دور دمشق ، والذي سلم من الوقوع تناثر من بعضه البعض ، وقُتل خلق كثير خصوصاً في القرايا ، ورحلت الخلائق للبساتين

(١) السابع عشر : في النسخة التيمورية .

(٢) أى وقت .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

وللجبال والترّب [٥٣ ب] وإلى المرجة ، ونصبوا بها وبالبراري
الخيام وناموا بعيالهم وأولادهم ، ومع ذلك فلم تبطل الزلزلة
والرجفان لاليل ولا نهارا . ثم أمر عبد الله باشا الشتجي وإلى الشام
وفقه الله تعالى منادياً ينادى بالناس أن يصوموا ثلاثة أيام وأن
يخرجوا في اليوم الرابع إلى جامع المصلّى ، فإنه مشهور بإجابة الدعاء فيه .
فخرجت الناس من كل فج عميق إلى المصلّى ، وخرج حضرة الرزير
معهم وجميع الأعيان والمفتى والقاضي ، وخرجت العلماء وأهل الطرق
والصوفية والنساء والأولاد ، ولازموا الدعاء في المصلّى ثلاثة أيام
بضمج وبكاء وخشوع كيوم عرفات ، بل كوقوف القيامة ، فرحمهم
أرحم الراحمين ، وعاملهم باللطف والتخفيف ، فصارت الأرض تحتلج
اختلاجاً خفيفاً ، ولم تزل الناس في البساتين والبراري خائفة حتى
نزل عليهم الثلج المطر وصار الجليد إلى أن خفت [الزلزلة] ورجعت
الناس خائفين .

وفي أواسط جمادى الأولى قدم القاضي إلى دمشق الشام ، واسمه
رضا أفندي ، ولم يحرك ساكناً .

وفي (ثامن)^(١) جمادى الثاني ظهر خبر بدمشق أن عبد الله باشا
الشتجي وإلى الشام معزول . وفي ثالث هجر جمادى الثانية^(٢) . وفي يوم

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) بقية العبارة ساقطة من النسخ التي اطلعنا عليها .

الخميس ثلثي وعشرين جمادى الثانية رحل الحاج عبد الله باشا الشنقي
إلى منصب ديار بكر على ما قيل .

وفي ليلة الاثنين الخامسة والعشرين من جمادى الثانية قُبل السحر
صارت في الشام أيضاً زلزلة خفيفة أخفّ من الزلازل المتقدمة .
ثم شاع الخبر بين الناس أنه سيحدث زلزلة عظيمة ، ففرعت الناس
فرعاً شديداً ، ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الخوف والفرع
والخروج للبياتين والمقابر ، نسأله تعالى اللطف .

وفي نهار الاثنين غرة رجب المبارك من هذه السنة^(١) دخل والي
الشام محمد باشا الشالك^(٢) بن بولاد باشا لدمشق بموكب عظيم ضخوة
النهار ، وخرجت لملاقاته الأكابر والأعيان والأفندية والأغاوات ،
وخرجت الإنكشارية بالخيول والتعدد المطلية والدروع الداودية ،
وخرجت القبول بالعدد الكاملة .

(١) يتفق القارى (ص ٨٣) مع البدرى في الشهر الذي مُعزل فيه عبد الله باشا
(أو عبدى باشا) من ولاية الشام وهو شهر جمادى الثانية ، كما يتفقان في الشهر الذي
دخل فيه الوالى الجديد وهو شهر رجب . ولكن البدرى يذكر سنة ١١٧٢ بينما
يذكر القارى سنة ١١٧٣ . ولكن تاريخ البدرى أضبط ، كما يتضح من تسلسل
الحوادث والمقارنة بين الروايتين .

(٢) كتبه القارى (من ٨٣) «الشالك [جالق]» وقال إنه «كان حاكماً مهياً
وكان ذا مال عظيم» ، ولكن لما عزل «ما صدقت الناس من عدة فرحمهم بعزله
لأنهم ظنوا فيه خيراً فخاب ظنهم ، وكان ظلماً بخيلاً» .

وفي يوم السبت سابع رجب دخل نعمان باشا حاكم صيدا ،
فدخل في موكب عظيم ، وخرج للملاقاته والى الشام محمد باشا الشالك
ومعه الأفندية والأكابر والأغوات ، وأنزله والى الشام عنده ،
وأنزل كل آغا من أغواته عند آغا من أغوات الباشا ، ثم أقام في
حفاقة والى الشام محمد باشا ثلاثة أيام وأربعة [٥٣ ب] ليال ،
ورحل لمحل وظيفته ومنصبه بصيدا .

وفي نصف شهر رجب جاء ريح عظيم استمر أربعة أيام ولياليها ،
حتى هدم أماكن كثيرة ، ولم يبق من الأشجار إلا القليل ،
وارتجاج من الزلازل لم تبطل لا ليلا ولا نهارا ، مع وقوع الغلاء
حتى في الخضروات ، فرطل الخبز^(١) بخمسة مصارى ، ورطل
الباذنجان بخمسة وعشرين مصرية ، ورطل البصل بتسعة مصارى ،
ورطل اللحم بقرش وربع لم يوجد ، ورطل السمك بقرش ونصف
وربع . والبقية على نحو ما قدمنا .

قال المؤرخ البديري : والفقر لم يوجد معه ولا منقير ، والهدم واقع
من الزلازل في كل وقت وحين ، والناس رحلت إلى أرض الفلاحين ،
والله تعالى هو المعين .

وفي نهار السبت الثاني والعشرين من رجب جاء قبجي من

(١) القول : في النسخة الظاهرية .

طرف الدولة العلية واسمه سباخ زادة لأجل الكشف على الجامع
الأموي وعمارة قبته وجننه الشمالية ومآذنه المهدومة في الزلازل،
ومعه باش معمارى وفعلة ورجال لأجل مباشرة تعمير الجامع
المذكور.

رى عاشر شعبان سار والى الشام محمد باشا الشالك إلى الدورة
وأخذ معه أحمد بشه بن القاطقجي (ومعه محمد أغا بن دالى وابن بكماز
اللذين كانا هاربين مع ابن القاطقجي) ^(١). فلما وصل محمد باشا ومن
معه إلى نابلس توفى أحمد بشه ابن القاطقجي، ودُفن بها، وكان موته
بالتاعون، لأن مبادئ الطاعون وقع خفيفاً من شهر جمادى الثانية،
ولم يزل يكثر في رجب وشعبان، كما وجود الغلاء كما يأتى.

ثم دخل شهر رمضان المبارك نهار الخميس، وصار العيد يوم
الجمعة، فصار عيداً للأموات والأحياء، سكته للأموات أكثر. فقبل
عيد الفطر بيومين وبعده بيومين يخرج من كل باب من أبواب
دمشق عن مات مطعوناً في كل يوم نحواً من ألف جنازة والعياد بالله .
وهذا شئ. ما سمع من عهد طاعون عمواس ^(٢)، نسأله تعالى

(١) الكلمات بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) هو الطاعون النهير الذى أصاب المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب .

اللفظ فيما جرت به المقادير . وصار النقص أيضاً في المأكلة ، حتى
صارت أوقية الجازك^(١) بمصريتين ، والمشمش رطله بأربعة وعشرين
مصرية ، ورطل التوت بأمانية مصارى ، ورطل التفاح بأربعة وعشرين
مصرية ، ورطل الأنجاص^(٢) بثلاثين مصرية ، ورطل الثوم بثلاثين مصرية ،
ورطل البصل بسبعة مصارى ، واللحم والأرز وغيره على نحو ما قدمنا ،
وقد طال الأمر وكثر القهر وزال السرور ، وزادت البغضاء والشروع ،
ولم يدر الإنسان أين يدور ، من شدة البسكاء والنفور ، ولله عاقبة الأمور .
وفي يوم الجمعة [١٥٤] الخامس عشر من شوال سار محمد باشا الشالك
بالركب الشامى إلى الحرمين الشريفين . وبعد يومين سار الحاج بمهماته
وبعد أيام جاء عثمان باشا^(٣) والى مدينة طرابلس سردار الجردة ، وكان

(١) الجازك كالبرقوق ولكنه أخضر ، ويميل إلى أكله العامة في الشام
وخاصة الصغار .

(٢) الكثرى .

(٣) كان عثمان باشا من ممالك أسعد باشا العظم وأصله كرجى ، وقد جعله الباشا
متمسلاً عنه في حماة ، ثم أصبح وكيله ، ولهذا دعى أحياناً بالوكيل . وبعد أن قُتل
مولاه أخذ عثمان إلى القسطنطينية ليؤدى حساباً عن ثروة سيده ، فأظهر عثمان
إخلاصه للدولة ، ودلها على أموال أسعد باشا وذاخره كاملة ، فدعى بالصادق وكافأته
الدولة بتعيينه وزيراً ذا ثلاثة أطواخ ، وجعلته على ولاية طرابلس ثم دمشق بعد عزل
محمد باشا الشالك في نوفمبر سنة ١٧٥٩ فبقي والياً عليها اثنتى عشرة سنة [١١٧٣ —
١١٨٥ = ١٧٥٩ — ١٧٧١] وعهدت إليه الدولة بالقضاء على الشيخ ظاهر العمر
وأغاثته على ذلك وشجعت بتعيين ولديه محمد باشا على طرابلس ودرويش باشا على صيدا .
انظر : القارى ص ٨٣ ، الأمير حيدر الشهابى ج ١ ص ٥٥ ، الصباغ ص ٩٩ ،
المرادى ج ٣ ص ١٦١ .

نزوله مدة إقامته في قرية من القرايا من غير أسف ولا ندم^(١)، وسار مسافراً في ذى الحجة مع كواخي صيدا ونابلس .

وفي نصف ذى الحجة [توفى] الشيخ أحمد بن سوار^(٢) شيخ الحنابلة، وكان علامة زمانه ووقته، وله شجاعة زائدة وبراعة في العلوم متزايدة، وصار له مشهد عظيم، ودفن في تربة قبر السيدة عائشة . وبعده توفى ابن عمه الحسين النسيب الشيخ سليمان^(٣)، وكان يعمل الحنابلة في جامع الأموي وفي جامع البرزوري الذي في محلتهم . وبهذا الشهر أيضاً توفى العالم العلامة مفتي السادة المالكية الشيخ يوسف أفندي^(٤)، وصار له مشهد عظيم، ودفن بمرج الدحداح : رحمه الله تعالى .

(١) يشير البديري هنا إلى أن عثمان باشا لم يبد الندم على ما كان منه إزاء سيده أسعد باشا .

(٢) في النسخة الظاهرية جاء اسمه : الشيخ محمد بن سوار ، والصواب الشيخ « أحمد » على ما جاء في النسخة التيمورية . يؤيد هذا ما رواه المرادي [ج ١ ص ١١٣] من أنه لما حدثت الزلزلة العظمى بدمشق لجأ الناس إلى الشيخ أحمد ابن سوار شيخ الحنابلة بدمشق وقدموه للدعاء ، فدعا وابتهل والناس خلفه . وقد جعل المرادي وفاته في سنة ١١٧٣ بينما ذكرها البديري في أواخر سنة ١١٧٢ . والحيا ذكره خاص بيقام في الجامع الأموي في شهر رمضان . انظر ص ١٨٠ .

(٣) ترجم له المرادي في سلك الدرر ج ٢ ص ١٥٩ — ١٦٠

(٤) تولى إفتاء المالكية بعد أخيه ، وجمع إلى الإفتاء التدريس ببعض مدارس دمشق ، وقد جمع مالا كثيراً أنفقه على من كان حوله من الريدين والنشدين . وقد توفى في الطاعون الذي فشا في دمشق في تلك الأيام [المرادي : سلك الدرر ج ٤ ص ٢٤٥] .

ثم دخلت سنة ثلاث^(١) وسبعين ومائة وألف، وكان غرة محرماً^(٢) الثلاثاء، وكان دخولها في اشتداد الحر. وفي السابع والعشرين من المحرم قدم جو قدار الحج الشريف، وبعده دخل الكتّاب، وأخبر أن هذه الحجة بغاية الراحة، وأن عثمان باشا سردار الجردة صنع من الخيرات في هديه [أشياء] ما صنعها غيره. وذلك أنهم لما التقوا بالجردة وجدوا عثمان باشا سردار الجردة قد سبقهم، وفي انتظارهم له إحدى عشر يوماً مقيم في هدية^(٣)، وهذا ما سبق لأحد قبله. وقد أثار الحجاج بالإكرام، فقد أطعم الجائع وسقى العطشان، وركب العيان وكسا العريان. ثم [لما] وصلت أفعاله الحسن إلى الدولة العلية صانها المولى من كل بلاء وبليّة وجّهوا عليه إمارة الشام، ووجهوا الولد محمد باشا مدينة طرابلس.

وفي نهار الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول جاء قبحى بعزل محمد باشا الشالك من الشام وبتوجيهها لعثمان باشا سردار الجردة.

(١) جاءت في النسخة الظاهرية : سنة أربع وسبعين ، وليس بصحيح .

(٢) يوافق ٢٥ أغسطس [آب] ١٧٥٩ .

(٣) هديه (الأولى) بمعنى أخصيته وهدية (الثانية) مكان في الحجاز في طريق الحج ، يقع على بعد ثلاثة أيام من المدينة و ٢٢ يوماً من دمشق . وقد جرت العادة أن تنج الجردة من دمشق إلى هدية ، فتقيم بها أياماً ربّما تواتيها قافلة الحاج ، فيكون الحجاج ضيوفاً على الجردة في هذه الأيام ، ثم تعود القافلتان إلى الشام .

وفي هذه الأيام بوشر بعمارة جامع الأموى ، فدخلته المعمارية
والنجارون والدماون والحجاره ، وبذلوا الهمة بتعمير القبة والجهة
الشرقية وما سقط من المآذن وتحسين جميعه^(١) ، ولا يُفتح إلا في
وقت الصلاة فقط . والعمارة أيضاً مشتملة في القلعة وترميمها ، وقد
تمت عمارة القلعة في شهر رجب سنة تاريخه ، وتمّ تعمير الجامع
الأموى والجهة الشمالية والقبة وترميم المذائر وتحسينه في شهر رمضان
من [٥٤ ب] هذه السنة .

وقيل شهر رجب سار عثمان باشا إلى الدورة ، وفتح فيها قلعة
طرطورة^(٢) ، وكانت تلك القلعة في [يد] الظاهر عمر ، وقتل (كذا) ،
ولما رجع عنها عثمان باشا أخذها الظاهر عمر بقوة جيشه بلا
محاصرة .

وفي هذه السنة المطر غزير والطاعون المفرط والوباء زائد الحد
والفاكهة قليلة جداً ، والغلاء مطنب كما أسلفنا : فالرمانة الواحدة بثان

(١) ذكر المرادى في ترجمته لعثمان باشا (ج ٣ ص ١٦١) أنه في سنة ١١٨٣
بنى قنات داخل صحن الجامع الشريف الأموى وأجرى لها الماء من نهر القنوات ،
وصرف على ذلك أموالا كثيرة ، وصار بها فرج للناس عند انقطاع نهر باناس .
(٢) كان والى دمشق — كما قلنا قبل ذلك — يخرج (للدورة) في إقليم
تابلس ، وقد ذكرت هذه القلعة باسم الطرطير قرية بجبل نابلس [الأمير حيدر
التهاني ج ٣ ص ٨١٧] وذكرها مؤرخ ظاهر العمر باسم الطنطورة ، وقال إنها من
جبل تابلس أيضا ، والمعروف أن على بك الكبير الأمير المملوكى كان حليفاً للشيخ ظاهر
العمر في حربه ضد عثمان باشا الصادق ، وقد دخل محمد أبو الذهب دمشق ثم ارتد
عنها سنة ١١٨٤ (١٧٧٠) .

مصارى وأوقية النفاح بسبع مصارى ، ورطل الفجم بخمسة عشر
مصرية ، وأوقية السمن بسبع مصارى ، وأوقية الزيت بثلاث مصارى ،
وبقية المقتاتات على هذا النمط كما أسلفنا ، وأما القيمق^(١) فقد صار
رطله بريال ، وما بقى للفقراء حال . وفى اثنين وعشرين شعبان من
هذه السنة جاء عثمان باشا من الدورة وأحواله مسرورة . ونهار الاثنين
ثبت رمضان المبارك ، وثالث ليلة منه والناس فى صلاة التراويح
صارت زلزلة مزعجة ، فقطعت الناس صلاة التراويح ، وتهاربت
الناس ، وداست بعضها بعضا ، وانذهلت عقولهم وفقدت أراجلهم
وبعض ثيابهم ، وثانى ليلة حصلت أيضا مع رجات لا تُدرك .

سنة ١١٧٤

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة وألف^(٢) . وكان همان باشا
والى الشام فى الحج أمير آله . ولما جاء الحج أخبر أن هذه الحجة من
أبرك الحجج برضاء ورخص وأمان .

وفى تلك السنة جاء قبجى يأمر بالزينة العظمى^(٣) ، ونادى همان

(١) وهو مانسميه (القطايف) فى مصر

(٢) يوافق أولها ١٣ أغسطس (آب) سنة ١٧٦٠ .

(٣) ذكر المرادى فى ترجمته لعثمان باشا (ج ٣ ص ١٦١) أن هذه الزينات

أقيمت بأمر من الدولة بمناسبة مولد (السلطان) سليم (الثالث) .

باشا أن من عنده لعبة ولو كانت من الطين والخشب أو عنده معرفة
بأبواب السبى التي تسمى بالملاعب فله عندي الإكرام الزايد ، فبذل
جانبا من المال وأعطى ومنح ، ودارت العرايض ^(١) بأنواع الملاعب
وعملت جميع الصنائع والحرف ، ومشت بمواكب عديدة مذهشة ،
منهم بالأسلحة والعدد والدروع الفاخرة ، ومنهم بالثياب (المشمئة) ^(٢)
المتنوعة . والحاصل حصلت زينة ما سمعنا ولا رأينا أنه صار
نظيرها ^(٣) .

وبتلك السنة ركب عثمان باشا والى الشام على قلعة صهيون ^(٤)
وفتحها ، فأمن الخائف وقلت الرواجف . وفي تلك السنة أيضا جاء
خبر إلى الشام بقتل عبد الله باشا الشنجي ، وضبطت الدولة ماله
ونواله ، وراح كأنه ما كان .

(١) جمع عراضة وهي الموكب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٣) نوه القارى [وزراء دمشق ص ٨٣] بهذه المواكب والزينات كما أشاد
بميراث الباشا عثمان كإجرائه المساء في الجامع الأموى وصنع كسوة جديدة للمحمل
وتعمير سبع قلاع في طريق الحاج ، عدا « تسع عشرة خيرية ما بين عمارة قلاع
وتمزيل وقطع صخر » .

(٤) صهيون جبل جنوب القدس . ولعل الصحيح ما ذكره مؤرخ الشهابيين
في حوادث سنة ١١٧٨ [ج ١ ص ٦٣] من خروج عثمان باشا إلى « قلعة سانور »
بجبل نابلس لقتال صاحبها محمد الجرّار وحصاره القلعة ثم ارتداده عنها .

وقال صاحب خطط الشام [ج ٢ ص ٢٩٩] إن « قلعة سانور من عمل عكا » .

سنة ١١٧٥

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وهاثة وألف^(١). وكان والى الشام عثمان باشا أميراً بالركب الشامي، وكانت حجة مريجة لم يحصل أدنى كدر للحجاج. وكانت وقفة عرفات يوم الجمعة. ومن الانفاق العجيب أن عثمان باشا خرج بالركب يوم الجمعة، ووقف على عرفات مع الحج يوم [٥٥] الجمعة، ودخل الشام يوم الجمعة.

وفي مدته لم يحصل في الشام أدنى مكدر، فعدل في الرعية، وعاشت أهل الشام بمدته عيشة هنية. وكان كيخيته سليمان بك مملوك سليمان باشا بن العظم. وكان في موت بيت العظم قد قاسى أهوالاً، فنال بصره آمالاً.

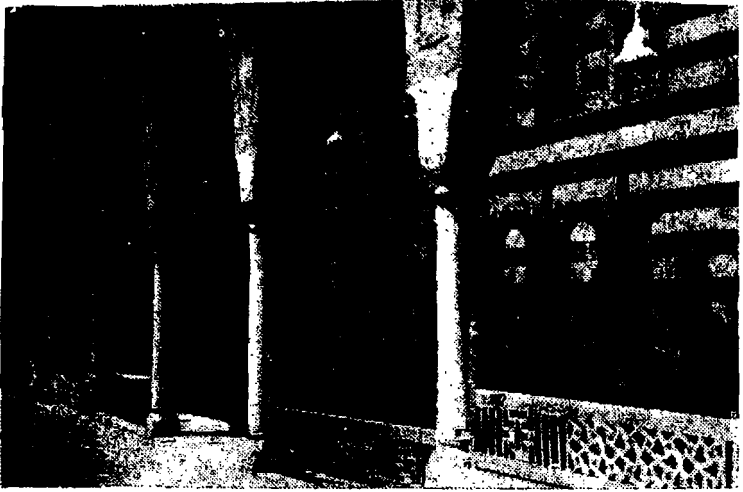
وفي تلك الأيام ورد الخبر إلى دمشق الشام بأن سعد الدين باشا^(٢) بن العظم مات في ديار بكر، وجاء الأمر بضبط ماله، فضبطت الدولة على ماله واستولت على نواله، فقد نقل الثقات أنه خرج عنده مال عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) يوافق أولها ٣ أغسطس (آب) سنة ١٧٦١.

(٢) ذكر في النسخة الظاهرية باسم أسعد باشا وليس بصحيح.

انتهى ما ذكره البديري من هذا التاريخ ، واختصر حوادث السنين الأخيرة جداً
وزاد سنة سهواً (١) . والصحيح ما نقلناه . فسبحان من ليس بغافل ولا ساه .
انتهى ما حررناه بقلم الفقير محمد سيد (٢) أبي جمال ، أحسن الله له الحال والمآل .
وذلك قبيل ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٣١٧ (٣) .
تم الكتاب على يد الفقير خادم العلم الشريف محمد بن المرحوم الشيخ عبد القادر
المجنوب في ميدان الحصار في رجب الحرام سنة ١٣٢٣ (٤) .

-
- (١) ذكر البديري في فاتحة كتابه أنه جمع حوادث دمشق من سنة ١١٥٤ إلى
سنة ١١٧٦ والصحيح كما فطن له النقع إلى سنة ١١٧٥ فقط .
(٢) إلى هنا انتهت النسخة التمورية .
(٣) ١٨٩٩ - ١٩٠٠ م .
(٤) ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م .



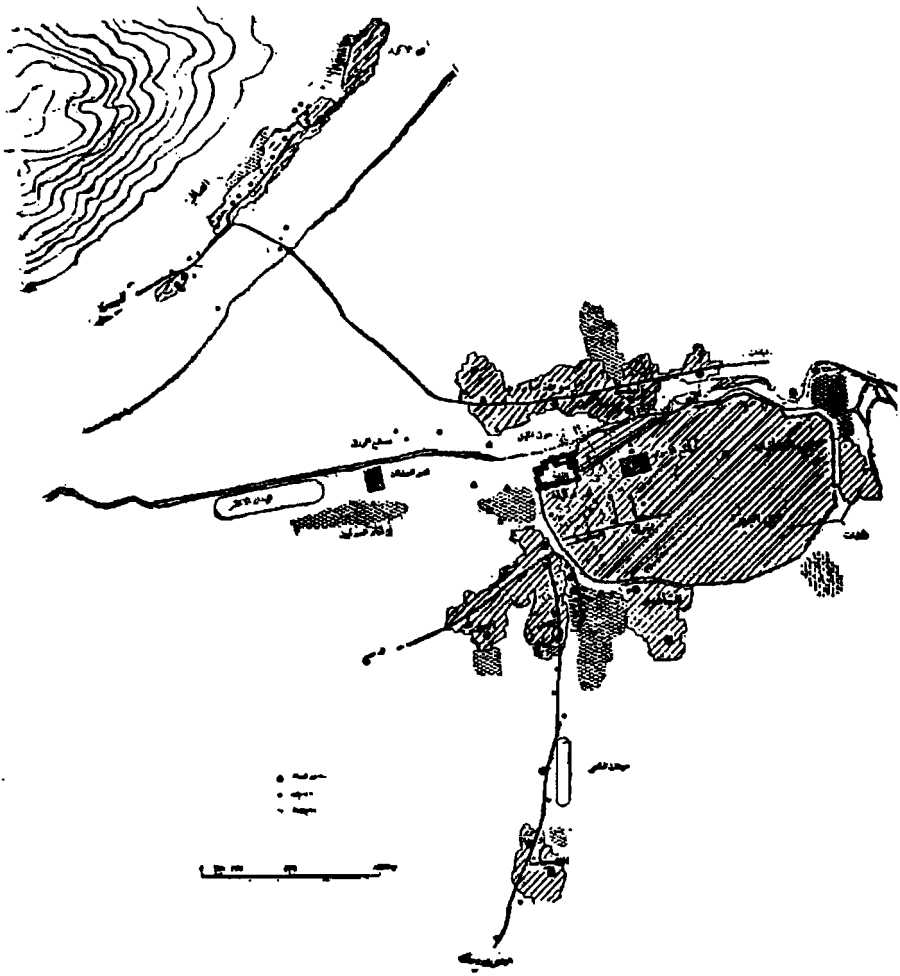
منظر من قصر أسعد باشا العظم

[نقلا عن مجموعة مديرية الآثار بدمشق]



منظر من قصر أسعد باشا العظم

[نقل عن مجموعة مديرية الآثار بدمشق]



١ - دمشق في أوائل القرن السادس عشر

[نقل عن سوثاچيه : دمشق . لحة تاريخية]

فهارس الكتاب



أولا - فهرس الأعلام

- إبراهيم (بك ابن سليمان باشا العظيم) : ٤٥
إبراهيم (الشيخ ، إمام دار السعادة) : ١٠٣
إبراهيم (الشيخ ، إمام المدرسة القجاسية) : ١٥٥
إبراهيم أغا (أغا أغات القبوقول) : ١٢٤
إبراهيم أغا (متسلم دمشق) : ٣٢ (حاشية) ، ٣٣
إبراهيم أغا بن قوس : ١٧١
إبراهيم الجباوى (شيخ الطريقة السعدية) : ٩١ ، ١٠٣ ، ١١٧ ، ١١٨
١٣١ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٩٢ .
إبراهيم الحافظ (الشيخ ، شيخ قراء الشام) : ٥٢
إبراهيم الحسينى الجرمكى : ٢١٢ (حاشية) .
إبراهيم الحلوانى (السيد) : ١٦٩
إبراهيم بيك السوقية : ٩٣
إبراهيم الكيكي = (مجذوب) : ١٢١
إبراهيم النابلسى = إبراهيم الحافظ
ابن بكماز . (من أشقياء دمشق) : ٢٢٨
ابن حمزة = عبد الله بن حمزة
ابن خضرى = مصطفى أغا بن خضرى
ابن خطاب الدالائى : ١٤٤
ابن الدرزى : ٦٩

- ابن سمرتين : ١٩٦
ابن سياج (معلم نصراني) : ٥٥
ابن عدوان (شيخ قبيلة) : ١٧٦
ابن القلطجي = أحمد بشه بن القلطجي
ابن كيوان : ٤٣
ابن مضيان (شيخ عرب بين الحرمين) : ٢٠٥ ، ٧
أبو بكر منلا خنكار : ١١٥
أبو حنيفة : ٢٠٥ (حاشية)
أبو السرور = محمد المصري الأزهرى
أبو سعد (أخو الشيخ ظاهر العمر) = سعد
أبو قبيص = محمد أبو قبيص الكردي
الأثرالك : ٤٣ (حاشية) ، ٤٤ (حاشية) ، ٧٤ (حاشية) ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٥
١٤٦ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦
أحمد (السلطان العثماني) : ١٩٣
أحمد (الشيخ ، شيخ البديري مؤلف الكتاب) : ١٠٧
أحمد (أفندي) : ١٦٨
أحمد (باشا) : ٧٨
أحمد (باشا ، والي بغداد) : ١٠٣ — ١٠٥
أحمد (بك ابن سليمان باشا العظيم) : ٣٨
أحمد أغا (أغا أغات الإنكشارية) : ٧٨
أحمد أغا (من رؤساء الجند بالشام) : ٦٧ ، ١٣٠
أحمد أغا بن سنان : ١٧٨
أحمد أغا الشريحي (خزندار فتحى أفندي الدفترى) : ٨١

أحمد أغا بن عساكر : ١٢٢

أحمد البابا (رئيس حرفة الدباغين) : ٣٥

أحمد بن بدير البديري (الحلاق الدمشقي مؤلف هذا الكتاب) : ١ ، ٢ -

٥ (حاشية) ٨ (حاشية) ، ٩ (حاشية) ، ١١ ، ١٣ (حاشية) ١٥

، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ (حاشية) ، ٢٩ (حاشية) ، ٣٢ (حاشية) ،

٤٣ (حاشية) ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ (حاشية) ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٦ ، ٨٦ ،

٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ (حاشية) ، ٩٨ ، ١٠١ (حاشية) ، ١٠٢ (حاشية)

١٠٦ ، ١٠٩ (حاشية) ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،

١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ (حاشية) ، ١٦٨ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٤ ،

(حاشية) ، ٢٠٥ (حاشية) ، ٢١٣ (حاشية) ، ٢١٤ (حاشية) ، ٢١٧ ،

(حاشية) ، ٢١٩ (حاشية) ، ٢٢٦ (حاشية) ، ٢٢٧ ، ٢٣٦ .

أحمد بشه دقاق (من رؤساء الإنكشارية) : ١١٦

أحمد بشه السحار القيببائي : ١٥٧

أحمد بشه القلطنجي (من رؤساء الإنكشارية) : ٦٧ ، ٦٨ (حاشية) ،

٦٩ ، ١١٦ ، ١٧٧ ، ١٩٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨

أحمد البكري الصديقي (نخذ الصديقين) : ٤٠

أحمد الجلبلي (الشيخ) : ١٨٠

أحمد الحرسطي (الشيخ ، أمين الفتوى) : ١٥٥

أحمد الحلاق بن حشيش (من مشاهير الحلاقين بدمشق) : ٢٤

أحمد الخطيب (الشيخ ، واعظ وإمام) : ٣٥

أحمد بن زيني دحلان (المؤرخ) : ٤٨ (حاشية)

أحمد بن سوار (شيخ الحيا) : ٢٣٠

أحمد المنيني (الشيخ ، خطيب الجامع الأموي) : ١١٤ ، ٣٢٠

أحمد النحلوي الأحمدى (الشيخ ، من أصحاب الكرامات) :

أسعد (أفندي) البكري : ١٦٣

أسعد باشا العظم (والى الشام) : ٣، ٥، (حاشية) ٨، (حاشية) ١٧، (حاشية) ،
 ١٨ (حاشية) ٤٥ (حاشية) ٤٧ — ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٩ —
 ٦٣ ، ٦٥ — ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ — ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٧ — ٨٩ ،
 ٩٣ — ١٠٥ ، ١٠٢ — ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٣٦ —
 ١٣٨ — ١٤١ — ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ —
 ١٥٤ ، ١٥٧ — ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ — ١٧٧ ،
 ١٧٩ ، ١٨١ — ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٤
 (حاشية) ، ٢٠٩ ، ٢١١ (حاشية) ، ٢١٩ ، ٢٢٩ (حاشية)
 . ٢٣٥ (حاشية) .

إسماعيل بن زعيتر : ١١٦

إسماعيل بن الشايش : ١٢٢

إسماعيل ابن الشيخ عبدالغنى النابلسى (الشيخ) : ١٥٠ ، ١٥١

إسماعيل باشا عثمان زاده (والى حلب) : ١٥٣ (حاشية)

إسماعيل المعجلونى (أو العجلانى ، الشيخ) : ١٢٤

إسماعيل باشا العظم (والى الشام) : ٨ (حاشية) ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٢ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩

الأغوان : ١٧٤

الأفجار : ٤ (حاشية)

الأفغان : ٤٤ (حاشية) ١٧٤ (حاشية)

الأقباط : ١٦٤ (حاشية)

الأكراد : ٢٠ ، ٣٢ ، ٨٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٨ ، ١٨٥ ، ١٩٧ (حاشية)

١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢

إلياس الكردي (أو الملا إلياس ، عالم) : ١٣٥ ، ١٨٠

أمين بن الحديد (من رؤساء الجند بدمشق) : ٨٧

أمين أفندي ابن الخراط (الشيخ) : ٣٨

أوس بن أوس التقفي : ١٦٥

باكر بشة الحماني (كتاب الحج) : ٧

باكبر (باشا . والي جدة) : ٨٧

البديري (الشيخ أحمد ، الخلاق الدمشقي مؤلف هذا الكتاب) = أحمد

ابن بدير البديري

بشير أغا (أغا السراي السلطاني) : ٧٩

البطحيش (من الأشقياء بدمشق) : ١٢٧

البكري (بيت) : ١٦٣، ١٢٤

بكري بن مصطفى بن سعد الدين (من سلالة السعدية) : ١٢٤

بلال الحبشي : ٢٥ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٩٠

بنو تلحوق = تلحوق

بنو حرفوش (مشايخ بعلبك) : ٤٢ ، ٧١ (حاشية) ١٦٠

بنو سعد الدين : ٩١ (حاشية) ١٢٤

بنو السفرجلاني : ٣٤

بنو صخر (قبيلة عربية بفلسطين) : ٢٢ ، ٣١ ، ١١٨ ، ٢٠٤ (حاشية)

٢١٢ (حاشية)

بنو صعب : ٤٢

بنو صقر (قبيلة عربية بفلسطين) : ٢١ (حاشية) ٢٢ ، ١٠١

بنو العظم : ٣

بنو علي الصغير : ٤٣ (حاشية) ١٥٠ (حاشية)

بنو فروخ : ٨٤ (حاشية)

بنو متوال = المتأولة

بنو منكر : ٤٣

بنو بزبك (من بيوتات الدروز) : ٦٨ (حاشية)

البهلول (الشاعر الأديب) = عبد الرحمن البهلول

بولاد (باشا) : ٢٣٦

الترك = الأتراك

تركان : ٩٥ ، ١٢٦ ، ١٥٨

تلحوق = بنو تلحوق

التيemor (تيمورلنك) : ٤٠ ، ٢١٥

الجباوية (طريقة صوفية) : ٩١

الجبرقي (الشيخ عبد الرحمن المؤرخ المصري) : ١٩ (حاشية) ، ٢٧ (حاشية)

١٦٤ (حاشية)

الجبلة (قبيلة عربية في طريق حوران) : ٣٣ ، ١٦٠

الجرار (بيت الجرار ، مشايخ نابلس) : ٢٦ (حاشية)

جعفر (شريف مكة) : ٢٢٢

جعفر البرهزنجي (علامة مؤلف) : ٢٢١ (حاشية)

حامد أفندي الهامدي (منق الثام) : ٢٩ ، ٣٠ (حاشية) ، ٤٩ ،

١٦٥ ، ١٢٧

حرب (قبيلة) : ٧ (حاشية) ٢٢١ (حاشية)

حرفوش (مشايخ بملك) = بنو حرفوش

حسن (السيد ، شيخ شباب باب المصلى) : ١٧٣

حسن (السيد ، من الأشراف) : ١١٠

حسن (باشا . والى بغداد) : ٤٤ ، ١٠٣

حسن (باشا) (الصدر الأعظم) : ٧٨

حسن أغا (من رؤساء الانكشارية) : ٧٠ .

حسن تركمان : ٦٩ ، ٧٠

حسن الجباوى : (الشيخ) : ١٩٣

حسن چلبى بن السفرجلانى : ١٢٣ ، ١٦٦

حسن أفندي ابن حمزة : (نقيب الأشراف) : ١٦٥

حسن الطرابلسى : ٥٨

حسن باشا كوبربلى : ٢٠٦

حسن ابن الشيخ يوسف الرفاعى (الشيخ) : ٥٠

حسين أفندي (روزنجمى مصر) : ١٩ (حاشية)

حسين أغا (الاى يك السباهية) : ١٩٩ ، ٢٠٧

حسين أغا بن القطيفانى (متولى وقف سنان باشا ونائب الباشا بدمشق) : ٣٣

حسين بن الحرفوش (صاحب بملك) : ٧١ (والحاشية) ١٥٧ ، ١٨٧

حسين مكى (باشا الثام) : ٢٩ (حاشية) ، ١٥٧ (حاشية) ١٨٨ ، ١٩٥

١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ (حاشية) ،

٢١٩ (حاشية) .

حمزة أفندي (تقيب الأشراف) : ٢٠٠ ، ٢١٨

حمزة بك (من رؤساء الإنكشارية) : ٧٠

حيدر الحرفوش : ١٨٧

حيدر الشهابي (الأمير) ٤٣ ، ١١٦ (حاشية)

حيدر الشهابي (الأمير المؤرخ ، صاحب كتاب : القدر الحسان في أخبار

أبناء الزمان ، أو ، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين) : ٤ (حاشية)

٥ (حاشية) ، ٨٠ (حاشية) ، ٩ (حاشية) ، ٢١ (حاشية) ، ٢٩ (حاشية)

٤٣ (حاشية) ، ٥٤ (حاشية) ، ٦٨ (حاشية) ، ٧١ (حاشية) ، ٧٢

(حاشية) ، ٧٣ (حاشية) ، ٩٣ (حاشية) ، ٩٦ (حاشية) ، ١٠٠ (حاشية)

١١٦ (حاشية) ، ١٣٩ ، ١٥٠ (حاشية) ، ١٨٧ (حاشية) ، ٢١٤ (حاشية)

خاتون شاه : ٦٤

خرما (بنت سليمان باشا) : ٤٦

خليل أغا (من رؤساء الإنكشارية) : ٧٠ ، ١٣٠

خليل أغا (من رؤساء الدروز بالشام) : ٦٧

خليل أغا (طبجي الباشا) : ١٨٦

خليل أغا بن أبي شنب (نائب القدس) : ٣٢

خليل البكري الصديقي (قاضي الشام) : ١٦٣ — ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،

١٨٠

خليل البياضي (من المجاذيب) : ١٨٣

خايل أفندي الصديقي (مفتي الحنفية بدمشق) : ٧٨

الدالي على باش (جوقدار الحج) : ١٩١

داود (باشا والى بغداد) : ١٠٣

دبوس : ١٠٤

الدروز : ٨، ٢٣، ٤٣، ١٨، ٧١، (حاشية) ٩٣، (حاشية) ٩٤، ٩٥،

٩٦ (حاشية) ٩٧، ٩٩، ١٠٠، (حاشية) ١٠١، (حاشية) ١٠٢،

١٠٦، ١١٤، ١١٦ — ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٦، ٢٠٠،

(حاشية) ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٤ (حاشية) .

درويش أغا : ١٨٥

الدينكرلى (تابع الشيخ ظاهر العمر وقاتله) : ٢١ (حاشية).

راغب (باشا) (والى الشام) : ١٩٤، ١٩٥

رسلان بن يحيى القارى (صاحب كتاب وزراء دمشق) : ٤ (حاشية) ٢٩

(حاشية) ٤٦، ٦٢، (حاشية) ١٥٧، (حاشية) ٢٠٦، (حاشية) ٢١١،

(حاشية) ٢١٢، (حاشية) ٢١٣، (حاشية) ٢١٤، (حاشية) ٢١٨، (حاشية)

٢٢٦ (حاشية) .

رضا (أفندى) (قاضى الشام) : ٢٢٥

روفائيل كرامة (مؤلف : مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسورية) ٢٩ ،

١١٦ (حاشية) .

الزيد = عرب الزبيدات

الزبيدات = عرب الزبيدات

زهرا (محظية سليمان باشا) : ٥٨

الزيادة (قبيلة فلسطين) : ٢١ (حاشية) .

سباخ زاده : ٢٢٨

سعد (أخو ظاهر العمر) : ٢٢ (حاشية) ٤٥ ، ٤٤ (حاشية)

سعد الدين = بنو سعد الدين

سعد الدين الجباوى : ٢١٥

سعد الدين (باشا) العظم (والى صيدا) : ٧٤ ، ٨٤ ، ٩٣ (حاشية) ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ (حاشية) ١٦٠ ،

١٦٢ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ .

سعد الدين المغربى : ١٨١

السعدية (طريقة صوفية) : ٩١ (حاشية)

سعدية قاضين (خانم = قادين) : ٦٢ ، ٦٦

سعيد السمان (أحد أدباء الشام) : ١٧ (حاشية)

سعيد بن الشاكوش : ١٢٢

السفرجلانى = بنو السفرجلانى

سلمون (من بنات الهوى بدمشق) : ٥٧

سليم (الثالث) : ٢٣٣ (حاشية)

سليمان (بك) (ملوك سليمان العظم باشا الشام) : ٢٣٥

سليمان (بك) (وكيل سليمان باشا) : ٥٨ ، ٦٠

سليمان أغا (متسلم) : ٢٢٠

سليمان أغا بن الحللى : ١٢٢

سليمان بن الحشيش الحكوانى (أستاذ البديرى) : ٣٤

سليمان بن سوار (الشيخ) : ٢٣٠

سليمان العظيم (باشا الشام) : ٣، ٨، ٩ (حاشية) ، ١٦ - ١٩ ، ٢١ ،
٢٢ (والحاشية) ٢٣ - ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ (حاشية) ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٥ - ٤٦ ،
٥٤ - ٥٦ ، ٥٨ - ٦٠ ، ٦٦ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٠ (حاشية) ، ١٥٠ (حاشية) ،
١٥٨ ، ١٨١ ، ٢١٣ (حاشية) ٢٣٥ .

سليمان (باشا) أبو ليلة : ١٠٥ (حاشية)

السمّاوية : ٩٠ .

سمرتين (ابن) = ابن سمرتين .

سنان (باشا) : ٣٣

سياج (ابن) = ابن سياج .

سيف بن ذى يزن (سيرته) : ٣٤ .

شاهين تلحوق : ١١٦ (حاشية) .

الشدياق = طنوس بن يوسف .

شهاب الدين أحمد بن بدير = أحمد بن بدير البديري .

الشهابيون (أمراء جبل لبنان) : ٨ (حاشية) .

شيخ التكية (أحد اللصوص) : ١٣١٠ .

صالح بن إبراهيم بيك السوقية : ٩٣

صالح الجنبيني (الشيخ المحدث) : ٢٠٥

صالح ملا (قاضي الشام) : ١٧٢ ، ١٧٨

الصباغ = ميخائيل نيقولا الصباغ

صخر (قبيلة عربية بفلسطين) = بنو صخر

صعب = بنو صعب

الصفوى : ٤٤ (حاشية).

صقر (قبيلة عربية بفلسطين) = بنو صقر

طاهر النابلسي (الشيخ) : ١٥١

طنوس بن يوسف الشدياق (صاحب كتاب : أخبار الأعيان في جبل

لبنان) : ٩ (حاشية)، ١٠٠ (حاشية)، ١١٦ (حاشية)

طهماسب : ٤٤، ٤٩، ١٠٤

طوقان (من يوتات فلسطين) : ٢٦ (حاشية)

الظاهر (سيرته) : ٣٤

ظاهر العمر (حاكم طبرية، وشيخ مشايخ صفد) : ٣١ (والحاشية)، ٢٢

(حاشية)، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٢٩ (حاشية)، ٤٢، ٤٤ - ٤٩، ٤٦ (حاشية) ٥٤

٦٩، ١٢٦، ١٢٩، ١٥٠، ١٦٧، ٢٠٩، ٢١١ (حاشية)، ٢١٩ (حاشية)، ٢٣٢

عباس السكردى (متلا . عالم من الأكراد) : ١٣٥

عبد الرحمن (باشا) الكوبريلي (والى طرابلس) : ٢٢١

عبد الرحمن البهلول (الشاعر) : ٩، ٤٠، ١٢٣، ١٣٩

- عبد الرحمن الكفرسوسى (الشيخ) : ١٦٦ (حاشية)
عبد الرحيم بن الاسطنبولية (الشيخ) : ١٠٢
عبد العزيز أفندى السمرجلانى (قفيه) : ٣٤
عبد الغنى النابلسى (الشيخ) : ٦ (حاشية) ، ٩ (حاشية) ، ٢٤ ، ١٣٥ ، ٥٢
(حاشية) ١٥١ ، ١٣٩
عبد الفتاح أغا باش شاوريش : ١١٧
عبد القادر (شيخ الحلوانية) : ١٦٦
عبد اللطيف بن عبد الهادى : (الشيخ) ١٥٩
عبد الله (باشا) الشتجى : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ (حاشية) ، ٢١٧ (حاشية)
٢٣٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٨
عبد الله أغا كمش أعلى : ٩٦
عبد الله البصروى الشافعى (الشيخ) : ١٩٨
عبد الله الترك (أغا آغات الدالاتية) : ١١٨ ، ٨٥
عبد الله بن حمزه (من رؤساء الإنكشارية بالشام) : ٦٧ ، ٦٩ ، ١١٦ ، ١٢٩
عبد الله (أفندى) زاده (قاضى الشام) : ١٩٠
عبد الله (أفندى) سعيد زادة : ١٥٢
عبد الله بن عجلان (السيد ، نقيب الأشراف بالشام) : ٢٩
عبد الله (باشا) بن الكوبرلى : ١٠٢
عبد بن حمزة عنبر (من الزرب) : ٨٧
عبد الوهاب أفندى . (قاضى الشام) : ١٧
عبد الوهاب الدالآتى (الشيخ) : ١٢٨
عبدى باشا . (والد على باشا) : ٤

- عبدى (باشا) الجته جى = عبد الله باشا الشتجى
عثمان (باشا . والى الشام) : ٥٤ (حاشية)
عثمان (باشا) (والى طرابلس) : ٢٢٩ ، ٢٣١ — ٢٣٥
عثمان أغا (خزندار فتحى أفندى) : ٧٥ ، ٨١
عثمان خان (السلطان) : ١٨٤ ، ١٩٣ ، ٢١٠
عثمان طوبال (الأعرج) : ٤٤ (حاشية)
عثمان المحصل (باشا الشام) : ٥٠ ، ٢٠ ، ١١٠ (حاشية) ١٥٢
العجلانى (من البيوت الشهيرة بدمشق) : ٢٩ (حاشية)
المجم : ١٠ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ١٤٩ ، ١٦١
عدوان (اين) = اين عدوان
العرب : ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ —
٢١٠ ، ٢١١ (حاشية) ، ١٢١٠
الريان = العرب
عرب البلقاء : ١٧٦
عرب بين الحرمين : ٧ ، ٢٠٥ (حاشية) ، ٢٢١
عرب الجبل : ١٨١
عرب الحجاز : ١٨٩ ، ٢٠٥
عرب الرشا : ٨٨
عرب الزبيدات : ٣٣ ، ٣٢
عرب السردية : ١٧٦
عرب الشام : ١٨٦
عرب عترة : ٨٨ ، ١٠١ ، ١٨٦
عرب الفريخات : ٩٤
عرب الفضل : ١٨٦

- عرب ابن كليب : ٦٩
عز الدين أبو حمزة (ولى) : ١١٤
صناف (باشا) . (أمير الحج) : ٨٤ (حاشية)
المقصدة (تابع فتحى الدفتردار) : ٧٥ ، ٥١ ، ٥٠
على (الشيخ ، مدرس) : ٤١
على (بك كول أحمد باشا) : ٧٨
على (باشا والى الشام) : ٧ ، ٤ (حاشية) ، ١٦
على (أفندى ، السيد ، تقيب الأشراف) : ٢٩ ، ١٣٧ ، ٥٠
على (أفندى الدفترى) : ٢٠٠
على آغا (متسلم دمشق) : ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨
على آغا بن الترجمان (قائد) : ٢٦ ، ٢٨ ، ٥١ ، ١٧٢
على آغا شاطر باشى : ٢٩
على آغا بن قرق : ١٤٣
على ابوريشة (باشا الشام) : ٤ (حاشية)
على الصغير = بنو على الصغير
على (بك) قطامش (أحد أمراء مصر) : ٢٧ (حاشية)
على (بك) الكبير : ٢١ (حاشية) ، ٢٣٢ (حاشية)
على كزبر (الشيخ) : ١٦٥
على (أفندى) ابن الشيخ مراد : ٥٠
على (أفندى) المرادى : ٥١ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، ٢٠٣ ، ٢١٣
على المصرى (الشيخ) : ١٦٦
على بن الأمير ملحم الشهابى : ١٠٠ (حاشية)
العمادى (من البيوت الشهيرة بدمشق) : ٢٩ (حاشية) ، ١٥٥

عمر (بك أحد أمراء مصر وسجق الحزنة): ٢٧، ٣٤

عمران (الشيخ): ١٠٣

عمر بن الخطاب (الخليفة) ١٩ (حاشية) ، ١٥٩ ، ٢٢٨ (حاشية) .

عمر كبيب (الشيخ ، مؤذن الجامع الأموى): ٢٠٥

عمر الحمديد = ظاهر العمر .

عمر بن محمد بن إبراهيم الوكيل (كاتب سيرة عبد الله باشا) : ٢١٢

العناقبية : ٢٠٨

عنبر بشه (من رؤساء الانكشارية) : ١١٦

عنقرة (سيرته) : ٣٤

عيسى (الشيخ ، امام الجامع الأموى) : ١٣٥

عيسى بشه : ١٥٢

الغزى (صاحب تاريخ حلب) : ٧٣ (حاشية) ، ٨٣ (حاشية) ، ١٠٩٠

(حاشية) ، ١٥٣ (حاشية) ، ١٦٠ (حاشية) ، ٢١٢ (حاشية)

(حاشية) ٢١٣

فتح الله بن أنطون صائغ (صاحب كتاب . : المقرب في حوادث الحضرة

والعرب) : ١١ (حاشية) ، ٦٠

فتحى (افندى) بن القلانسى (دفترى الشام) : ١٧ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٧ ،

٤٩ - ٥١ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٧٥ - ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٧

الفحلى (شيخ قبيلة جبلة) : ٣٣

الفخر الغزى = حسين مكى (باشا الشام)

الفتقى : (أحد كبار الأتقياء) : ١٥٦

فروخ (بنو) = بنو فروخ

الفرينجات = عرب الفرينجات

القارى، = رسلان بن يحيى القارى

القاسمى = محمد سعيد القاسمى

القبانى (بيت) ١١٦٠ ، ١٢١٠

قجاس الإسحاقى الجركسى : ١٥٥ (حاشية)

قره مصطفى (كردى) : ١٤٨ ، ١٤٩

قمدان بن ظاهر السلامة (أحد زعماء بنى صقر) : ٢٢

قمدان الفايز : ٢٠٤ ، ٢١٢ (حاشية)

القلطجى (ابن) = أحمد بن القلطجى

كليب (ابن) = عرب ابن كليب

كمال خليل (من رؤساء الزرب) : ١٢٩

كور إسماعيل (قائد القبو قول) : ١٣ (حاشية)

كور عثمان : ١١٩

كور محمد (والى بغداد) : ١٠٤

كيوان (ابن) = ابن كيوان

لالا مصطفى (باشا) : ١٩٠

المتأولة (من الشيعة) : ٢٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٩٣ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ،

١٧٦ ، ١٦٠ ، ١٥٠

الجزى (رجل اتحر) : ٥٠

الحي : ١٦٣

محمد (الأسطى ، شيخ القواقبه) : ١٦٦

محمد (افندى) (قاضى الشام) : ١٩١

محمد (افندى) (قاضى الشام) : ٢٠

محمد (باشا) (باشا صيدا) : ٩٩ ، ١٠٠

محمد (باشا) (حاكم صيدا) : ١٧٧

محمد (باشا) (والى طرابلس) : ٣٣١

محمد (بيك) (السيد ، ابن عم (سليمان باشا العظم) : ٤٧ ، ٥٤ ،

٦٠ ، ٥٨

محمد بن (السيد) أحمد : ١٦٥

محمد بن احمد بن سوار (شيخ الحيا) : ٨٠

محمد أغا (كيخية ، من رؤساء الانكشارية) : ٧٠

محمد أغا (أغا الانكشارية) : ٩٥

محمد أغا (التسلم) : ١٧١

محمد أغا بن دالى : ٣٢٨

محمد أغا الديرى (وكيل الحرج) : ٤٧ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٨٠ ، ٨٣

محمد أغا بن الزرخلى : ١٠٨

محمد أغا بن فروخ (دفتر دار الشام) : ٨٤

محمد (أفندى) (بشمقى زاده (السيد ، قاضى الشام) : ١٢٧ ، ١٣١

- محمد بشه السقباوى : ٢١٠
محمد بشه بن شمس : ١٦١
محمد البوشى (الأسطى ، شيخ الحلاقين) : ١٦٦
محمد تلحوق : ١١٦ (حاشية) .
محمد جبرى (الشيخ ، المجدوب) : ١٣٨
محمد الجرار (صاحب قلعة سانور) : ٢٣٤ (حاشية)
محمد بن حقيقحة . (الشيخ) : ١٤١
محمد بن جمعة المقار (صاحب كتاب الباشات والقضاة) : ٤ (حاشية) ،
٥ (حاشية) ، ٧ (حاشية) ، ١٢ (حاشية) ، ٢٩ (حاشية) ، ٣٢ (حاشية) ،
٤٦ (حاشية) ، ١٣٥ (حاشية) .
محمد بن الدهان (السيد ، من الأشراف) : ١١٠
محمد الديرى (الشيخ ، مدرس بالجامع الأموى) : ١٣٥
محمد أبو الذهب : ٢١ (حاشية) ٢٣٢ (حاشية)
محمد رشيد رضا : ٩٢ (حاشية)
محمد (أفندى) زاده (قاضى الشام) : ٦١
محمد سعيد القاسمى (الشيخ ، منقح مخطوطة هذا الكتاب) : ١ : ٣ ، ٢٣٦
محمد سعيد بن محاسن (خطيب الجامع الأموى) : ١٩٠
محمد (باشا) الشالك (جالق) : ٢٢٦ — ٢٢٩ ، ٢٣١
محمد بن (الشيخ) شعيب : ١٥٦
محمد (أفندى) بن عبد القادر الكيلانى (السيد ، نقيب الأشراف) : ٢٩
محمد بن (الشيخ) عبد القادر المجدوب : ٢٣٦
محمد عبده (الشيخ) : ٩٢ (حاشية)
محمد بن عبد الهادى العمرى (الشيخ) : ١٣٦

- محمد العجلاني (قيب الأشراف) : ١٦٥
محمد العجلوني (شيخ الشافعية) : ٢٥ ، ٤١
محمد علي (والي مصر) : ١٩ (حاشية)
محمد (أفندي) (المعادي) (مفق الشام) : ٢٩
محمد أفندي الفزري (الشيخ) : ١٧٨
محمد أبو قيص الكردى (الشيخ ، شيخ مدرسة المرادية) : ١٥٤
محمد الكيال (الشيخ ، مؤذن بالجامع الأحمدي) : ٣٢ ، ٥٤ (حاشية) ١٥٠
(حاشية)
محمد (أفندي) (المراي) (السيد) : ١٦٧
محمد المصري (الشيخ) : ١٠٦
محمد المكتبي (الشيخ ، إمام مسجد) : ٥٦
محمود (السلطان) : ١٦٨ (حاشية) ، ١٩٣
محمود بشه البغدادى . ١١٣
محمود تفكجى باشى : ١٢٩
محمود الثانى (السلطان) : ٢١٣ (حاشية)
محمود خان (السلطان) : ٤ ، ١٠ ، ٦١ ، ١٨٤
محيى الدين بن عربى (الصوفى الكبير) : ٦ (حاشية) ، ٣٠ (حاشية)
مراد (أفندي) النقشبندى الكسيح : ٢٤
المراي (صاحب كتاب : سلك الدرر في أعيان القرن الثانى عشر) : ٦
(حاشية) ، ٩٠ (حاشية) ، ١٧٠ (حاشية) ، ٢٧٠ (حاشية) ، ٢٩٠ (حاشية) ، ٣٠٠
(حاشية) ، ٦٢٠ (حاشية) ، ٧٠ (حاشية) ، ٧٣ (حاشية) ، ٧٦ ، ٨٤ (حاشية) ،
١٢٤ (حاشية) ، ١٣٥ (حاشية) ، ١٥٠ (حاشية) ، ١٦٣ ، ١٦٦ (حاشية) ،
١٧٨ (حاشية) ، ١٨٣ (حاشية) ، ١٨٩ (حاشية) ، ١٩٧ (حاشية) ،
٢٠٠ (حاشية) ، ٢٠٥ (حاشية) ، ٢١٢ (حاشية) ، ٢٢٠ (حاشية) ،
١١١ (حاشية)

- مساعدة (شريف مكة) : ٢٢١ ، ٢٢٢ (حاشية)
مسعود (شريف مكة) : ٤٨ (حاشية)
المصطفى (عليه الصلاة والسلام) : ٩٢
مصطفى (باشا) (والى طرابلس) : ٣١
مصطفى (بك) بن إسماعيل العظم (ابن عم اسعد باشا العظم) : ١٦٩
مصطفى أغا (من الانكشارية) : ٢٠٠
مصطفى أغا بن خضر الشريجي : ٥١ ، ٦٧
مصطفى أغا الزعفرنجي (اختيار) : ١٩٩
مصطفى أغا القباني (نخبة الانكشارية) : ٦٤
مصطفى بن البديري : ١٦٨
مصطفى خان (السلطان) : ٤ ، ٢١٠
مصطفى (أفندي) زاده (قاضي الشام) : ٦٥ ، ٨٣
مصطفى بن سعد الدين (من السعدية) : ١٢٤
مصطفى بن (الشيخ) شعيب (الشيخ) : ١٣٧
مصطفى العجلوني (الشيخ) : ٤١
مصطفى (بك) العظم (أخو اسعد) : ١٠٠ ، ١١٤
مصطفى الكردي (الشيخ ، قفة) : ١٣٧ ، ١٧٤
مصطفى مردم : ١٩٠
مصطفى المغربل (الشيخ) : ٢٥
مصطفى بن مراد (مجذوب) : ١٣٧
معاوية : ١٤١
المعنيون (أمراء جبل لبنان) : ٨ (حاشية)
المغاربة : ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٥٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩٨

المقار = محمد بن جمعة المقار .

الملا الياس = الياس الكردي

ملحم الشهابي (الأمير) : ٨ (حاشية) ، ٩٠ (حاشية) ، ٤٣ ، ٦٨ (حاشية)
٧١ (حاشية) ، ٩٣^١ (حاشية) ، ١٠٠٠ (حاشية) ، ١٨٧ (حاشية)

موسى أغا (الكفخيا ثم والي صيدا) : ٦٥ ، ٨٥ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ،
١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٤ — ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

موسى جريجي (من الزرب) : ١١٩

موسى كخية = موسى أء

ميخائيل بريك الدمشقي (صاحب كتاب حوادث دمشق) : ٢٠ (حاشية) ،
٢٩ (حاشية) ، ١٥٧ (حاشية) ، ١٨٩ (حاشية)

ميخائيل نقولا صباغ (مؤلف سيرة ظاهر العمر) : ٢١ (حاشية) ، ٢٢ ،
(حاشية) ، ٢٦ (حاشية) ، ٢٩ (حاشية) ، ٤٤ (حاشية) ، ٤٥ (حاشية)
٤٦ (حاشية) ، ٦٥ ، ٢٠٤ (حاشية)

نادر شاه : ٢١٢ (حاشية)

نادر قلي : ٤٤ (حاشية) ، ١٠٤ (حاشية)

ناصريف النصار (شيخ الطاولة) : ١٥٠

النايلسي = عبد الغني النايلسي

نجيب (افندي) السفرجلاني (من أعيان دمشق) : ٢٣٧

النحلاوي = أحمد النحلاوي

نصار = ناصريف النصار

النصارى : ٨٩

نعمان (باشا صيدا) : ٢٢٧

نور الدين (السلطان) : ٦٤

الرفائى : ٨

ولى (كردى) : ٢٠١ ، ٢٠٣

ياسين القادري (الشيخ) : ٥٩

يحيى (الشيخ ، مفتى بعلبك) : ١٦٠

يحيى (أفندى) الجباوى : ١٦٤

يحيى بن محاسن (الشيخ) : ١٨١

يزبك = بنو يzbek

يعقوب (باشا) (والى حلب) : ١١ ، ١٦

اليهود : ٨٩

يوسف (أفندى) . (الشيخ) ، (مفتى السادة المالكية) : ٢٣٠

يوسف الرفاعى (الشيخ) : ٥٠

يوسف الطباخ (الشيخ) : ٢٥ ، ٦٣

يونس (السيد . شريك أسعد باشا العظم) : ١٣٣

ثانياً - فهرس الأماكن والبلاد

آبار الغم (محطة في طريق الحج) : ١٩٢

الآستانة = إسلامبول

أحد (جيل) = جيل أحد

أدنه : ١٩١

أدرنه : ٢١٢ (حاشية) .

إربد : ٢٢

إسلامبول : ٧ (حاشية) ١٢ (حاشية) ، ١٧ (حاشية) ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤

٣٠ (حاشية) ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ،

(حاشية) ، ١٢٥ ، ١٤٩ ، ١٥٥ (حاشية) ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ،

١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٢٩ (حاشية)

إصفهان : ٧٣ (حاشية)

الأناضول : ٢٠٧ (حاشية)

إيران : ٤٤ (حاشية) ، ١٠٣ (حاشية) ، ١٠٤ (حاشية)

باب الأغا (أغا الإنكشارية) : ٤٧

باب البريد : ٥٨ ، ١٧٦ ، ٢٢٤

باب التكية : ١٧٣

باب توما : ١٨٠

باب الجايبية : ٦٦ ، ١١٨ ، ١٤٨ ، ١٩١ ، ٢١٤

باب السرايا : ٢١٤

باب السريحة: ٤١ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ،
٢٠٠ ، ١٩٠

باب السلام = حارة باب السلام

باب الصغير: ٤٣ ، ٤٥ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ،
٢٠٥ ، ١٩٨ ، ١٩٣ ، ١٩٠ ، ١٨٠ ، ١٧٥ ، ١٦٥ ، ١٥٧ ، ١٥٥

باب القلعة: ١٧٢ ، ١٧٨ (حاشية)

باب الكلاسة: ٥١

باب الله: ٥٣ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٥

باب المصلى: ١١٠ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٩٠

باب النصر: ١٥٥ (حاشية)

بانياس (نهر) = نهر بانياس

ببيلة (قرية): ١٤٥ ، ١٦٢

البحر الأبيض المتوسط: ٢١ (حاشية)

البحصا: ١٨٦

بدر: ١٠٧

البرامكة (مقبرة) = تربة البرامكة

بردى (نهر) = نهر بردى

البزورية: ١٧٤

بصرى: ١٤٣ ، ١٤٤

بطلبك: ٤٢ (حاشية) ٧١ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٨٧ ، ٢١٣

(حاشية)

بغداد: ٤٤ ، ٤٩ ، ١٠٣ — ١٠٥

البقاع (سهل): ٨ ، ٩ (حاشية) ، ٦٨ (حاشية) ، ٧١ (حاشية) ، ٩٣ ، ٩٤

١٠١ ، ٩٨ (حاشية) ، ١٠٢

بلاد بشارة : ٤١ (حاشية) ، ٤٣ ، (حاشية) ، ١٥٠ ، (حاشية) ،

بلاد التتر : ١٠٤

بلاد المعجم : ١٠٦

بلاد الحبشى (ضريح) = ضريح بلال الحبشى

البلقاء (موضع بناحية معان فى طريق الحج) : ٣٧ ، ١٧٦ ،

بلغراد : ٤ (حاشية) ، ٣١٣ ، (حاشية)

بوغاز الحسا = الحسا

بيت الفرجلانى : ١٨١

بيت الله الحرام = مكة

بيت المقدس = القدس

بير الأغراض (قلعة بلغراد ؟) : ٣١٦

بيروت : ٦٧ (حاشية)

تبوك : ٦ (حاشية) ، ٣١١ ، (حاشية)

تربة باب الصغير : ٣٣ ، ٤٥

تربة البرامكة : ٨٩ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٩٨ ،

تربة (سيدى) نخار : ٢٠٤

تربة (الشيخ) رسلان : ٤٠ ، ٧٥ ، ١٣٤ ، ١٧٥ ، ١٩٨ ،

التفاح (إقليم) : ٤٢ (حاشية) ، ٤٣ (حاشية)

تسكية السامانية : ٨٠

التسكية السليمية : ١٤٠

تسكية المرجة : ٨١

جامع (السلطان) إبراهيم بن آدم : ١٧٩
جامع (السلطان) أحمد (بالمسقطينية) : ٧ (حاشية)
جامع (الشيخ) أرسلان (مقام) : ١١٢
الجامع الأموي : ٣٠ (حاشية) ، ٣٢ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٨١ ، ٩١
(حاشية) ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٥ ،
١٥٩ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ،
٢٠٥ ، ٢١٨ (حاشية) ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
٢٣٢ ، ٢٣٤ (حاشية)

جامع الباغوشية : ١٨٩

جامع البزوري : ٢٣٠

جامع أبي الدرداء : ١٦٥

جامع الدقاق : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣

جامع (الشيخ) الرومي : ١٩٠

جامع السليمانية : ٣٠ (حاشية)

جامع السنانية : ١٨٠

جامع (الشيخ) عارورك : ١٥٧

جامع العداس : ١٣٥ ، ١٩٠

جامع عز الدين : ٤١

جامع القلعي : ٥٦

جامع محي الدين بن عربي (الشيخ الأكبر) : ٨١

جامع المرادية : ٢٩

جامع الموصلية : ٩٢ ، ٢٢٥

جامع يلبغا : ١٤٤ ، ١٦١ ، ١٨٩

الجلابية (قرية . باب) : ٦٦ (حاشية)

جبا (قرية بين حوران ودمشق) : ٩١ (حاشية)

جبل أحد : ٧ (حاشية)

جبل الدروز (جبل لبنان) : ٨ ، ١٩ (حاشية) ، ٤٢ ، ٦٨ (حاشية) ،
١٩٦ ، ١٧٦ ، ١٠٦ ، ١٠٢ - ١٠٠ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٩٣ ، ٦٩

جبل عامل : ٤٢ (حاشية)

جبل العرب (جبل الدروز سابقاً) : ٨ (حاشية)

جبل عرفات : ١٦

جبل قاسيون : ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٢٢٣

جبل لبنان = جبل الدروز

جبة : ٢٢٠

جدة : ٥ (حاشية) ، ٨٧ ، ١٥٢ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢٢١

جرمك : ٢١٢ (حاشية)

جسر بنات يعقوب : ٤٦

جلقي = دمشق

جيروود : ٨٠

حارة باب السريجة = باب السريجة

حارة باب السلام : ١١٣

حارة السويقة : ١٦١ ، ١٦٩

حارة السياس : ١١٥

حارة الشاغور : ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ٢٠٠

حارة العقبية : ١٢٥

حارة الهارة : ١٤٤ ، ٢٥٩ ، ١٨٦

حارة قيرعائكة : ١٦٩

حائط الأحمديّة : ١٦٨

الحجاز : ١١ (حاشية) ، ١٩ (حاشية) ، ٥٣ (حاشية) ، ٨٧ ، ١٠٧
(حاشية) ، ١٩٠

الحدرا : ١٤٨

الحرمان الشريفان : ٧ ، ١٦ ، ٢٢٩

الحسا (أحد منازل الحج بالقرب من معان) : ٣٦

الحقلة : ١٩٥ ، ٢٠٢

حلب : ٦ (حاشية) ، ١١ ، ١٦ ، ٩٥ ، ١٠٩ (حاشية) ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
(حاشية) ، ١٦٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢١٢ (حاشية)

حماة : ٤٧ ، ٤٤ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ٩٨ (حاشية) ، ١٥٧ ، ١٧٦

١٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩

حماة الملسكة : ١٨٤

حمص : ١٧ (حاشية) ، ٩٧ ، ١٧٦ ، ٢٠٦

حوران : ١٠ (حاشية) ، ٣٣ (حاشية) ، ٤٢ ، ٨١ ، ١٠١ ، ٢٠٤ ، ٣٠٩
حيفا : ٣١ (حاشية)

الخراب : ١٧١

الخراطين (محلة) : ٥٦

خان الاكراد : ١٤٨

خان الحرمين : ١٧٦

الخنان الصغير : ١٨٤

دار أسعد (باشا) العظم : ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ٢١٩

دار السعادة = إسلامبول

دار السعادة (القصر السلطاني) : ٧٩

دار السلطنة = اسلامبول

دار أبوشنب : ١٠٢

دار معاوية : ١٤١

داعل : ٢٠٤

الدرب السلطاني (في طريق الحج) : ١١ (حاشية)

الدرب الغزاوي (في طريق الحج) : ١١ (حاشية)

الدرويشية : ١١٣ ، ١٤٨ ، ٢٠٢

دمشق (حوادثها موضوع الكتاب) : ٣ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٣٦

(أفراح ومواكب) : ٢٦ ، ٣٨ — ٤٠ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٩١

(أمراض) : ٢٤ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ١٩٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠

(الظواهر الطبيعية) : ١٠ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦

٢٠٢ ، ١٩٣ ، ١٨٩ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٧ ، ١٤٥ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ٦١

٢٢٣ — ٢٢٧ ، ٢٣٣

(غلاء) : ٤ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢

١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٠٨ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٣ ، ٨٨ ، ٨٤

١٨٥ ، ١٨٢ ، ١٦٦ ، ١٦٣ ، ١٥٣ ، ١٥١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨

٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ١٩٩ ، ١٩٧

(فن الأجناد) : ٥ ، ٦ ، ١٣ (حاشية) ، ١٨ — ٢٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٢

٤٦ (حاشية) : ٤٧ ، ٦٦ — ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ١٠١

١٠٩ — ١١١ ، ١١٦ — ١٢١ ، ١٤٨ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦

١٩٨ ، ٢٠٠ — ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٢ — ٢١٦

الدولة الشامية : ٢٠٩

الدولة العثمانية (أو العلية) : ١٩ (حاشية) ، ٢١ (حاشية) ، ٢٧ ، ٣١ ،
٤٥ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ (حاشية) ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٠٠ ،
١٠٣ (حاشية) ، ١٠٤ ، ١٠٨ (حاشية) ، ١٣٢ ، ١٣٢ ، ١٥٩ ،
١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ٢١٠ ، ٢١٢ (حاشية) ، ٢١٨ (حاشية) ،
٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٠٦ ، ١٩٩ ، ١٩٣ ، ١٨٩ ، ١٨٤

دوما : ١٣٧

ديار بكر : ١٠٤ (حاشية) ، ٢١٢ (حاشية) ، ٢٢٦ ، ٣٣٥

دير حنا (قرية بفلسطين) : ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ٤٤

دير القمر : ٤٣

ذات حج : ٢١١ (حاشية)

الرملة : ٤٢ ، ١٢٨ ، ١٨١ (حاشية)

روسيا : ٣١ (حاشية)

الروم = الدولة العثمانية

زاوية (الشيخ) أحمد النحلاوى الأحمدي : ٦٤

زاوية سمد الدين الجباوى : ٢١٥

الزبدانى : ١١٤ ، ١٧٣

زبدین (قرية) : ١١٣

زقاق المحكمة : ٦٤

الزهرابية (قصر قديم) : ١٤٢

سانور = قلعة شانور

سراى أسعد العظم = دار أسعد باشا العظم

السرايا (سراية الحكم): ١٧ (حاشية) ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٧ ،
٨١ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٨٠ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٦

سراى (باشا بغداد) : ١٠٤

سراى سليمان باشا : ٥٥

سمنع : ٢٢٣

سكة حديد الحجاز : ١٠٧ (حاشية)

سوق الأروام : ١٦٨

سوق البزورية : ١٤٤

سوق الخياطين : ١٣٣ ، ١٤١

سوق الخليل : ١٨٥

سوق اللدق : ١٥٩

سوق الزنوطية : ١٤٤

سوق ساروجا : ٦٧ ، ١١٥ ، ١٥٤

سوق السلاح : ١٩٠

سوق السنانية : ١١٠ ، ١٩٠

سوق السويقة : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٦٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩٦ ، ٢١٤

(انظر أيضا حارة السويقة)

سوق النعم (حيث مدافن الأشراف) : ٢٩

سوق مسجد الأقباب : ١٤٤

السويقة = سوق السويقة ، حارة السويقة

سيواس : ٢١٢ (حاشية) ، ٢١٩ (حاشية)

الشام = دمشق

الشرف (ناحية) : ١٤٠

الشقيف (مقاطعة) : ٤٢ (حاشية) ، ٤٣ (حاشية)

الشوف : ١٥٠ (حاشية)

الشوير : ٤٢ (حاشية)

شيراز : ٧٣ (حاشية)

الصالحية (جى بدمشق) : ١٧ ، ٢٠ ، ٥٧ ، ٦٧ (حاشية) ، ٨٠ ، ٨١ ،

١٧٥ ، ١٦١ ، ١٥٩ ، ١٥٦ ، ١٥١ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٣١ ، ٩٠ ، ٨٩

صانور — قلعة سانور

صفد : ٢١ (حاشية) ، ١٥٠ (حاشية) ، ١٧٦ ،

صهيون — قلعة صهيون

صيدا : ٨ (حاشية) ، ١١ (حاشية) ، ٢١ (حاشية) ، ٢٣ ، ٤٢ ، ٤٣ (حاشية)

٩٩ ، ٩٣ — ١٠٢ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٨٨

(حاشية) ، ١٩١ ، ٢٠٤ (حاشية) ، ٢١١ (حاشية) ، ٢٣٧ ، ٢٣٠

ضريح (سیدی) أبي : ١٧٥

ضريح بلال الجبشي : ١٧٥

ضريح (السيدة) زينب : ٩١ ، ١٦٨

ضريح (الشيخ) عبد الجبار بن سیدی عبد القادر الجيلاني : ١٧٥

ضمير (قرية) : ٩٠

طرابلس : ١١ (حاشية) ، ١٢ (حاشية) ، ٣١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٩٠ ، ٢١٢ ، (حاشية) ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،
طبرية (بحيرة وقلعة بفلسطين) : ٨ (حاشية) ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٧ ،
٢٨ ، ٢٩ (حاشية) ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٦٩ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٠ ، ١٦٧

طربزون : ٢١٢ (حاشية)

طريق الحاج الشامي : ١٠٧ (حاشية)

طريق الحج : ١٩١ (حاشية)

الطريق السلطاني : ١٨٣ ، ١٨٨

الطريق الفرعى للحج : ١٧٣

طريق الميدان : ١٦٧

طرطورة = قلعة طرطورة

الطارطير (قرية) : ٢٣٢ (حاشية)

عجلون (من أعمال فلسطين) : ٢٦

عدرا (قرية) : ٩٠

العراق : ٤٤ ، ٤٩

عربستان : ٧٣ (حاشية)

عرفات = جبل عرفات

عسفان : ١٥٢

العقبية = حارة العقبية

عكا : ٢١ (حاشية) ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٦٧ ، ٢٣٤ (حاشية)

العلا : ١٠٧

المارة (إحدى محلات دمشق) : ٣٨، ١٥٩، ٢٠٢ (انظر أيضا ،
حارة المارة)
العناية (أرض) : ١٥٩
العنبرانية (قبلى الجامع الأموى) : ١٥١
عين دارة (وقمة ، معركة) : ٤٣ (حاشية) ، ١١٦ (حاشية)

الغرب الأعلى : ١١٦ (حاشية)

غزة : ١١ (حاشية) ، ٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ،
٣١١ (حاشية) ، ٣١٢ (حاشية) .

الغوطة : ١٤٥ ، ١٥٨

فلاقنس (من أعمال حمص) : ١٧ (حاشية)
فلسطين : ٣١ (حاشية) ، ٣٢ (حاشية)

قاسيون = جبل قاسيون

قاعة ابن قرنق : ١٤٣

القاهرة : ١٦٤ (حاشية)

قبا (قبا . مكان بالحجاز) : ١٦

قبة العسالى : ١٧٥

قبة النصر (بالجامع الأموى) : ١٢٤ ، ٢٠٥

قبة النصر (بأعلى جبل قاسيون) : ٢٢٣

قبة النور (مكان بالحجاز) : ١٦

قبر عاتكة : ١٧١ ، ٢٣٠

قبر الست (السيدة زينب ٢) : ١٤٥ ، ١٦٢

قيرص . ١٣٢ ، ١٣٣

القببات (محلة) : ٥٣ ، ٩١ (حاشية) ، ١٣٠ ، ١٣١

القدس : ٤٢ ، ١٥٨ ، ١٦٤ (حاشية) ، ١٧٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ،

٢١٨ ، ٢٣٤ (حاشية)

القدم (قرية) : ١١٤ ، ١٧٥

القسطنطينية = إسلامبول

القطرانة (أحد منازل الحج) : ٣٦ ، ٢٠٤

قطنا : ١٧٨

قلعة بغداد : ١٠٤

قلعة سانور (بفلسطين) : ٤٦ (حاشية) ، ٢٣٤ (حاشية)

قلعة الشام . ٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨٥ ، ١٠٠ (مائية) ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠

١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٦١ ،

١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ — ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٨

(حاشية) ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢

قلعة صهيون : ٢٣٢

قلعة طرطورة : ٢٣٢

قلعة المدينة (النورة) : ٤٧

قناة بيت رأس : ١٦٢

القنوات (محلة) : ٤١ ، ١١٠ ، ١٢٠

القنوات (نهر) = نهر القنوات

القنيطرة : ٢٢٣

قهوة الخرزاتية : ١٨١

قهوة الشاغور : ١٨٩ ، ١٩٠

قهوة المناخلية ٨٦ ، ١٤٥

قيسارية أسعد باشا : ١٢٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ١٧٩

القيصرية (حى) : ٨٠

الكرك : ٣١٤ (حاشية)

كركوت (لعلها كركوك) : ٤٩

اللاذقية : ١١ (حاشية)

لبنان : ٨ (حاشية) ، ٤٢ (حاشية) ، ١٠١ (حاشية) ، ١١٦ (حاشية)

اللجاة : ٣٣ ، ١٤٩

لويية : ٤٦

المارستان : ١٦٧

المحكمة : ٣١ ، ٤١ ، ٥١ ، ٦٣ - ٦٥ ، ٨٢ ، ١٣١ ، ١٣٢

محكمة الباب : ١٧٨

المحكمة الكبرى : ١٧٢ ، ١٧٨ (حاشية) ، ٢١٠ (حاشية) .

محكمة النورية = محكمة الباب

محلة التعديل (إحدى محلات دمشق لا تزال موجودة وهي بجوار محلة

القنوات) : ١٨ ، ٥٣

محلة الخراطين (بجوار القباية ، جوار الباب الجنوبي للجامع الأموى) : ٥٦

محلة العقبية : ١٤٦

مدرسة اسماعيل (باشا) العظم : ١٣٣

- مدرسة سليمان (باشا) العظم : ٢٣٧
مدرسة القجاسية : ١٥٥
مدرسة الكلاسة : ٢٢٤
مدرسة المرادية : ١٥٤
مدرسة (الملك) الناصر : ١٤٣
مدينة الرسول = المدينة المنورة
المدينة المنورة : ٧ (حاشية) ، ٤٧ ، ١٨٩ ، ١٩٢
المرجة : ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥
مرج الدحداح (تربة) : ١٠٦ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
١٧٤ ، ١٧٨ ، ٢٣٠
مرج القدس : ٤٣ ، ٤٣ (حاشية)
مرعش : ١٩٩ ، ٢١١ (حاشية)
المرزيب (بلدة جنوبي دمشق بدأ منها اول مرحلة في طريق الحج) : ١٠
(حاشية) ٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩
مسجد الاقصاب (متر القصب) : ٤٨ ، ١٢٩
مسجد القدم : ٥٣
مشهد الحسين : ١٨٠ (حاشية)
مصر (الديار المصرية) : ٨ (حاشية) ، ٢١ (حاشية) ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٨٢
(حاشية) ، ١٦٤ ، ١٩٣ ، ١٩٩
معان (مدينة في طريق الحج) : ١١ (حاشية) ، ٣٦ (حاشية) ، ٣٧ (حاشية)
١٥٧ (حاشية) ، ٢٠٤ ، ٢٠٨
المرة = معرة النعمان
معرة النعمان : ٩٧ ، ١٧٦ ، ٢٠٤ (حاشية)

مقبرة البرامكة : ٨٩

مكة : ٧ (حاشية) ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ١١٥ ، ١٣٧ ، ١٧١ ، ٢٢٢

منزلة الصنمين : ١٩١

حنين (قرية) : ٢٢٠ (حاشية)

الموصل : ٤٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

الميدان (ميدان الحصى من أقدم أحياء دمشق ، كان في الأصل ضاحية لها) :

١٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٧ — ٦٩ ، ٧٠ (حاشية) ، ٨٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

١١٩ ، ١٢٠ ، ١٦٧ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٦

الميدان التحتانى (القسم بين دمشق القديمة وباب المصلى ، اما الميدان الفوقانى

فهو التريب من باب الله) : ٥٣

مئذنة الشم (مسجد) : ١٥٦

نابلس : ٢١ (حاشية) ، ٢٢ (والحاشية) ، ٢٦ ، ١٧٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،

٢٣٢ (حاشية)

الناصره (بلد بفلسطين) : ٢٢ (حاشية)

النيك : ٢٢٠

النحانة (حى) : ١٣٩

نقيب الروبة : ١٧١

نهر بانياس : ١٢٢ ، ١٤٣

نهر بردى : ١٨٦ ، ١٩٠

نهر القنوات : ٤٠ ، ١٤٥ ، ١٨١ ، ١٩١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ (حاشية)

هدية (مكان بالحجاز) : ١١ (حاشية) ، ١٦٤ ، ٢٣١

الهند : ٤٤ ، ١٠٤

وادی التیم : ۷۳ (حاشیة)

وادی العقیق (بالحجاز) : ۷ (حاشیة)

وادی القرن : ۱۶۱

وادی کیوان : ۱۸۱

وادی الیمون : ۱۸۳

وان : ۲۱۲ (حاشیة)

الوکر : ۱۷۶

یافا : ۱۶ (حاشیة)

بیرود : ۲۲۰

ثالثاً — فهرس المصطلحات والوظائف

- الأراضى الخمس : ٨٩
الأراضى العشر : ٨٩ (حاشية)
أرانطة = أرنوٹ
أرطلية : ١٠٢ ، ١٧٧ ، ١٨١
أرنوٹ (طائفة من الجند) : ٤٢ ، ٢١٢
الأشراف (أو السادات) : ١٦ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ١٠٨ — ١١٢ ، ١٣٨ ،
٢١٥ ، ٢٠٥ ، ١٥٦
أشراف الحجاز : ٤٨
إشراقات : ٨٣ (حاشية)
الأضباشى : ١٧٧
الأصطا . ١٧٧
الأصناف (طوائف الحرف) : ٨٣ ، ٩٤
الأعيان : ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٢
أعيان حلب : ١٦٠
أعيان الشام : ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٩٧ ، ٢٠١
٢٢٦ ، ٢٠٣
الأغا : ٣٢
أغا آغات (أوجاق الانكشارية) : ٧٨ ، ٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
أغا آغة القيقول : ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٦١
أغا السراى : ٤٧

الأغوات (رؤساء الجند أو الأعيان) : ١٨ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٢٢٦

أغة (أغت دار السمادة) : ٧٩

آغة القبول : ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٦١

أغوات (ضباط) : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠

الأفادار = القفادار

الأفندية (موظفو الديوان) : ١٨ ، ٣٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٦

أقجة (= أخشابه) : ١٠٩ (حاشية) ، ١١١

إقطاع بطريق المالكانة : ١٨٨ (حاشية) .

ألاى بيك : ٤٦ ، ٢٠٧

ألاى بيك السباهية : ١٩٩

إمارة الشام : ٢٣١

إمام جامع السنانية (للسادة الشافعية) : ١٨٠

إمام الحرايين : ١٦٥

إمام مسجد : ٥٦

أمير (لقب اقطاعى فى لبنان) : ٤٣ (والحاشية)

أمير أمراء = باشا بطوحين

أمير الحاج : ٦ (حاشية) ، ٧ ، ١٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٦٦

٧٧ ، ٨٤ (حاشية) ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٦ ، ١٣٢ ، ١٣٦

١٤٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠١

٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٣

أمير الشام : ١٨٢

أمير طرابلس (وزير ، والى ، باشا ، حاكم) : ١٠٧

أمير فى سفر الجردة : ١٧٧

أمين الصرة: ١٤٨، ٥١، ١٦١، ١٧٠، ٢٠٧

أمين الفتوى: ١٥٥

أنباشي: ١٦٥

إنكشارية(أوجاق اليرلية، الجند المحلية): ٥ (حاشية)، ١٣ (حاشية)

١٧ (حاشية) ١٨ — ٢٧، ٣٠ (حاشية)، ٣٣، ٣٨، ٤٢

٤٧، ٤٨، ٦٣ — ٦٤، ٦٦، ٦٨ (حاشية)، ٧٠ (حاشية)، ٧٣

(حاشية) ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٣ (حاشية)، ٩٣ — ٩٦، ١٠١،

١٠٤، ١٠٩ (حاشية)، ١١٠ (حاشية)، ١٧٧ (حاشية)، ١٩٥،

١٩٧ (والحاشية)، ٢٠٠ (والحاشية) — ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٧

٢١٠، ٢١٣ (حاشية) — ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٦.

أهل العرض: ٢١٤

أوجاق (من وجاق، فرقة من الجند): ٥ (حاشية)، ٧٢ (حاشية).

أوجاقات الشام: ٩٤، ٩٦، ١٠١، ٢٠٠

أودة = أورطة

أورطة (جماعة من الجند): ٥، ٦ (حاشية)، ١٥٩، ١٨١

أئمة الحارات: ٢١٦

باب الانكشارية: ١٧ (حاشية)

الباب العالي: ٤٣

باش جوقدار: ٦٣

باش معارى: ٢٢٨

الباشا = الوزير، الوالى، نائب السلطان

باشا بثلاثة أطواخ (= وزير): ١٨٨ (حاشية)

باشا بطوخين (أمير أمراء = ييكلر بيكى): ١٨٨ (حاشية)، ١٩٤

باشا القدس: ١٨٨

باشة الجردة : ٢٠٤

باشوية بغداد : ١٠٣ (حاشية)

باشوية صيدا : ١٠٠ (حاشية)

البعارة (أهل بغداد) : ٣٠ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ٢٠٢

البلطجية (الرسل) : ٢٤ ، ٥١ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ٢١٠

بلك : ١٠٤

بنات الخطا = شلكات

بيردى (بيورولدى) : ١٣١ ، ٢٠١

بيرقا (الراية ، أو فرقة من الجند) : ٤٧ ، ١١٢ ، ٢١٣

بيرقدار التفكجية : ١٨٤

بيك السوقية : ٩٣

تقر (رسل) : ٢١٠

تجر يس : ١٦٢

نز بدار : ١٧٩

الترسيم (التحفظ) : ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩

تسمير (اللاحامين أو الجزارين) : ١٧١

التغالبية (جماعة من التصوفة) : ٩٠ ، ٩١

تفكجى باشى (التفكجية ، تفكجيان) : ٨٥ ، ١١٧ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ،

١٥٩ ، ١٨٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٨

تقرير إبقاء : ١٠٧ ، ١٥٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ (حاشية) ، ٢٠٨

تقرير الشام : ٢٢١

تمسكات : ٥٩

توقيع (كتاب من الباشا) : ٣٧

جرايات : ٨٠

جربجي : ٧-٢

الجرده (قافلة تحمل المؤن إلى الحجاج وتلقاهم في طريق عودتهم إلى دمشق) :

١١ ، ٣١ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٥٧ (حاشية) ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧٧ ،

٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٣١

جرده جي باشا (قائد الجرده) : ١٢ (حاشية)

جمهور : ١٧٧

جمهورية : ٢٤٨

الجناب العالي (السلطان) : ١٢٥

جند مرتزقة : ١٧٧ (حاشية)

الجنك (شنك) : ٦٧ ، ١٢٥

الجوخدار (أو الجوقدار ، فتى من فتيان القصر ، أو ، رسول السلطان

أو الوالى ، أو رسول أمير الحج للتبشير بسلامة الحاج) : ٦ ، ٧ ،

(حاشية) ، ١٣ ، ١٦ ، ٣٥ ، ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٥١ ، ١٦٤ ،

١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣١ .

الجوخدارية : ٤٦ ، ١٢٥

جوقدارية = الجوخدارية

جوقه دار = جوقدار .

الحاج الشريف : ٥٢ ، ٨٥ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٦١ ، ١٧٣ ،

١٨٣ ، ١٩٢ .

حاكم الشام = وزير الشام

الحج الحلبي : ١٠ ، ٣٠ ، ١١٥ ، ١٤٩ ، ١٧١

الحج الشامي : ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٦٢ ،

٨٧ ، ١١٥ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥

الحسوم : ١٢٥

خادم ضريح : ١٦٥

الخاقان (السلطان) : ١٣

خروج : ٢١٧ ، ٢٢٢

الخزينة السلطانية (خزنة مصر ، وهي الأموال التي ترسلها مصر لخزنة السلطان) :

٢٤ ، ٨٧ ، ١٠٨ ، ١٣٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩

الخزندار : ٤٧

خزنداره (الدقتردار) : ٧٥

خزينة الوجاق : ٦٣

خط شريف (فرمان يحمل اسم السلطان) : ١٨ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ١٠٦ ، ١١٠

خطيب جامع الأموي : ٢٢٠

خلفاء الطريقة السعدية : ١٩٣

الدالاتية (أو الدالاة ، طائفة من الجند) : ١٩ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٤٧ ، ٦٦ ،

٦٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،

١٢٢ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٢

دقتردار (أو دقترى ، المشرف على الحسابات المالية) : ١٠ ، ١٧ ، ٤٥ ، ٥٦ ،

٦١ ، ٧٥ ، ٢٠٠

دقتردار : ١٧ ، ٤٥ ، ٤٧

دفترية الشام : ٨٤

الدلال (النادى) : ١٩

الدورة (جولة تفتيشية سنوية يقوم بها باشا الشام في جهات نابلس وعجلون)

١٤٧، ١٣٠، ١١٥، ١١١، ١٠٥، ٨٤، ٨٣، ٥١، ٤٨، ٢٦

١٩٩، ١٩٤، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٢، ١٧٦، ١٧٠، ١٦٩، ١٤٨

٠ ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٢٨، ٢٢٠، ٢١٨، (حاشية) ٢١٦، ٢٠٠

الدوسة : ٩٢، ٩١ (حاشية)

ديوان : ٢٠٣، ١٢٧، ١١١، ١١٠، ٧٤، ٥٩، ٥١، ٥٠، ٣٢

٢١٤، ٢١٢

ديوان أفندى : ١٦٨

ذهب = أنظر العملة

ذهب جزيرلى = أنظر العملة

الرافضى : ١٦٠

رييات ذهب = العملة

الرفاعية (طريقة) : ٩١ (حاشية)

ركب الحاج الشامى = الحج الشامى

الركب الحلبي = الحج الحلبي

الركب الشامى = الحج الشامى

روزناجه : ٨٤ (حاشية)

ريالات = أنظر العملة

زرباوات (الزرب ، أشقياء) : ٥ (حاشية) ، ١٨ ، ٣٠ ، ٦١ ، ٨٥ ، ٨٧ ،

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٥٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ،

زردخانه (مكان السلاح) : ٦٠ ،

الزعماء (رؤساء الأحياء) : ٣٣ ، ٩٣ ،

السادات = الأشراف

سباهية (طائفة من الجند) : ٣٣ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٩٩ ،

سردار (قائد الجند) : ١٨١ (حاشية)

سردار الجردة (قائدها) : ١١ ، ١٦ ، ٣١ ، ١٣٤ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ،

١٦٢ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ (حاشية) ، ٢٢١ .

السريرة : ١٨١

سعد الذابح : ١٣٨

سلحدار (للشرف على دار السلاح ١ : ٨ ، ٤٧ ،

سلخور (سلاحشور) : ٥٤

السلجمانية (رتبة من أرفع رتب العلماء الأتراك) : ٣٠ (حاشية)

السمرم (طير) : ٧٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٦٦ ،

سنجق = صنجق

سيران : ١٢٩

الشاشية (ضريبة على الحرف) : ٤٥ ، ٢١٣ (حاشية)

شرافة مكة : ٢٢٢ (حاشية)

شربجية : (شربجية) : ٣٨ ، ٦٩ ، ٢٠٧ ،

شريف مكة : (أو أميرها) : ٧ (حاشية) ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٢٢١ ،

شركات البلد (المومسات ، بنات الهوى ، بنات الخطا) : ٥٧ ، ١١٢ ،

١٣٤ ، ١٢٧ ، ١٢٦

شوربة : ٨٠

شيخ الإسلام : ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٠٨ (حاشية)

شيخ التسكية : ٥٦

شيخ الخلاقين : ١٦٦

شيخ الحلوانية : ١٦٦

شيخ سجادة الطريقة السعدية : ١٩٢

شيخ الشافعية : ١٦٥

شيخ باب المصلى : ١١٠ ، ١٧٣

شيخ الطائفة (الحرفة) : ٨٣ (حاشية)

شيخ الطحانة (= التخان) : ٩٨

شيخ قراء الشام : ٥٢

شيخ القواقجية (شيخ حرفة) : ١٦٦

شيخ الحيا : ١٨٠ ، ٢٣٠

شيخ مشايخ المتأولة : ٤٣ (حاشية)

الشيعة : ٤٣ (حاشية) ، ٤٤ (حاشية) ، ١٠٤ (حاشية) .

صاحب الحلقة (في الجامع الأموى) : ٣٩

صاحب العرض = أهل العرض

الصدارة العظمى = الوزارة العظمى

الصدر الأعظم = الوزير الأعظم

الصرة (الأموال التي تربلها أندولة لأشراف الحجاز) : ٢٤

الصرة أميني = أمين الصرة

صلاة الخنفي : ١٣٩

صلاة السكوف : ١١٤ ، ١٣٦

صناجق (أعلام أو أقسام إدارية) : ٨ (حاشية)

الصنجق (الراية يرمونها وقت الخطر) : ١١٧

صنجق الخزنة (قائد الجند الذين يصحبون الخزنة) : ٢٤ ، ٢٧

صوباشي . ١٢٠ ، ١٣٤

ضبط المال . ١٣٢

طبعي الباشا : ١٨٦

الطريقة السعدية (طريقة صوفية) : ٩١ (حاشية) ، ٩٢ (حاشية) ، ١٣٤ ، ١٣٤

١٩٢ ، ١٦٤

الطلعة (طلعة الحمل) : ١٨٣

الطواشي (أغا الحريم بسرأي الباشا) : ٤٧ ، ٥٧ ، ١٨١

طواشية : ١٩٠

طوبجية (مدفعية) : ٢٠

طوخ (أو طوغ) : ٧٤ (والحاشية) ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٤

عراضة (زفة) : ١١٢ ، ١١٣ ، ١٥٩ ، ٢٠١

عرض : ٤٥ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ١٦٠ ، ٢٠٦

العرض (ضريبة على الحرف) : ٤٥ ، ٢١٣ (حاشية)

عسكر الشام = الانكشارية

عقونامة : ٦٠

العقاب = العلم النبوى

العلايف (أى المعاشات) : ١٠٤ ، ٨٠

العلم النبوى : ٢٠٩

العملة (أو للعاملة) : ١٦٢ ، ١٥٢

ذهب : ١٧٠

ذهب جزيرلى : ٢١٠

ريبات ذهب : ١٦١

ريال (ريالات) : ١٥٨ ، ١٥٥ ، ١٠٦ ، ٥٨

غرش : ١٦٠

فلوس (فلس) : ٣٥ ، ٥١ ، ٦١ ، ١٠٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٧٣ ، ٢٢١

فلوس رملية : ١٣٤ ، ١٤٩

القرش (أربعون بارة) : ٤ (حاشية) ، ٣٧ ، ١٠٦ ، ١٠٨

القسططنى : ١٧٣

القطعة (أو الفلس ، عملة من نحاس) : ٣٥ ، ٥١

الكيس (خمسة جنهات) : ١١ (حاشية) ، ١٠١ ، ١٦٠

المحبوب (عملة ذهبية) : ٥٥

مصارى = مصرية

مصرية (بارة) : ٤ ، ٥ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٤٩

١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٢١

نصف ذهب : ١٥٩

عيد الزيب : ١٩١

عيد الصليب = عيد الزيب

غرش = العملة

غزّ القلعة : ٤٧

غليونجى : ١٧٦

فتوى : ٥٠

فرمان (أمر من السلطان أو من الباشا) : ١٢ (حاشية) ، ١٧ ، ٣٠ ،

٤٢ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ،

١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ (حاشية) ، ٢١٣ (حاشية) ، ٢١٨ .

القلس = أنظر العملة

فلوس = أنظر العملة

فلوس رملية = أنظر العملة

قابجى = قبيجى

القاضى = قاضى الشام

قاضى الشام : ١٢ (حاشية) ، ٤٨٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣-٦٥ ،

٨٣ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ،

١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٥

قاضى المدينة : ١٢٠

قاضى مكة : ١٣٦

قافلة المعجم : ١٧١

قبيجى (قبوجى) : ٥١ (حاشية) ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨

قبيجى باشى : ٥٩ ، ٦٠ ، ٧١ ، ١٠٢ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،

١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١٨ (والحاشية) ، ١١٩ ، ١١٧ ،

١٣١ ، ١٣٣

قبجى التقرير : ٢٠٨

القبجية : ٥١

القبق دار : ٢٠٩

قبجى لر أغاصى : ١٧٣

القبوقول (عبدالباب ، أو حرس السلطان ، أو انكشارية الدولة) : ١٣ ، ٥

(حاشية) ، ٧٣ ، ١٠٨ - ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ،

١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧

(والحاشية) ، ٢٠٠ - ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٢

(حاشية) ، ٢٢٦

القبوقول = القبيقول

القرش = العملة

القسطلار (قزلىر أغاصى) : ٦١ (حاشية)

القسطنطينى = العملة

قضاة دمشق : ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٤١

القطعة = العملة

القفا دار : ٢٠٩ (حاشية)

قفطنجى السلطان : ١٣٧ ، ٢٠٧

قلابقى : ٤٢

قلفوات : ٨٣ (حاشية)

قلقى : ١٩٥

قناق : ١٩٢

قوللقى = قللقى

القيسية : ٤٣ (حاشية) ، ١١٦ (حاشية)

كتاب العربي : ١٠٨

الكتاب . (حامل بريد الحجاج إلى ذويم) : ٧ ، ١٦ ، ٣٦ ، ١٠٧ ،
١٢٤ ، ١٥٢ ، ١٨٨ ، ٢٣١ .

كتاب الجوقدار : ١٧٣

كتاب الحج = الكتاب

كتاب حلب وحماء : ١٩١

كتاب الشام : ١٩١

كنغدا = كنيا

كنغدا (الأوجاق) : ٧٠

الكندانية : ١٥٧

الكحوتية : ١٥٨

كنيا (كواخي . نائب الباشا) : ٢٦ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ١٠٣ ، ١٥٧ ،
١٧٦ ، ١٨٨ (حاشية) ، ١٩٤ ، ٢٠٤ (حاشية) ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ .

كدك (وجمعها ، كدكات ، وتعني التمكين من مزاوله حرقه) : ١٩

كيفية الأنكشارية : ٦٤

الكيس = أنظر العملة

لاوند (طائفة من الجند) : ٣٣ ، ١٩٨ ، ٢١٢

لفمجية (واضموا الألفام) : ٢١

ماء السممر = السممر

متسلم (متصرف على منجق أو مندوب الباشا لإدارة الولاية أثناء غيابه) :

٠١٠٢، ٩٧، ٨٥، ٦٥، ٥٧، ٤٩ - ٤٧٠، ٤٥، ٣٢، ٣١، ٠٨

، ١٤٧، ١٣٦، ١٣٣، ١٣٠، ١١٢ - ١١٧، ١١٣، ١٠٦

، ١٩٦، ١٩٤، ١٨٧، ١٨٣، ١٨٢، ١٧٣ - ١٧١، ١٦٢، ١٤٦

٠١٩٩، ٢٠٤ (حاشية)، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٩ (حاشية) .

متسلم دمشق : ٤٨، ٤٧، ٤٥، ٣٣، ٣٢، ٠٨

متولى جامع (السلطان) إبراهيم بن آدم : ١٧٩

متولى الجامع الأموي : ١٩٢، ١٤٥، ١٠٣

المجازيب : ١٨٣

مجلس الشرع الشريف . ٧٣ (حاشية)

محافظ الجردة = سردار الجردة

المحبوب = العملة

محتسب : ٢٢٢

المحمل الشريف : ٧، ١٠، ٣٠، ٣٧، ٥٢، ١٠٦، ١١٦، ١٣٢، ١٣٣

، ١٨٣، ١٧٩، ١٧٦، ١٧٣، ١٧١، ١٦١، ١٥٢، ١٤٩، ١٤٦

٢٠٩، ١٩٢

المحملجي : ٢٠٩

المختيا : ١٨٠ (والحاشية) ، ٢٣٠

مر بعانية الشتاء (الأربعون يوما الأولى من الشتاء) : ١٨١

مر بعانية الصيف (الأربعون يوما الأولى من الصيف) : ٤٠، ٩٤، ٢٢٠

المزيرباتية : (الذين يمددون من المزيريب بمد توديع الحجاج) : ١٠، ٣١

مشايخ الحارات : ٦٨، ١٣٤

مشايخ حرف : ١٦٦

مشايخ الطرق : ٣٩

مشطجى (مرده جى - حامل البشرى للسلطان بسلامة الحاج) : ٧

(حاشية) ، ٢٠٧

المشيخة : (ضرية على الحرف) : ٤٥ ، ٢١٣ (حاشية)

مصارى = مصرية

مصرية = العملة

مظالم الحكام : ٣٣

معاملة = العملة

معمار باشى : ٢١٨ (حاشية)

مفتى : ٥٧ ، ١١٠ ، ١٢٧ ، ١١٧ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢٢٥

مفتى بملك : ٧١ ، ١٦٠

مفتى الحنفية بدمشق : ٨٧ (حاشية)

مفتى الشافعية : ١٧٨

مفتى الشام : ٢٩ ، ٤٩ ، ٥٧

مقرر (طرابلس الشام) : ٨٤ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٨٨

مقرر ابقاء : ١٥٠

الملاقية : ٣٠٧

الماليك : ١٠٣ (حاشية) ، ١٠٥ (حاشية)

الموالى : ٣٩ ، ١١٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٤

مؤذن الجامع الأموى : ٢٠٥

موصلية (مواصلة . من الوصل) : ٣٠ ، ١٤٨ ، ٣٠٠

نَّجَاب ، نَجَابَة : ٤٧ ، ١٩٤

نائب دمشق (نائب عن الباشا) : ٣٣

نائب السياسة (يقصد الكنيحة) : ١٦٩

نائب الشام : ١٥٥ (حاشية)

نائب القاضي : ٨٣ ، ٦٣

نائب القدس (وهو نائب باشا الشام في حكمها) : ٢٢

نصف ذهب = انظر العملة

نظارة المسجد الأموي : ٩١ (حاشية)

التقيب : ٢٠

تقيب الأشراف : ٢٩ ، ٥٠ ، ١٠٨ ، (حاشية) ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٦٥ ،

٢١٨ ، ٢١٣

تقيب النقباء : ٣٩

الوالى (بمثابة ضابط بوليس المدينة) : ٥٧

والى بغداد : ١٠٣

والى صيدا : ٢٣ (والحاشية)

وجاق : ٦٣ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

وجاق القول = القبوقول

وزارة (باشوية بثلاثة أطواخ) : ١٨٨ (حاشية)

الوزارة (أنواع الوزارة) : ٧٤ (حاشية)

الوزارة العظمى : ١٩٥ ، ٢١٢ (حاشية)

الوزير الأعظم (صاحب الحتم) : ٧٢ ، ٧٨ (حاشية) ، ١٠٤ ، ١٧١

وزير الشام (والى أو باشا الشام) : ٣٠ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ١٤٤ ، ١٧١

وزير صيدا = والى صيدا

الوقائع المصرية : ٩٢ (حاشية)

وقف سنان باشا . ٣٣

وقف السلطانية (من أم أوقاف الشام) : ١٧ (حاشية) .

وقفية أسعد العظم : ٨٣

وكيل خَرج : ٨٠ ، ٥٤

بابا باشى : ١٩٥ (حاشية)

البرلية (الجند المحلية) = الانكشارية

البيق : ١٧٧

اليمينية : ٤٣ (حاشية) ، ١٦٦ (حاشية) .

اليهود : ٩٥

رابعاً - فهرس حوادث دمشق اليومية

- صفحة
- مقدمة الكتاب ٥-٦٠ مقدمة
- ٣ كلمة الشيخ محمد سعيد الفاسمي منفتح الكتاب
- ٤ سنة ١١٥٤ (١٧٤١ - ١٧٤٢)
- إشاعات في دمشق . غلاء الأقوات . تشتت جنود القبول . قتال
بين أمير الحاج الشامي وعرب بين الحسرين . تولية سليمان باشا
العظم . قتاله الدروز ثم صلحه معهم . اشتداد البرد . موآل للبيدي .
- ٩٥ سنة ١١٥٥ (١٧٤٣ - ١٧٤٣)
- طلب رؤساء الإنكشارية وصدور فرمان باهدار دم (الزرباوات) .
إخراج اللوصية والبغادة والقبوقول من دمشق . خروج سليمان
باشا لقتال الشيخ ظاهر العمر وحصاره قلعة طبرية . شدة الغلاء . فتح
قلعة طبرية . وفاة والدة البيدي . الغفوع عن الزرباوات فتنة بين
الدلائية والوند . قتل عرب الزيد متسلم دمشق .
- ٣٥ سنة ١١٥٦ (١٧٤٣ - ١٧٤٤)
- الشكوى من شدة الغلاء ، غرق الحاج بين الحسا والقطرانة . احتفال
سليمان باشا بختان ولده . احتفال فتحى أفندى الدقترى بزواج ابنته .
الاحتفال بالإنتهاء من تعمير وترميم نهر القنوات . ثورة العامة
وهجومهم على المحكمة ونهبهم الأفران . خروج الباشا لقتال ظاهر
العمر . قتال بين الدروز والمتاولة . وفاة سليمان باشا العظم وضبط
الدقترى أمواله . تعيين أسعد باشا العظم واليا على دمشق . خروجه
للدورة . علو شأن الدقترى . توسطه في الصلح بين أسعد باشا العظم
والشيخ ظاهر العمر . قيام الأشراف على فتحى أفندى الدقترى .
تعمير الخنطة والخبز . دعاء للبيدي . تعذيب أعوان وحریم سليمان باشا
العظم لاستخراج أمواله وتحصيلها للدولة . طاعون بدمشق .

- ٥٦ سنة ١١٥٧ (١٧٤٤ — ١٧٤٥)
 اقتان الناس بسلون (من بنات الهوى) . قتلها . استمرار الطاعون .
 استمرار البحث عن أموال سليمان باشا العظم . فرمان بإطلاق يد أسعد
 باشا العظم . تعصب أعيان الشام على فتحى أفندى الدفترى وشكواهم
 إياه للسلطنة . استدعاؤه ثم عودته لدمشق . إبطال (الفلوس)
 ضرب الشام .
- ٦٢ سنة ١١٥٨ (١٧٤٥ — ١٧٤٦)
 تقاوم أمر (الزرباوات) من رؤساء الإنكشارية واستهانتهم بأسعد باشا
 العظم هجوم العامة على السراى والمحكمة بسبب اشتداد القلاء .
 هروب القاضى واسترضاؤه .
- ٦٥ سنة ١١٥٩ (١٧٤٦ — ١٧٤٧)
 تعيين قاض جديد ودخوله دمشق فى موكب من الجند حاملى السلاح .
 استعانة الباشا بالدالية على الإنكشارية . خراب محلة سوق ساروجا .
 توجيه المدافع على حى الميدان . مقتل عدد كبير من الإنكشارية وفرار
 زعمائهم إلى جبل الدروز . موآل للبيدرى . قتال بين أسعد باشا العظم
 وآل الحرفوش فى بملك . قتال بين الباشا والمرب . هدية ملوكية
 للباشا . دخول أورطة من القبوقول دمشق بطلب من الباشا .
 عودة نفوذهم . غارة الجراد . طلب ماء السممر . قتل أسعد باشا
 فتحى أفندى الدفترى انتقاما منه . سيئات الدفترى وحسناته . موآل
 للبيدرى . الاحتفال بوصول ماء السممر . اشتداد القلاء . الخوف
 من عودة الزرباوات أثناء غيبة الباشا فى الحج .
- ٥٨ سنة ١١٦٠ (١٧٤٧ — ١٧٤٨)
 سيل عظيم . دعاء الحجاج لأسعد باشا . قتل بعض الزرباوات .
 ازدياد جور الدالية . اشتداد غارة الجراد . الاحتفال بوصول ماء
 السممر . إقامة دوسة . الشكوى من فساد الأخلاق . قتال شديد بين

صفحة

أسعد باشا العظم والدروز . تخريب جند الباشا سهل البقاع . تخاذل
الدالاتية وصدق الانكشارية في القتال . وصول خط شريف بالإفراج
عن الأمراء الدروز المحبوسين في قلعة دمشق .

سنة ١١٦١ (١٧٤٨) ٨٠٦

خراب القرى من جور الدالاتية . تسعير الفلوس والمصارى الفضة . فتنة
بين الأشراف والقبوقول . استهانة القبوقول بالأشراف . الشكوى
من ازدياد الفساد . كسوف الشمس وإقامة صلاة الكسوف . إغارة
الدروز على الزبدآنى . خسوف القمر . عودة زعماء الانكشارية
(الزرباوات) إلى دمشق ونهيم دور خصومهم . قتال شديد في دمشق
بين جند الباشا والانكشارية . تخريب حتىّ الميدان .

سنة ١١٦٢ (١٧٤٨ - ١٧٤٩) ٨٢٣

شدة الغلاء ، فيضان نهر طرابلس . اتهام مفتى الشام باختران القمح .
فساد بنات الهوى . حادث وقع لقاضى الشام . عزله ونفيه لقبيرص -
تجريس بصفة أشخاص لسكهم عملة مزيفة ، فرض رسم على
بنات الهوى .

سنة ١١٦٣ (١٧٤٩ - ١٧٥٠) ١٣٥

اشتداء الغلاء . كسوف الشمس وإقامة صلاة الكسوف . اشتداد
البرد وغلاء الفحم . وفاة الشيخ عبد الرحمن البهلول شاعر الشام .
موال للبيدرى . البدء في بناء قصر أسعد باشا العظم . جمع الحجارة
والرخام والمرمر والسرو والتجارين والبنائين . إصلاح المسجد الأموى
منع الناس من الخروج بعد صلاة العشاء . فتنة بين الأكراد وبين
البيادة والموصلية والقبوقول . الانتهاء من عمارة قسم الحرم بقصر
الباشا . قتال بين الدروز والمتاولة .

سنة ١١٦٤ (١٧٥٠ - ١٧٥١) ١٥١

استمرار الغلاء . نقل سعد الدين باشا العظم من طرابلس إلى حلب

الانتهاء من بناء قصر أسعد باشا العظم . اغتيال حاكم بلبك . جلب قمح من حماة . وفاة موسى كخيبة . توسيع قصر أسعد باشا . البدء في بناء قيسارية كبيرة . دخول أورطة من القبول قول في «جبر وعتو» . تمصب أهالي حلب على واليهم سعد الدين باشا العظم . اغتيال آغا القبول قول . تجريس رجل منهم بسك عملة مزيفة .

سنة ١١٦٥ (١٧٥١ - ١٧٥٢) ١٦٣

الأغنياء منعّمون والفقراء صابرون ! . تعيين السيد خليل الكري قاضياً لدمشق . جلوس ابنه مكانه حتى وصوله . كثرة الأمطار والحيرات والبركات . تعمير طريق الميدان . الاحتفاء بابن ظاهر العمر في دمشق وإصلاح الباشا ما بينه وبين أبيه . الدعاء لأسعد باشا لإصلاحه مزار السيدة زينب . تسمير جماعة من اللعامة .

سنة ١١٦٦ (١٧٥٢ - ١٧٥٣) ١٧٢

وصول قاض جديد للشام من أبناء الترك . إبطال العمل في المحكمة الكبرى . نزول مطر غزير . القبض على لصوص وشنقهم ، قتال بين الحجاج والبدو . تسمير العملة . رخس البضائع ما عدا اللحم . بناء أسعد باشا العظم القيسارية الجديدة . نهب اللصوص بعض أضرحة الصحابة والأولياء . خروج أسعد باشا بجموع غفيرة من مختلف الأجناد لقائنة عرب اللقاء . الحجّة الحادية عشرة للباشا . ترقية مصطفى بك العظم إلى رتبة باشا بطوخين وتعيينه محافظاً للجرده . قتل بين طوائف المسكر . وفاة حاكم صيدا وكان ظالماً .

سنة ١١٦٧ (١٧٥٣ - ١٧٥٤) ١٧٨

عودة الحجاج سالمين ، احتفالات دمشق بدخول الحج ودخول المحمل بدخول خزنة مصر . إتمام بناء القيسارية الجديدة . زلزلة خفيفة ومطر غزير . مقاتلة عرب (الجبل) . تقرير إبقاء لأسعد باشا والإشادة بمناقبه . اشتداد الغلاء . الحجّة الثالثة عشرة لأسعد باشا .

سنة ١١٦٨ (١٧٥٤ -- ١٧٥٥) ١٨٣

وفاة السلطان محمود الأول وتولية السلطان عثمان الثالث . انتشار مرض الجدري . تعيين مصطفى باشا والياً على صيدا . اشتداد الضيق بالناس . ترميم الجامع الأموي وفرشه . نزول مطر غزير وفيضان نهر بردى . قتال العزب . قتال الأمير حيدر بن حروفش صاحب بعلبك .

سنة ١١٦٩ (١٧٥٥ — ١٧٥٦) ١٨٧

عودة الحجاج من غير الطريق السلطاني . هلاك عدد كبير منهم بسبب العطش . وصول تقرير إبقاء لأسعد باشا للسنة الرابعة عشرة من حكمه وإمارته للحاج . تعيين حسين بك مكى باشا بالقدس . عودة القدس إلى حكم أسعد باشا . وصول أنباء بحصار العرب المدينة المنورة . وصول أوامر من الدولة إلى الباشوات من آل العظم بالتأهب لقتال العرب . عزل سعد الدين باشا العظم من ولاية طرابلس .

سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ — ١٧٥٧) ١٩١

عزل مصطفى باشا العظم من ولاية صيدا . عودة أسعد باشا من حجته الزابعة عشرة . توسطه للصلح بين العرب وأهل المدينة المنورة . اشتداد الحر وموت عدد كبير من الحجاج . إهداء السلطان أسعد باشا هدايا ثمينة . وفاة شيخ الطريقة السعدية . مطر غزير وبرد شديد وموت عدد كبير من الأغنام والناس . نقل أسعد باشا إلى ولاية حلب وتعيين راغب باشا والياً على الشام . تعيين موسى كتحدا باشا بطوخين ووالياً على جدة . تعيين راغب باشا صدرأ أعظم وتعيين حسين باشا مكى والياً على الشام . رحيل أسعد باشا من دمشق بعد أن أصلح بين الوجاقين . اضطراب الحالة في دمشق بعد سفر الباشا . دخول الباشا الجديد وقيام العامة على الأفندية والأعيان . « اشتغال الباشا بالظلم كأسلافه » . فتنة بين عسكر الغاربة وعسكر اللوند الأكراد . تمسك أهل حلب بأسعد باشا العظم . تعيين سعد الدين باشا العظم والياً على مرعش ومصطفى باشا العظم والياً

على الروصل، اشتداد الفلاء. فتنة كبيرة بين الانكشارية والقبوقول . القتال في حارات دمشق . توسط الباشا للصلح بين الفريقين وكتابة (حجة) عليهم . إخراج (الغرياء) من دمشق . تجدد القتال بين الانكشارية والقبوقول . زلزلة شديدة بدمشق . وصول أبناء عن نهب الجردة وموت سردارها موسى باشا .

سنة ١١٧١ (١٧٥٧ - ١٧٥٨) ٣٠٤

إرسال جردة أخرى . تجدد القتال بين الانكشارية والقبوقول . وصول أبناء نهب الحاج . خروج الناس لنجدة الحاج . وصف ماحل بقافلة الحاج . توجه حسين باشا والى الشام إلى غزة . قدم كبير زرباوات الشام . ظاهر المريرقتدى المحمل والصنجد وفاة السلطان عثمان وتولية السلطان مصطفى الثالث . توجيه ولاية الشام إلى عبد الله باشا الجتجي . دخوله دمشق في موكب وجند كثير . تجمع الانكشارية . خروج الباشا لقتالهم . نهب المدينة . مظاردة الانكشارية . ارتفاع أسعار الحاجيات . نهب عسكر الباشا للقرى . وصول نبأ بقتل أسعد باشا العظم ووصول أوامر بمصادرة أملاكه هو وأتاعه .

سنة ١١٧٢ (١٧٥٨ - ١٧٩٥) ٣٢٠

وصول الحاج سالمين بعد قتال أمير الحاج للعرب . عزل شريف مكة وتعيين آخر . أوامر برحيل كثير من عساكر الباشا . ارتياح الأهالي . نشاط الباشا والقاضي لرفع الظلم والعدوان . زلازل شديدة وسقوط المباني وقتل عدد كبير من الناس . انسداد نهر القنوات وانقطاع الماء . وقوع قبة الجامع الأموي الكبيرة . خروج الناس للصلاة والابتهاج . عزل عبد الله باشا الجتجي . تجدد الزلازل . وصول محمد باشا الشالك الوالي الجديد . اشتداد الريح وسقوط مباني كثيرة ارتفاع الأسعار . هجرة الناس إلى القرى . معاناة الجامع الأموي لتجديد ما تهدم منه . اشتداد الطاعون وكثرة الوفيات .

ملحة

سنة ١١٧٣ (١٧٥٩-١٧٦٠) ٢٣١

التنويه بمآثر عثمان باشا الصادق سردار الجردة . تعيينه والياً على الشام وتعيين ابنه محمد باشا والياً على طرابلس . البدء في عمارة المسجد الأموي والقلعة . القتال بين عثمان باشا والشيخ ظاهر العمر . تجدد الزلازل .

سنة ١١٧٤ (١٧٦٠-١٧٦١) ٢٣٣

زينة ومواكب بدمشق لمولد ولد للسلطان . وصول نبأ بقتل عبد الله باشا الجتجي ومصادرة أمواله .

سنة ١١٧٥ (١٧٦١-١٧٦٢) ٢٣٥

التنويه بمدل عثمان باشا والى الشام . وصول نبأ بموت سعد الدين باشا العظم وضبط أمواله .

منظر من قصر أسعد باشا العظم ٢٣٧

» » » » » ٢٣٩

مخطط دمشق في أوائل القرن السادس عشر ٢٤١

» » » » » التاسع عشر ٢٤٣

فهارس الكتاب ٢٤٥

أولاً - فهرس الأعلام ٢٤٧

ثانياً - فهرس الأماكن والبلاد ٢٧١

ثالثاً - فهرس المصطلحات والوظائف ٢٨٩

رابعاً - فهرس حوادث دمشق اليومية ٣٠٧

استدراك

- ص ٦٧ حاشية (١) وحاشية (٢) كل منهما مكان الأخرى .
ص ٦٩ سطر ١٥ : (حسنى) صحتها : حسن .
ص ٧٥ حاشية (١) صحتها : انظر فيما سبق ص ٤٧ ، ٥٤ - ٦١ .
ص ٩٩ سطر ١٩ : (أولادم) صحتها : أولادم .
ص ١٠٠ حاشية (٢) سطر ٢ (لنظم) صحتها : لنظر .
ص ١٠٦ سطر ١١ : سنة ١٦١١ صحتها : ١١٦١ .
ص ١١٢ سطر ١٤ : (التنكر) صحتها : التنكر .
ص ١٥٧ سطر ١٢ (قلمة) صحتها : تلة .
ص ١٩٨ سطر ١٠ (الفاربية اللواند) صحتها : الفاربية واللواند .
ص ٢٥٧ شيخ التكية تشطب كلتا (أحد اللصوص) .
ص ٢٧٢ باب السريجة . تُقرأ : باب السريجة .
ص ٢٦٧ سطر (٥) - صحته :
مصطفى بك أخو أسعد باشا العظم .
ص ٢٦٧ سطر (١٦) - تُقرأ :
١٠٠ ، ١١٤ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٩

مطبعة دارالبيروت

• ١٩٥٥ •